



مجلة

جامعة القدس الكريم وتأصيل العلوم

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدرها عمادة البحث العلمي

السنة الثانية - العدد الثاني - رمضان ١٤٣٧ هـ - يونيو ٢٠١٦ م

- مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية والرد عليها

د. صالح سنين صالح يعقوب

- قاعدة الاطراد وأثرها في بناء الأحكام

د. حسن الطاهر الشيخ الطيب

- تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المستوى الأول بجامعة كنتسينا نيجيريا د. هاجر خامس هارون

- مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لمرضى اختلال وظائف الغدة الدرقية

د. سحر حسن علي حامد أ.د. أحمد محمد الحسن شنان

أ.د. شمس الدين زين العابدين

- التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي "رؤية تأصيلية" د. عبد المنعم الطيب حميدة على

- **Problems and Difficulties that Encounter English Students of Al Quds Open University in the Translation Process from English to Arabic and Their solutions**

Dr. Ahmed Maher Mahmoud Al-Nakhalah

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

قواعد النشر

١. تنشر المجلة البحوث والدراسات التأصيلية في مجالات المعرفة المتعددة، من داخل وخارج الجامعة، باللغات العربية والانجليزية والفرنسية.
٢. أن يُمثّل البحث إضافة للعلم والمعرفة، ويقدم مساهمة علمية جادة في واحدة من حقول البحث العلمي.
٣. يشترط في البحث أن لا يكون قد سبق نشره، أو مقدماً للنشر لدى جهة أخرى، أو كان جزءاً من بحث علمي أعد لنيل درجة علمية.

متطلبات النشر

١. أن يُقدّم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ بخط Simplified Arabic بحجم ١٤ لنص المتن، و ١٢ للتوثيق في الهامش، ونسخة رقمية ثالثة في اسطوانة (C.D).
٢. ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ٤٠ صفحة ولا تقل عن ٢٥ بما في ذلك الأشكال والمراجع والملاحق، مع ضرورة اشتمال البحث على: ملخصين بلغتين؛ العربية إحداهما، مطلقاً والأخرى بالإنجليزية في حالة كون البحث باللغة العربية، وبلغته البحث على ألا يزيد كل ملخص عن صفحة واحدة، ومقدمة، ومتم مقسم لأجزاء، وتوثيق وفقاً للمنهج العلمي، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، ونبذة تعريفية عن الباحث، والتخصص الدقيق للباحث.
٣. ترسل جميع البحوث باسم رئيس هيئة تحرير المجلة، سواء شخصياً أو عبر البريد الإلكتروني للمجلة.
٤. إن ما ينشر في المجلة يمثل رأي صاحبه، وليس بالضرورة هو ما تتبناه المجلة.

التحكيم

١. تخضع جميع البحوث للتحكيم الأولي من قبل هيئة التحرير، ثم تحال إلى متخصصين لتحكيمها وفقاً للاعتبارات العلمية، ويعتمد رأي المحكمين في النشر من عدمه.
٢. المجلة غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

المشرف العام

د. محمود مهدي الشريف خالد

نائب المشرف

أ. د. محمد حسب الله محمد علي

رئيس هيئة التحرير

د. حامد إبراهيم علي محمد

أمين التحرير

أ. خالد عبد الجبار فضل السيد

الترجمة

د. عبد الخالق عبد الله بابكر الحاج

مدير التحرير

د. النور أحمد محمد نور البلك

التنسيق والإعداد الفني

د. محمد حمزة محمد الشريف

أعضاء هيئة التحرير

د. حامد محمد آدم حمد

د. إبراهيم الصادق سالم محمد

د. محمد أبو عبيدة محمد الزبير

د. عايش علي عودة أبو عاذرة

د. عبده عبد الله حسن داؤود

د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي

د. أزهرى محمد أحمد جبارة

د. محمد حيدر الحبر الطيب

د. محمد حمزة محمد الشريف

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ. د. محمد الإمام إبراهيم

أ. د. آدم أبو القاسم أحمد اسحق

أ. د. كمال محمد جاه الله الخضر

أ. د. فيصل محمد دفع الله محمد

د. عثمان أحمد محمد البشير

الخدمات الإدارية

أ. محمد عبد الرحيم فضل الله محمد

أ. د. علي العوض عبد الله الصاحب

أ. د. محمد أحمد محمد أبارو

أ. د. عبد الله محمد الأمين

أ. د. الخضر علي إدريس محمد

د. عبد القادر محمد خير الفادني

التدقيق اللغوي

أ. مجدي محمد أحمد إبراهيم

المراسلات

ترسل الرسائل باسم رئيس هيئة التحرير:

جمهورية السودان - ود مدني: ص ب: ٢٢٢

٠١١١٩١٦٧٠ - ٠١٢٠٣٩١١٢٤ = ☎

الموقع الإلكتروني: <http://uofq.edu.sd>

E. mail: bahthilmiuofq@yahoo.com

فهرس المكتبة الوطنية - السودان

مجلة جامعة القراء الكرم وتأصيل العلوم

شركة مطابع السودان العملة المحدودة

ردمد ISSN 1858 - 7526

ماتنوبات العمود

افتتاحية العدد _____ و - ك

رئيس هيئة التحرير

1 _____ مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية والرد عليها

د. صالح سنين صالح يعقوب

43 _____ منهج الإمام النووي في التأسيس الفقهي

د. محمد الأمين علي محمد قسم الله

83 _____ قاعدة الأطراد وأثرها في بناء الأحكام

د. حسن الطاهر الشيخ الطيب

125 _____ الفاعل بين الإحداث والإسناد "دراسة في الوظيفة والمعنى"

د. محمد أحمد إدريس إدريسي

151 _____ تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المستوى الأول بجامعة كتسينا نيجيريا

د. هاجر خامس هارون

185 _____ مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لمرضى اختلال وظائف الغدة الدرقية

د. سحر حسن علي حامد أ.د. احمد محمد الحسن شنان أ.د. شمس الدين زين العابدين

223 _____ المهارات التدريسية وأهميتها في عرض المادة التاريخية

د. أزهرى محمد أحمد جبارة

255 _____ آثار التدخل الأممي في نزاع دارفور

د. حافظ التاج مختار الحسن

291 _____

التفتيش والمعاينة في جرائم المعلوماتية

د . كمال عبد الله أحمد المهلاوي

331 _____

التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي "رؤية تأصيلية"

د . عبد المنعم الطيب حميدة على

367 _____

التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب

"الكتاب الجامعي المؤصل أنموذجاً"

د . محمد حمزة محمد الشريف

- **Problems and Difficulties that Encounter English Students of Al Quds Open University in the Translation Process from English to Arabic and Their solutions _____ 405**
Dr. Ahmed Maher Mahmoud Al-Nakhalah

افتتاحية العدد

الحمد لله حمداً كثيراً، أولاً، وآخراً، والشكر له تعالى على جميع آلائه ونعمائه ظاهراً وباطناً، القائل جل شأنه سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) ﴿سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (٢) ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٣) ﴿وهو القائل: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥)﴾ (٢).

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي الأكرم، خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القائل: "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء" (أخرجه أحمد) (٤).

أما بعد فمما لاشك فيه إن العلم والمعرفة نور وإن قيمة العلماء تتمثل في القدوة بهم والانتفاع ببحوثهم العلمية التي يرفدون بها البشرية فتتال الريادة والسعادة، فضلاً عن الفوز الأبدي في الآخرة لمن آمن منهم وعمل صالحاً.

ولهذا فإن الأمم لا تسود ولا تنهض إلا بالإيمان الصحيح، والأخلاق الحميدة، والعمل الصالح، القائم على العلم والمعرفة، والبحث العلمي الجاد المستمر في كافة شعب الحياة مع الاستفادة من نتائجه وتطبيقاته، ولا يكون كل ذلك إلا بالقناعات الراسخة، والوعي المعرفي الجمعي للأمة عامة،

(١) النحل: ١٨ .

(٢) الأعلى: (٢-٣).

(٣) العلق: (٤-٥).

(٤) أخرجه أحمد.

ومؤسساتها ومتخذي القرار خاصة، قال تعالى على لسان نبي الله سليمان ﷺ: ﴿قَالَ يَتَائِبُ الْمُلُوكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) (١)، يدل هذا النص المعصوم على مدى تفوق العالم الرباني على العفريت ذي الطاقة المادية الحسية، كما دل سياق الآيات على غزارة علم سليمان صلى الله عليه وسلم، وتوظيفه العلم وشكره لله تعالى عليه.

أيها الإخوة القراء، والباحثون الكرام.. تسعد أسرة "مجلة جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم"، أن تهنئكم وكافة المستفيدين من بحوث المجلة بصدور العدد الثاني لمجلتكم في ثوبه الجديد، والذي تأمل أسرة المجلة أن يلبي قدراً من طموحاتكم وأشواقكم، في معالجة القضايا المهمة أو الأساسية بقدر من الشمول والعمق، والمساهمة في إعطاء الحلول والمقترحات المفيدة بإذن الله تعالى.

وقد بلغت جملة البحوث الواردة في هذا العدد (اثني عشر) بحثاً في محاور متنوعة في مواضيع أساسية أو مهمة وقد درجت مجلتكم أن تستهلها بمحور "علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والعلوم الشرعية". فجاء في هذا المحور بحثاً تحت عنوان: "مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية والرد عليهم" تناول فيه الباحث التعريف بالقراءات

(١) النمل: (٣٨-٤٠).

الكريمة، وفضلها، ومكانتها، وتأريخ تدوينها، والأصل في اختلافها، كما تحدث الباحث عن الاستشراق والمستشرقين وبيان شبهاتهم حول العقيدة الإسلامية عامة، والقرآن الكريم خاصة، ثم قام بالرد عليهم. فأسهم البحث في المعالجة التي يستوجبها هذا الموضوع الحاضر دائماً، المتعلق بعقيدة الأمة المسلمة ودستورها الخالد (القرآن الكريم).

كما جاء في العلوم الشرعية باب أصول الفقه بحثاً قيماً بعنوان: "قاعدة الاطراد وأثرها في بناء الأحكام"، عالج به الباحث مفهوم الاطراد عند الأصوليين والفقهاء، وأثر الاطراد في الأحكام الفقهية.

وأيضاً جاء في نفس المحور في طرائق مدارس فقهاء الإسلام بحثاً بعنوان: "منهج الإمام النووي في التأصيل الفقهي"، تناول فيه الباحث التعريف بالإمام النووي مشيراً إلى بعض القواعد والضوابط التي اشتملها منهجه وانتفعت بها الأمة وتتنفع.

وأما في محور القانون، فجاء البحث الأول بعنوان: "آثار التدخل الأممي في النزاع الأهلي لإقليم دارفور بجمهورية السودان"، وفيه قدم الباحث التعريف بالإقليم وتأريخه الإسلامي العريق، بالإضافة إلى بيان ماهية التدخل الدولي للأمم المتحدة، مبيناً بعض الآثار التي قد تبدو إيجابية للتدخل، فضلاً عن بيان الآثار السالبة لهذا التدخل الأممي على مستوى الإقليم خاصة، والقطر أو الدولة السودانية عامة، ثم ختم الباحث دراسته باستخلاص النتائج وأهم التوصيات.

كما جاء في نفس محور القانون بحث آخر بعنوان: "التفتيش والمعاينة في جرائم المعلوماتية" تناول فيه الباحث تعريف الجريمة والجريمة المعلوماتية

وخصائصها المميزة لهذه الجريمة، وخصائص المجرم المعلوماتي كما تطرق البحث لمفهوم التفتيش ومكوناته وشرائطه ونحوه، وذلك بجانب تعريف المعاينة وأنواعها وصعوباتها فضلاً عن أهم النتائج والتوصيات.

وورد في محور اللغة العربية بحثان: أما البحث الأول فبعنوان: "الفاعل بين الإحداث والإسناد دراسة في الوظيفة والمعنى". فعالج فيه الباحث تعريف الفاعل وحكمه ورتبته وتأنيثه، والفرق بينه وبين نائبه ونحو ذلك مما يتعلق ببنية الجملة العربية ومدلولها الحكمي.

أما البحث الثاني فجاء تحت عنوان: "تحليل الأخطاء الإملائية لدى المستوى الأول بجامعة كستينا - بدولة نيجيريا"، تحدث فيه الباحث عن نشأة التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا، وعن الأهمية البالغة لتحليل الأخطاء في تدريس اللغة الأجنبية، وهذا فضلاً عن ماهية الإملاء و بيان طرائق تدريسه.

كما جاء في محور العلوم التربوية بحثان اثنان، أما الأول فبعنوان: "المهارات التدريسية وأهميتها في عرض المادة التاريخية" وفيه تناول الباحث خصائص مدرس التاريخ الفعال، بالإضافة إلى المهارات التي تساهم في معالجة القصور لدى مدرس مادة التاريخ، وكل ذلك مما يطور مهارات التدريس لدى الأساتذة لأسلوب أنفع وحال أفضل وأفضل.

وأما البحث الثاني في هذا المحور العلوم التربوية فرع علم النفس تحت عنوان: "مشكلات التوافق النفسي والاجتماعي لمرضى اختلال وظائف الغدة الدرقية" قدمه ثلاثة من الأساتذة الباحثين وهم الدكتورة/سحر حسن علي حامد، والأستاذ الدكتور/أحمد محمد الحسن شنان،

والدكتور الأستاذ /شمس الدين زين العابدين، فعالج الباحثون المفاهيم الأساسية لكل من التوافق الاجتماعي، والمراكز الاجتماعية، والتوافق النفسي، واتجاهاته، ونظرياته المتعددة، فضلاً عن مفهوم الغدة الدرقية ووظائفها وتأثيراتها النفسية على المصابين بها، وكل ذلك في سياق دراسة علمية قامت على عدد من فروض التحقق العلمي، ثم ختموا دراستهم، ببعض المقترحات لإجراء دراسات تخدم الموضوع.

ويأتي في محور البحث العلمي والنشر بحثاً واحداً بعنوان: "التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب: الكتاب الجامعي المؤصل أنموذجاً"، فتناول فيه الباحث مفهوم الكتاب الجامعي، وأهميته، ومفهوم التخطيط للإنتاج والنشر والمعايير والمراحل، فضلاً عن النتائج والتوصيات.

كما جاء في محور البيئة والطاقة بحث واحد بعنوان: "التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي رؤية تأصيلية" عالج به الباحث قضايا مفاهيمية مهمة تتعلق بالنظام البيئي والتنوع الحيوي داعياً على ضرورة صون البيئة من التلوث، واللجوء إلى الطاقة البديلة.

والمحور الخاتم والأخير هو محور الترجمة وهو بحث باللغة الإنجليزية بعنوان: "المشكلات والصعوبات التي تواجه طلاب اللغة الإنجليزية لعملية الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية - جامعة القدس المفتوحة أنموذجاً"، ولاشك أن الترجمة هي بمثابة مفتاح للكنوز والخزائن، فضلاً عن كونها تمثل حبل التواصل وجسر التفاهم والتعاون بين الأمم في كافة المجالات.

فهذه هي بحوث مجلتكم لهذا العدد الثاني حيث بصدوره استوت
المجلة على رجلين قويتين في قامة ممدودة ملؤها الأمل الكبير ، والعزم في
التطوير نحو الأفضل، في إنتاج البحث العلمي المتميز إن شاء الله.
كما تسعد كثيراً أسرة المجلة لتلقي ملاحظاتكم وآرائكم لتطوير
المجلة خاصة، و خدمة البحث العلمي عامة. بل وتعتر الأسرة باشتراككم
في أعداد المجلة، كل ذلك يصلنا على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة.
وفي الختام وفقنا الله وإياكم لما فيه خدمة الأمة ونفع البشرية بالمفيد
الطيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

د. حامد إبراهيم علي محمد
رئيس هيئة التحرير

مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية
والرد عليها
(دراسة نقدية تحليلية)

د . صالح سنين صالح يعقوب*

* - استاذ القراءات وعلوم القرآن، المشارك - جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

ملخص البحث:

يأتي هذا البحث متناولاً موضوع الاستشراق ومناهجه في إثارة الشبهات حول أحد مرتكزات الإسلام ألا وهو القراءات القرآنية، ولا شك أن الاستشراق باعتباره ظاهرة فكرية قد أثر تأثيراً كبيراً على أجيال عديدة من أبناء الأمة الإسلامية تأثيراً سالباً، لذلك كان تناول لهذا الأمر، وجاء ذلك لتحقيق جملة من الأهداف أهمها:-

١. إبراز الدور الريادي الذي تقوم به الهيئات العلمية والبحثية في الذب عن عقيدة الأمة وصون مرجعياتها الفكرية والعقدية من خلال تناول موضوع القراءات ودحض شبهات المستشرقين حولها.

٢. التأكيد على ضرورة تفعيل المبادرات العلمية الجادة التي تسعى لتوطيد دعائم المعرفة في عصر العولمة والغزو الفكري وكشف شبهات المستشرقين ومناهجهم الهدامة لأصول عقيدة الأمة.

٣. بلورة رؤية علمية واضحة تثمر عن مخرجات بناءة في هذا الموضوع المهم.

٤. وتلخصت مشكلة البحث في أن القراءات القرآنية وما تحتويه من خلافات في الأوجه بسبب ما اقتضته ضرورة تباين اللهجات العربية (قريش، هذيل، تميم الخ) والتي تشكل في مجملها لغة العرب الفصحى التي نزل بها الوحي الخاتم.

وأخيراً خلص البحث إلى نتائج من أهمها:-

- إن الاستشراق كظاهرة غربية عُنيت بدراسة عقيدة المسلمين وتاريخهم، كان هدفها الأول هو النيل من الإسلام عقيدةً وشريعةً وقيماً ومرجعيات ورموزاً، ولم يكن الهدف المقاربة أو البحث عن الحقيقة.

- إن أطروحة (حوار الحضارات) التي نادى بها بعض المفكرين ورموز الأمة الإسلامية وقادتها يجب أن تُبنى على الندية والتكافؤ، وأننا نمثل جميعاً أمة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم (أمة الدعوة وأمة الإجابة) وبالتالي يجب أن يسود الاحترام والتوقير والتقدير والتقدير لإرث هذه الأمة وعقيدتها، وعدم الإساءة إلى معتقبيها.

الحمد لله المتفضل على عباده بنعمة الإيجاد والإمداد والهداية، القائل في محكم تنزيله المعجز: ﴿الْعَمَّ ۝۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝۲﴾ [البقرة: ١، ٢]، ثم الصلاة مع أزكى التسليم، على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم و سار على هديهم إلى يوم العرض العظيم . وبعد، فإن الاستشراق كظاهرة علمية وحالة فكرية كان له أثره البالغ على شتى المعارف الإسلامية ولا يزال. وقد استخدم المستشرقون مناهج شتى وأساليب مختلفة لتحقيق أهدافهم المتمثلة في الطعن في ثوابت الدين، أو النيل من الشخصيات المحورية المؤثرة في تاريخ الأمة، وبالطبع فليس كلهم على منوال واحد فبعضهم كان يبدو موضوعياً، وبعضهم قد اشتط وجنح وغالى، وإن كان هدفهم واحد، وهو التشكيك والطعن في الإسلام وإظهاره على غير حقيقته، ونحن من خلال هذا البحث نود استعراض ما قاله وأورده بعض المستشرقين من شبهات حول القراءات القرآنية مستخدمين في سبيل ذلك مناهج وأساليب شتى للوصول إلى مبتغاهم ومأربهم، وهذه الورقة البحثية تجيء للرد على تلك الشبهات التي أثاروها حول القراءات، وقبل ذلك سيقوم الباحث ببيان معنى القراءات ومكانتها وفضلها و أول من دونها وأصل الاختلاف فيها ومعيار صحة القراءة القرآنية حتى يتم - قدر الإمكان - ربط الموضوع وإحكامه وإحاطته، وكما يقال: (بضدها تتميز الأشياء) قال تعالى: ﴿بَلْ تَقْدِرُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَطْلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ۝۱۸﴾ [الأنبياء: ١٨].

أهمية البحث وعنوانه:

ومن خلال تلك المعطيات سألفة الذكر في هذه المقدمة، ولخطورة المذاهب الاستشراقية وأثرها السالب في التراث الإسلامي تأتي أهمية هذا البحث الذي يجيء تحت عنوان: (مناهج المستشرقين وشبهاتهم حول القراءات القرآنية والرد عليها - دراسة نقدية تحليلية) وذلك تحقيقاً للأهداف الآتية.

أهداف البحث

- إبراز الدور الريادي الذي تقوم به الهيئات العلمية والبحثية في الذب عن عقيدة الأمة وصور مرجعياتها الفكرية والعقدية.
- التأكيد على ضرورة تفعيل المبادرات العلمية الجادة التي تسعى لتوطيد دعائم المعرفة في عصر العولمة والغزو الفكري.
- بلورة رؤية علمية واضحة تثمر عن مخرجات بناءة في هذا الموضوع المهم.

مشكلة البحث

إن القراءات القرآنية وما تحتويه من خلافات في الأوجه بسبب ما اقتضته ضرورة تباين اللهجات العربية (قريش، هذيل، تميم، الخ) والتي تشكل في مجملها لغة العرب الفصحى التي نزل بها الوحي الخاتم، أقول: إن هذه القراءات باختلافاتها تلك ظلت محل نقد وطعن لدى الدارسين المستشرقين، ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، لذلك كان لابد من تجلية هذا الأمر وتوضيح هذا الإشكال من خلال هذا الطرح، حتى يستبين الحق ويُدحض الباطل !.

أسئلة البحث

وهنا يبدر تساؤل محوري وهو: هل بالقراءات لبسٌ أو غموضٌ جعل أولئك المستشرقين يطعنون ويشككون في مصدرية القراءات القرآنية، أو أنها وحي مقدس نزل على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟ كما قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١١٥﴾ الشعراء: [١٩٣-١٩٤].

ويتفرع عن هذا التساؤل المحوري الجوهرية الأسئلة التالية:

- ١- هل خلو القرآن الكريم في العهدين النبوي والراشدي من نقط الإعراب والإعجام سبب علمي وجيه للطعن والتشكيك في القراءات القرآنية كما يزعم المستشرقون ؟
- ٢- ما السبب والدافع الحقيقي الذي جعل المستشرقين يشككون في الوحي الخاتم ؟

إلى أي مدى أثر هذا الموقف الاستشراقي من القراءات على بعض أبناء الأمة الإسلامية؟
فرضيات البحث

كل تلك الأسئلة وغيرها تقودنا إلى جملة من الفرضيات هي:

١. يرى الباحث ومن خلال اطلاعه على كثير من آراء المستشرقين أن دافعهم الحقيقي من الطعن والتشكيك هو: هز ثقة المسلمين بدينهم ومصدر عزهم وهو القرآن الكريم. ولو افترضنا أن هذا الكتاب كان بقراءة متواترة واحدة، لكان موقفهم سيكون هو الموقف نفسه.

إن اختلاف أوجه القراءات يزيد تأكيد الإعجاز القرآني وأنه وحي الله إلى نبيه الخاتم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

٢. إن عزة المسلمين ومكمن قوتهم في التمسك بهذا الكتاب، تلاوة له بقراءاته المتواترة، وتدبراً لمعانيه، واحتكاماً إليه وعملاً بأحكامه، وتخلقاً بأدابه وسلوكه، لأن نبينا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم (كان خلقه القرآن)، كما أخبرت بذلك أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت عن أخلاقه.

منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي لبلوغ مقصده وتحقيق مخرجاته.

سيقوم الباحث بتوثيق الآيات في صلب البحث وذلك إجلالاً وتعظيماً للنص القرآني، أما بقية النصوص فسيتم توثيقها بالهامش، كما سيقوم الباحث بترجمة بعض الأعلام.

هيكل البحث

وبناءً على تلك الفرضيات والمعطيات سيصاغ هذا البحث وفق الهيكل الآتي:-

❖ المقدمة وتشتمل على (أهمية البحث، موضوعه، أهدافه، أسئلته، فرضياته ومنهجه).

❖ المبحث الأول: (تعريف القراءات، فضلها ومكانتها، تاريخ تدوينها، أصل اختلافها، الخ.

❖ المبحث الثاني: (تعريف الاستشراق والمستشرقين، بيان شبهاتهم في التشكيك بمصدر عقيدة الأمة، والرد عليها، الخ.

هذا فضلاً عن الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات، وأخيراً: فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف القراءات، فضلها ومكانتها، تاريخ تدوينها، أصل اختلافها

وبه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القراءات وموضوعها وتدوينها وبيان فضلها

(أ) تعريف القراءات لغة واصطلاحاً:

- القراءات لغة هي: جمع قراءة من قولك: قرأ يقرأ قراءة.
- والقارئ هو الحاذق لقراءة القرآن حفظاً وتجويداً وجمعه قرآء وقرأة^(١).
- والمقرئ هو العالم بالقراءات والراوي لها والمجاز فيها مشافهة بسند متصل.
- واصطلاحاً: علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في أحوال النطق به من حيث السماع والمشافهة والتبني^(٢).

(ب) موضوع القراءات:

وموضوع القراءات: الكلمات القرآنية من حيث أحوال النطق بها وتحقيق تلاوتها.

و ذلك من أجل:

- ١- صيانة القرآن عن التحريف والتبديل.
- ٢- معرفة ما يقرأ به كل من الأئمة القراء.
- ٣- الحفاظ على ميراث الأمة وتراثها بعد أن تكفل الله بالحفظ المطلق لكتابه حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

(١) انظر: مختار الصحاح ٥٢٦/١، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - ط ١ - ١٩٧٩م - دار الكتاب العربي - بيروت - وكذا لسان العرب ١/ ١٢٩، محمد بن مكرم علي الأنصاري الأفريقي ثم المصري جمال الدين أبو الفضل، - دار صادر - بيروت.

(٢) البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة، ص ٧ عبد الفتاح القاضي - ط ١ - ٢٠٠٢م - الناشر مكتبة أنس بن مالك - مكة المكرمة.

- أول من دون في هذا العلم أبو عبيد القاسم بن سلام^(١) بعد أن وضع لبنته أئمة القراءة الأعلام من طبقة الصحابة والتابعين وتابعيهم من السلف الصالح وقيل أول من وضعه قبل التدوين أبو عمر حفص بن عمر الدوري.^(٢)

(د) بيان فضل القراء وشرف أهلها:

إن علم القراءات يُعدُّ من أفضل وأشرف العلوم مكانة وأجلّها قدراً وأبقاها أثراً. وذلك لتعلقه بكلام الله عز وجل، وقد عني علماء المسلمين سلفاً وخلفاً بهذا العلم ووضعوا فيه المؤلفات المنثورة والمنظومة.

يقول الإمام الشاطبي^(٣) في شأن فضل القرآن وأهله في منظومته المسماه حرز الأمانى ووجه التهاني المشهورة بالشاطبية والتي احتوت على القراءات السبع:

وإن كتاب الله أوثق شافع	وأغنى غناء واهباً متفضلاً
وخير جليس لايميل حديثه	وترداده يزداد فيه تجملاً
فيا أيها القري به متمسكاً	مجللاً له في كل حال مبعلاً
هنيئاً مريتاً والداك عليهما	ملابس أنوار من التاج والعللا
فما ظنكم بالنجل عند جزائه	أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولوا البر والإحسان والصبر والت	قى حلاهم بها جاء القرن مفصلاً
جزى الله بالخيرات عنا أئمة لنا	نقلوا القرآن عذباً وسللاً
فمنهم (بدور سبعة) قد توسطت	سماء العلا والعدل زهراً وكملاً ^(٤)

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام: رومياً من أهل هراة - استغل بالحديث والأدب والفقه - ذا دين وسيرة طيبة - صنف كذلك في القراءات والعربية - حسن الرواية صحيح النقل. المصدر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٦٠-٦٢.

(٢) انظر: البدور الزاهرة. مصدر سابق، ص ٢٣

(٣) هو الإمام أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيبي الشاطبي الأندلسي - ولد سنة ٥٣٨هـ بشاطبية "من قرى الأندلس" - أخذ القراءات من أعلام أهل زمانه - توفي الإمام الشاطبي سنة ٥٩٠هـ بمصر ودفن بالقرب من سفح جبل المقطم رحمه الله، وتحتوي الشاطبية على ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتاً، وتمتد من عيون الشعر الأصيل.

(٤) يقصد بالبدور السبعة هنا القراء السبعة، أولهم (نافع المدني) وآخرهم (الكسائي الكوفي) حسب ترتيب المنظومة.

وكذا يقول الإمام ابن الجزري في شرف أهل القراءات والقرآن:

وبعد فالإنسان ليس يشرف ❖❖ إلا بما يحفظه ويعرف
لذا كان حاملوا القرآن ❖❖ أشرف الأمة أولي الإحسان
وإنهم في الناس أهل الله ❖❖ وإن ربنا بهم يباهي
وقال في القرآن عنهم وكفى ❖❖ بأنه أورثه من اصطفى.^(١)

المطلب الثاني: أصل الاختلاف في القراءات وشروطها والفرق بينها والأحرف السبعة:

(أ) أصل الاختلاف في القراءات:

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين المقصود بهذا الاختلاف. لكنني ولضيق مساحة البحث اكتفى بإيراد نموذج ودليل واحد لتوضيح المراد فأقول:

"روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته. فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ فكدت أساوره "أي أثب عليه" في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبته بردائه "أي جمع عليه رداءه عند لبته" فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال أقرانها رسول الله ﷺ. فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرانها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ. فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله ﷺ اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقراني فقال ﷺ كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)^(٢).

(١) طيبة النشر في القراءات العشر (نظم) الحافظ بن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي، م دار الهدى - جدة ١٩٩٤م.

(٢) صحيح البخاري باب الخصومات - كلام الخصوم بعضهم في بعض (٣٥/٥) ط٣ - دار ابن كثير للنشر - بيروت ١٩٨٧م.

البخاري: هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - ولد سنة ١٩٤هـ ومات سنة ٢٥٦هـ، وهو من أعلام الحديث رواية ودراية وكتابه من أصح كتب الحديث.

ولعل الحكمة تبدو جلية في ذلك الخلاف في القراءة. وهي التخفيف على الأمة والتيسير بنص الحديث (فاقرأوا ما تيسر منه)، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

لأن العرب الذين أنزل القرآن بلغتهم كانت ألسنتهم ولهجاتهم متباينة. فهذا يميل وذاك يفتح، وهذا يدغم وذلك يظهر، وهذا يسهل وذاك يحقق، فلو كلفهم الله تعالى مخالفة لهجاتهم والعدول عنها إلى غيرها لشق ذلك عليهم. وكان ذلك من قبيل التكليف الذي لا طاقة لهم به، وهذا أمر يتنافى مع سماحة الإسلام ويسره. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ولذلك أقر الرسول صلى الله عليه وسلم: قراءة عمر وقراءة هشام رضي الله عنهما وعن سائر صحابة رسول الله أجمعين. (ب) شروط القراءة الصحيحة:

كما هو معلوم فإن القراءات أقسام منها الصحيحة التي يقرأ بها، و غير الصحيحة و هي الشاذة التي لا يجوز القراءة بها على أنها قرآن متعبد بتلاوته، و قد وضع أهل العلم شروطاً لصحة القراءة، و من أحسن من تكلم في هذا الباب أحد كبار أئمة هذا الشأن الإمام أبو الخير محمد بن الجزري حيث قال في كتابه النشر في القراءات العشر: (كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالاً، و صح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم.)^(١)

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري محمد بن محمد، ١/ ١٤٢، دار الفكر - بيروت، تحقيق: الضباع.

وقال العلامة المحقق الشيخ أبو شامة: (كل قراءة ساعدها خط المصحف، مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلفت هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة).^(١) و قال كذلك: (لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحيث لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تتسبب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم).^(٢) إذن فالقراءة الصحيحة المعتبرة هي التي تحققت فيها ثلاثة شروط: صحة السند - أي تواتره - ، موافقة اللغة العربية و موافقة الرسم، و هذا ما سأبينه عبر النقاط التالية:

- المراد بصحة السند: أن يروىها العدل الضابط عن مثله و تكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.^(٣)
- المراد بموافقة اللغة العربية: و لو بوجه، سواء كان فصيحاً أم أفصح، لأن العبرة في القراءات السند و النقل، فلا تأخذ القراءة من اللغة بل العبرة بالنقل كما قال الإمام أبو عمر الداني: (و أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة و الأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر و الأصح في النقل،

(١) انظر: إبراز المعاني شرح حرز الأمانى، أبو شامة شهاب الدين ٢٣١/١.

(٢) المصدر السابق. الصفحة ذاتها.

(٣) انظر: القراءات أحكامها ومصدرها، شعبان محمد إسماعيل، م دار السلام - القاهرة ط/٤

والرواية إذا ثبتت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها).^(١)

و من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ مَرِيبًا﴾ [النساء: ١]، قرأها الجمهور بالنصب و قرأها حمزة الكوفي بالكسر - بالعطف على الهاء في "به"، وهذا ما لم يقبله بعض النحويين لعدم موافقته لقوانين اللغة في زعمهم ومنهم المبرد، لكن رد عليهم أئمة القراءات بما يكفي ويشفي، ومن هؤلاء صاحب حجة القراءات حيث قال: (وقد أنكروا هذا وليس بمنكر لأن الأئمة أسندوا قراءاتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكروا أيضاً أن الظاهر لا يعطف على المضمرة المجرور إلا بإظهار الخافض، وليس بمنكر وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمرة الذي لم يجر له ذكر...^(٢)) وقد نقل هذا الكلام عنه أيضاً صاحب كتاب الشامل في القراءات العشر، قائلًا: (وقد شنع بعض النحويين على حمزة في قراءته هذه لكنهم أخطئوا، فحمزة لم يقرأ من عنده وإنما أخذ القرآن بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لم يقرأ وحده بهذه بل شاركه فيها من غير السبعة ابن مسعود وابن عباس وغيرهما).^(٣)

- المراد بموافقة خط المصحف: و لو احتمالاً، أي و لو تقديرًا، لأن موافقة الرسم كما يقول الإمام ابن الجزري تكون تحقيقاً و هو الموافقة الصريحة و تكون تقديرًا و هو الموافقة احتمالاً، مثاله قوله تعالى: (ملك يوم الدين) و (مالك يوم الدين).^(٤)

(١) انظر: الأحرف السبعة، الداني أبو عمرو، تحقيق: عبد المهيم طحان. مكتبة المنار - مكة المكرمة

(٢) انظر: حجة القراءات، ابن زحلة عبد الرحمن بن محمد ٢٢١/١.

(٣) انظر: الشامل في القراءات العشر.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر - مصدر سابق ٢٢٣.

و قد نظم الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في طيبة النشر، فقال:

- ❖❖ و كل ما وافق وجه النحو ❖❖ وكان للرسم احتمالاً يحوي
- ❖❖ و صح إسناداً هو القرآن ❖❖ فهذه الثلاثة الأركان
- ❖❖ و حيثما يختل ركن أثبت ❖❖ شدوده لو أنه في السبعة^(١).

و يجب التنبيه إلى أنه و إن اكتفى أكثر أهل العلم بالقراءات بصحة السند دون التواتر فذلك لأن هذه الشروط الثلاثة إنما هي ضابط و ليست تعريفاً و كما يقال فإنه يغتفر في الضابط ما لا يغتفر في التعريف، فمسألة التواتر أصلاً هي شرط في القرآن ككل بغض النظر عن القراءات فهو الكتاب الذي وصل إلينا بأقصى درجات التواتر جيلاً عن جيل من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى وقتنا هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، سيظل منقولاً بالتواتر، فقد قيض الله تعالى له من يحفظه و يقرأه ممن لا يحصي عددهم إلا هو سبحانه، ولا ريب أن ذلك يندرج في وعده جلّ و علا بحفظ هذا القرآن العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

(ج) الفرق بين القراءات والأحرف السبعة:

من الفروق المهمة التي يجب الإشارة إليها بخصوص القراءات ما يتعلق بالفرق بينها و بين القرآن. و كذا الفرق بينها و بين الأحرف السبعة. لا ينبغي أن يفهم أن القراءات هي القرآن، فالقرآن الكريم هو الوحي المتلو المنزل من عند الله سبحانه و تعالى، بخلاف القراءات فهي كما ذكر ابن الجزري: (علم بكيفيات أداء كلمات القرآن).^(٢)

جاء في كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر مايلي: (و القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل لإعجاز و البيان و القراءات

(١) انظر: طيبة النشر. ابن الجزري محمد بن محمد. ط ٢ ص ٣٢. تحقيق ومراجعة: محمد تميم الزعبي.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، مصدر سابق ٢١٣/١.

اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرها).^(١)

يعتقد البعض أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، وهذا خطأ، كما نبه عليه كثير من الأئمة، كالإمام أبي شامة حيث قال: (ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل)^(٢)، وقد نقل هذا القول عنه الإمام السيوطي في الإتيان، وذكر قول مكّي ابن أبي طالب: (من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً عظيماً، ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ووافق خط المصحف ألا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم، فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبري وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء).^(٣)

ومؤكد أنه قد قرأ بالأحرف السبعة قبل وجود هؤلاء القراء السبعة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما صحت الأحاديث في ذلك أمر أن يقرأ أمته القرآن على هذه الأحرف، فاستجاب صلى الله عليه وسلم فأقرأ أصحابه القرآن بهذه الحروف، ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهذه الحروف ثابتة يقرأ القرآن عليها، إذن فكيف يقال أن المقصود بهذه الحروف القراءات السبع؟

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة).^(٤)

(١) انظر: أحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، الدماطي

(٢) انظر: إبراز المعاني. مصدر سابق،

(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها، مكّي بن أبي طالب القيسي.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٦ / ٢٣١.

و لعل الوهم و الخطأ في هذا الأمر سببه أن بعض الأئمة الذين ألفوا في القراءات قد اكتفوا بسبعة منهم ممن اشتهرت قراءته و ذاعت، فوقع الخلط عند من لم يميز، و من الأئمة الذين اقتصروا في تأليفهم على سبعة قراء، الإمام أبو بكر بن مجاهد، فإنه كما ذكر ابن تيمية: أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين و العراقين و الشام إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن و تفسيره و الحديث و الفقه. فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعنيين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم. ^(١) لذلك كان بعض السلف يختار قراءة غير السبعة و كان هذا أمراً معلوماً لا ينكره أحد من أهل العلم.

والاختلاف الموجود بين القراءات القرآنية اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد، و كيف يكون اختلاف تضاد و الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فالقُرآن منزّه عن التناقض و التعارض و التضاد في ألفاظه و معانيه و أخباره و أحكامه و كذا في تفسيره و قراءاته باعتبارها طرق أداء لكلماته، وهي طرق متلقاة عن المعصوم الموحى إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، يقول الإمام أبو الخير بن الجزري: (حقيقة اختلاف هذه السبعة المنصوص عليها من النبي اختلاف تنوع و تغاير لا اختلاف تضاد و تناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى.) ^(٢) واختلاف القراءات كما يقرره الإمام ابن الجزري لا يخرج عن ثلاثة أحوال:

- اختلاف اللفظ و المعنى و واحد.
- اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

(١) المصدر السابق. ٢٣٤/٦

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، بن الجزري محمد بن محمد. ٢٥٣/١

- اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.
- فأما الأول: فكالاختلاف في ألفاظ الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، وبحسب، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.
- وأما الثاني: فنحو لفظ (مالك وملك) في سورة الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين، وملكه، وكذا ننشزها بالزاي، ونشزها بالراء، لأن المراد بهما هو العظام. وذلك أن الله تعالى أنشزها أي: أحيها وأنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمّت، فضمن الله المعنيين في القراءتين.
- وأما الثالث: فنحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَجَازَىٰ مَنْ نَشَأُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسًا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ ليوسف: ١١٠-١١١. قرئ بالتشديد والتخفيف في لفظ كذبوا المبني للمجهول. فأما وجه التشديد، فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم. وأما وجه التخفيف، فالمعنى: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم أي كذبوا عليهم فيما أخبروهم به. فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للمرسل. والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.^(١) ثم قال أيضاً: (فليس في شيء من القرآن تناف ولا تضاد ولا تناقض. وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحداً من الأمة رده، ولزم الإيمان به، وأنه كله منزل من عند الله، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، وإتباع ما تضمنته علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظناً أن هذا تعارض).^(٢)

(١) نظر: المصدر السابق ٢/٢٥٦

(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

(د) أرجح الأقوال في المراد بالأحرف السبعة:

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال ملح وهو ، ما المراد بالأحرف السبعة التي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث ؟ وما أرجح أقوال العلماء في هذا ؟ وللإجابة عن ذلك أقول:

لقد اختلف العلماء كما أسلفنا في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً واسعاً ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى كما وضع في هذا السرد ، ولكن أرجح المذاهب والأقوال أن المراد بالأحرف السبعة هي الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف. وهذه الأوجه لا تخرج عن سبعة أمور وذلك على مذهب الإمام الرازي الذي وافقه جمهور المحققين، وكما نقل ذلك الشيخ أحمد إسماعيل البيلي في أرجوزة الجمانة^(١): وهي كما يلي:-

١. اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [البقرة: ٨١]. حيث قُرئ "خطيئته" بالإفراد. وقُرئ "خطيئاته" بالجمع.

ومثال آخر قال تعالى: ﴿ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾ [المائدة: ١٠٧]. قُرئ "الأوليان" مثني "أولى" وقُرئ "الأولين جمع أول.

٢. اختلاف تصريف الأفعال من ماضي ومضارع وأمر.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ [البقرة: ١٨٣]. قُرئ "تطوع" فعل ماضي. وقُرئ "يطوع" فعل مضارع.

ومثال آخر قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ ﴾ [الزخرف: ٢٤]. قُرئ "قال" فعل ماضي. وقُرئ ﴿ قُلْ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ ﴾ فعل أمر.

(١) انظر: أرجوزة الجمانة وشرحها، البيلي أحمد إسماعيل: وهو أستاذ سوداني معاصر، على علم واسع بالقراءات واللغة العربية، تقلد عدة مناصب في السودان والإمارات، منح وسام الجدارة من جمهورية موريتانيا الإسلامية، ووسام العلم والآداب من السودان، له العديد من المصنفات في القراءات وتوجيهها، أديب وشاعر وناقد، عضو مجمع الفقه الإسلامي بالسودان.

٣. اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَكُ حَسَنَةً نُّضَاعِمًا﴾ [النساء: ٤٠] قُرى حسنة بالنصب وحسنة بالرفع.

٤. اختلاف الإثبات والحذف. ومثاله قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤]. قُرى بحذف هو وقُرى بإثباتها في سورة الحديد.

٥. اختلاف التقديم والتأخير مثل قوله: ﴿وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٩٥]. قُرى "وقتلوا وقاتلوا" بتقديم و"قتلوا" وتأخير و"قاتلوا" وقُرى "وقاتلوا وقاتلوا".

٦. اختلاف الإبدال أي جعل حرف مكان حرف آخر مثل ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. قُرى "فتتبتوا" بجعل التاء مكان الباء والياء مكان الياء والتاء مكان النون.

٧. اختلاف اللهجات مثل الفتح والإمالة، والإدغام والإظهار، وإبدال الهمزة وتحقيقتها أو تسهيلها، ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها أو إبقائها. إلى غير ذلك من اختلاف اللهجات^(١).

وبناء على ما تقدم ذكره من أوجه الخلاف السبعة فإنه ليس المقصود بالأحرف السبعة القراءات السبع التي أنزل بها القرآن، لأن القراءات السبع بل العشر هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها الكتاب المجيد. كما جاء في الحديث الذي ورد ذكره آنفاً في ثنايا هذا البحث (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)^(٢).

وهنا قد يطراً على الذهن سؤال آخر وهو:

(هـ) لماذا إذا نسبت القراءات إلى الأئمة القراء؟

وللإجابة عن ذلك أيضاً أقول:

نسبت القراءات إلى الأئمة القراء (نافع، عاصم، الكسائي، وغيرهم) نسبة اشتهار وإعلام. لأن كل واحد منهم قضى مدة حياته يقرأ بالقراءة التي اشتهر بها في

(١) والأمثلة كثيرة في هذا المجال كالناس والنار "بالنسبة للفتح والإمالة" "وإذ جاءكم من فوقكم الإدغام والإظهار في الذال مع الجيم.

(٢) سبق تخرجه في المطلب الثاني من هذا البحث.

مصر معين من الأمصار وظل يقرئ بها الناس فعُرف بها وذاعت باسمه فيقال قراءة نافع - رواية قائلون - أو ورش وقراءة عاصم رواية حفص مثلاً، وهكذا.. فهذه النسبة إلى تلك الأسماء والأعلام من الأئمة الكرام إنما هي نسبة قراءة وإقراء ومداومة وملازمة، وليست نسبة ابتداء أو اختراع أو تأليف فإن القرآن الكريم بجميع قراءاته ورواياته وطُرقه إنما أخذ بالتلقي والمشاهدة والأخذ عن المشايخ الكرام المتصلي السند برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام كما أكد أهل العلم والتحقيق.^(١)

وإلى هنا أسدل الستار عن حقيقة القراءات بحسب آراء وأقوال علمائنا الأجلاء من سلف هذه الأمة وخلفها، وأدلف إلى المحور الثاني من هذه الورقة البحثية الذي يتناول شطحات وشبهات أولئك القوم الذين لا يدينون بملتنا ولا يعتقدون بمصدرية قرآننا، إنما ينطلقون في كل أقوالهم وآرائهم من حقيقة واحدة هي الطعن والتشكيك في ما يجمع هذه الأمة ويوحدها.

(١) تقريب المعاني في شرح حرز الأمان، ١٣/١ - خالد محمد الحافظ، وسيد لاشين، مكتبة دار الزمان بالمدينة المنورة ط/٣ ١٤٢٠هـ.

المبحث الثاني

مناهج المستشرقين، حججهم وشبهاتهم في التشكيك بمصدر عقيدة الأمة، والرد عليها

وبه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مفهوم المنهج والاستشراق والمستشرقين !

أولاً: معنى المنهج لغة واصطلاحاً.

(أ) معنى المنهج لغة: هو: الطريق الواضح، جاء في المعجم الوسيط: نهج الطريق نهجاً ونهوجاً، أي وضع واستبان، ويقال: نهج أمره، ونهج الدابة أو الإنسان نهجاً ونهيجاً، تتابع نفسه من الإعياء، ^(١) قال تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مَكُمُ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) المائدة: ٤٨.

(ب) معنى المنهج اصطلاحاً: المنهج كمصطلح يعني: طريق البحث في علم من العلوم أو مجموع القواعد والنظم العقلية من أجل اكتشاف الحقيقة والبرهنة عليها.

ويعرف المنهج كذلك بأنه الخطة المرسومة، ومنه منهج الدراسة والتعليم، وفي

التربية يعني: الوسائل والخطط التي تحقق الأهداف المتوخاة.^(٢)

ثانياً: معنى الاستشراق والمستشرقين وأشهرهم:

(أ) معنى الاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق اتجاهٌ فكريٌّ، يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة. وقد كان مقتصرًا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله، لغاته، وأديانه، وتقاليده، وآدابه.^(٣)

وأما المستشرقون: فهم مجموعة من علماء الغرب الذين اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية، ولغات الشرق، وأديانه، وآدابه، وأكثر هؤلاء المستشرقين هم من

(١) انظر: المعجم الوسيط، ٢/٩٩٥. ط دار عمران. بدون تاريخ.

(٢) انظر: تخطيط المنهج، راتب قاسم عاشور، ط ١/ دار المسيرة، ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: موسوعة (ويكيبيديا) على شبكة الانترنت.

القساوسة المنتظمين في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تبشيرية بحتة ومنهم آخرون موظفون ببلدانهم، في الدوائر السياسية، والإدارية المختصة بشؤون الاستعمار، بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك.^(١)

(ب) أشهر المستشرقين القدامى والمعاصرين:

المستشرقون خلائقٌ كثير لا يحصي عددهم إلا الله، وقد استمر عملهم المنظم ما يقارب الثلاثمائة عام ورُتب لهم من الميزانيات والمخصصات الشيء الكثير، وفتحت لهم المعاهد والمدارس. وسوف أذكر هنا بعضاً من أشهر أولئك المعاصرين للتعريف بهم وليس تدلُّ بهم على البقية الآخرين ممن لم يذكروا في هذا البحث وأبدأ بزعيمهم وكبيرهم.

- سلفستردى ساسي:

ويلقب بشيخ المستشرقين الفرنسيين، ولد في باريس في ٢١ سبتمبر ١٧٥٨م، اختار التخصص في الدراسات العربية والشرقية، وكان يتقن اللغتين العبرية والعربية و اللغات الأوروبية، تقلد مناصب كثيرة لها صلة بالمجال العلمي والأكاديمي، له شهرة واسعة في أوروبا، تخرج على يده عدد من كبار المستشرقين من أمثال: فلوجل ووكازيميرسكي ورينو وراسموسن وستيكل وفليشر وغيرهم، كانت وفاته بنوبة قلبية في فبراير ١٨٢٨م.^(٢)

- د. س. مرجيليوت:

هو مستشرق إنجليزي متعصب جداً ضد الإسلام، وهو من محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، وقد كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري، وعضواً بالمجمع العلمي بدمشق، ومن كتبه (التطورات المبكرة في الإسلام).

(١) انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي عبد الرحمن، ١٢٣/٢. وكذا: الاستشراق، إدوارد سعيد، ٢٣١.

(٢) المصدر السابق. وكذا موسوعة (ويكيبيديا) الشبكة العنكبوتية.

وقد اتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتهم كثيرة، وبأوصافٍ قدرية، منها قوله: (لقد عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته للمدينة، على التلصص والسلب والنهب.. (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) [الكهف:٥].

ومما يجدر ذكره أن هذا المستشرق هو أستاذ الأديب المصري المعروف طه حسين، ومنه نقل طه حسين بحثه عن الشعر الجاهلي^١، وأيضاً هو صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم). وبالجملة فهذا المستشرق هو أخبث المعاصرين على الإطلاق، وأوقحهم، وأجراًهم، وأقلهم حياءً^(١).

- (فيليب حتى) :

لبناني نصراني أمريكي الجنسية، كان رئيساً لقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا، وهو من أخبث المستشرقين، وله كلام عن الإسلام. وعن النبي صلى الله عليه وسلم، يدل على مدى حقه على الإسلام ونبيه، وقد ملأ بحوثه بالكذب والافتراء وتزييف الحقائق، وقد كان مستشاراً في وزارة الخارجية الأمريكية، في شؤون الشرق الأوسط، ويكره أن ينسب للإسلام أي فضل أو خير، من كتبه (تاريخ العرب) وهو كتاب مليء بالحقد والظعن على الإسلام، والسخرية بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كتبه أيضاً (تاريخ سوريا)، وكتاب (أصل الدروز وديانتهم)⁽²⁾

- (هنري لامنس اليسوعي):

مستشرق فرنسي حاقد، وهو أحد محرري (دائرة المعارف الإسلامية)، شديد التعصب ضد الإسلام، لدرجة أقلت بعض المستشرقين أنفسهم، من كتبه: (الإسلام)، وكتاب (الطائف).

(٥) موسوعة المستشرقين، المصادر السابق.

(٦) المصدر السابق.

- (هـ.أ.ر. جب) H. A R. gipp

انجليزي من مواليد الإسكندرية، وهو خليفةٌ لمرجليوث في جامعة اكسفورد، وهو أحدُ المستشرقين الذين يهاجمون الإسلامَ من طرفٍ خفي، وإن كان يبدو في الظاهر أنه منصفٌ، وتتسمُ كتاباته بالعمق، ولا يظهرُ الطعنُ فيها إلا لمن سبر غورَ كتبه، وأحسن قراءةً ما بينَ السطور.

ومن كتبه ومؤلفاته: كتابُ (طريق الإسلام) ألفه بالاشتراك مع آخرين، وقد تُرجمَ للعربية، وكتابُ (الاتجاهاتُ الحديثة في الإسلام) وقد تُرجمَ للعربية أيضاً، وهو أحدُ محرري دائرة المعارف الإسلامية.

- بيرنارد لويس:

يهوديٌّ متعصبٌ وهو من الولايات المتحدة الأمريكية، كانَ في ابتداء أمره يحملُ توجهاتٍ يساريةً، ثمَّ في فترة الستينات تحوَّلَ وانقلبَ إلى داعيةٍ من دعاة الصهيونية وحاقداً على كلِّ ما يمتُّ إلى الإسلام والمسلمين بصلَّةٍ .
ويعتبرُ لويس أحدَ أهمِّ المنظرين الروحيين لدرسة المحافظين الجدد في أمريكا، ويعتبرُ كذلك أحدَ أهمِّ الباحثين الأمريكيين، ولا زالَ يعيشُ حتى الآن وعمره يزيدُ على التسعين، ويتقنُ سبع لغات، وله دورٌ رئيسٌ في رسم السياسات الخارجية للحكومة الأمريكية وللحزب الجمهوري.

- جولد زيهر (ignaz goldziher):

مستشرق مجري الأصل، من أئمة المستشرقين، ولد في ٢٢ يونيو من سنة ١٨٥٠م، من أسرة يهودية، عني بالدراسات العربية والإسلامية وهو في السادسة عشرة من عمره، تردد على البلاد العربية مثل سوريا ومصر كثيراً، كانت وفاته في ١٣ نوفمبر من سنة ١٩٢١م.

- أوطوبرتزل (pretzl otto):

مستشرق ألماني ولد بميونخ في ٢٠ أبريل من سنة ١٨٩٣م، ارتبط اسمه بالدراسات الخاصة بالقرآن الكريم، وصرف اهتمامه للغة العربية ولهجاتها، قتل في حادث عسكري في ٢٨ أكتوبر ١٩٤١^(١).

المطلب الثاني: المستشرقون الذين تناولوا قضية القرآن والقراءات، والوقوف على أشهر أقوالهم والرد عليها:

أقول وبالله الاستعانة ومنه المدد والتوفيق: إن المستشرقين الذين تخصصوا في القرآن الكريم وعلومه كثيرون جداً، لا تخلو مدرسة من مدارس الاستشراق الغربي من جماعة مهتمة بالقرآن الكريم، لذلك وقع الاهتمام في هذا البحث على أقدمها وأهمها وهو كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه (١٨٣٦م- ١٩٣٠م)، فهو من أقدم الكتب، ومن أهمها، وله تأثير كبير على مجمل الدراسات والأبحاث التي اهتمت بالقرآن الكريم قديماً وحديثاً بل تعدى تأثيره إلى القراءات العربية المعاصرة للقرآن الكريم، فأثره في الغرب والشرق حول القرآن بليغ جداً، كان تيودور نولدكه (noldeke Théodor) هو صاحب الفكرة و الاقتراح الذي وضع نواة هذا المشروع الذي أصدره عام ١٨٦٠م باللغة الألمانية، تناول فيه قضية جمع القرآن وتدوينه وروايته، وقضية ترتيب السور، وكان هو السبب من المستشرقين إلى إعادة ترتيب القرآن بحسب النزول، وهي الشبهة التي توارثها المستشرقون فيما بينهم على عبر عصور التاريخ المختلفة إلى يوم الناس هذا.^(٢)

ولكنني أتجاوز - ولضيق المساحة - الخوض في تفاصيل هذا الكتاب وأدلف مباشرة إلى استعراض أهم شبهاته، وشبهات غيره من المستشرقين ومن ثم الرد عليها وبالله التوفيق.

(٣) المصدر السابق: الرابط: الشبكة الإسلامية. <http://www.islamweb.net>

(٤) انظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحددين، عبد الفتاح القاضي ص ٢٣، وكذا المستشرقون والقرآن الكريم، إبراهيم عوض

تمهيد وإثبات قبل سرد الشبهات:

أولاً: ليست مسألة القراءات القرآنية مجالاً للتبديل والتحويل، ولا هي مجال للتغيير والتحرير، فمجالات العلم، ولذلك فالكلام عنها لا يكون إلا بالعلم ومن منطلق العلم والتجرد، وبهذا فالقراءات ليست مجالاً للظن والتخمين، ولا هي ميدان لتطبيق المناهج السفسطائية أو اللسانية أو أي منهج من مناهج العلوم الإنسانية الأخرى.

ثانياً: من مستلزمات علم القراءات أن يجيد المتكلم فيها (قراءة القرآن) بإحدى القراءات السبعة أو العشرة المعتبرة، أو على الأقل برواية واحدة من رواياته المتعددة، لأن من مستلزمات الفهم والإفهام التطبيق، وهو وسيلة مهمة من وسائل العلوم التجريبية والتطبيقية، والمستشرقون المتكلمون في القراءات القرآنية يفتقرون إلى ذلك مع عجمة اللسان، ثم هم لا يطبقونه، بل يلحنون ويلحدون كما وصفهم الله تعالى، وجُلُّ مهمهم ينصبُّ في بتر الحقائق حتى يبدو للناظر غير المدقق والمحقق أن طرحهم موضوعي وهنا يحصل تلبس إبليس ويتم التشويش، وهذا هو غرضهم ومرادهم. قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعَلْنَا

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) [النحل: ١٠٣].

ثالثاً: إذا تعذر ما ذكر من موضوع الإمام بقراءة القرآن وسلامة المقصد، فعلى الأقل لا بد من المحافظة على مكونات العلم الذي من خصوصياته المحافظة على المصطلحات القرآنية مبنًى ومعنى، والمصطلحات كما هو معلوم هي نواة العلوم، وعند النظر بعين الفحص والنقد، يتبين أن (نولدكه) ومن تبعه وشايعه من المستشرقين قد غيروا كثيراً في معاني المصطلحات وحملوها ما لا تحتمل ويستبين ذلك ويتضح من خلال سرد وإيراد تلك الشبهات عبر الأسطر التالية:-

(أ) الشبهة الأولى: التشكيك في أول كلمة نزلت (اقرأ):

من المعلوم أن أول كلمة أنزلت هي قوله تعالى (اقرأ) ومصطلح (القراءة) الذي يشتق منه اسم (القرآن) واسم (القراءات) هو المقصود بالبحث هنا من الناحية اللغوية، ولكن يذهب المستشرق noldeke (نولدكه) إلى أن (اقرأ) هي كلمة حضارية لا

يمكن أن تنشأ عند العرب البدول، ولذلك لا يمكن أن تكون كلمة سامية قديمة، وافترض أنها انتقلت إلى بلاد العرب من شمال الجزيرة، وأعطى لمصطلح قراءة معنى (نادى) لأنه هو المعنى الأصلي للكلمة في اللغتين العبرية والآرامية، أما اللغة العربية - حسب فهمه - فهي لا تعرف الكلمة بهذا المعنى، ثم عاد فقرر أنها مأخوذة من اللغة العبرية بناء على قرائن واهية لا تصمد أمام البحث اللغوي الأصيل، أما كلمة (اقرأ) التي وردت في فاتحة سورة (العلق) فقد فسرها بتفسير غريب وهو: (عظ)، ثم رتب على هذا كله أن كلمة (قرآن) لم تتطور داخل اللغة العربية فهي مأخوذة من كلمة سريانية ومطبقة على وزن فعلان!^(١)

هكذا يحاول (نولدكه) أن يرتب على أمية العرب وأميه النبي صلى الله عليه وسلم عدم أصالة القراءة ليربطها باللغة العبرية والآرامية بتأويل لسانني غير مقنع! والمعنى الذي ذهب إليه في تفسير الكلمة من سورة العلق يشبه ما ذهب إليه المستشرق (ألويس شبرنجر)^(٢) حين قدم إفادة عجيبة لا تخلو هي الأخرى من الغرابة، فقد زعم أن كلمة (اقرأ) في السورة تعني (اقرأ كتب اليهود والمسيحيين المقدسة). ولا غرابة في ذلك فإن (نولدكه) كان يتعاون مع (شبرنجر) في إنجاز هذا النوع من الأبحاث المبتورة ذات الغرض الارتياحي والتشككي حتى في المسلمات اللغوية والمصطلحات الواضحة.

(ب) الشبهة الثانية (التفسير الخاطئ للمصطلحات) من جهل شيئاً عاداه:

أما المستشرق (أوطو برتزل) فإنه يسمي الأمور بغير مسمياتها، يعني أنه يستخدم مصطلحات خاصة من دون المحافظة على المصطلح القرائي الذي هو الأصل في الفهم و البحث والمعالجة، فهو يطلق على (الإدغام) (الدمج)، والدمج شيء والإدغام في

(١) انظر: موقف المستشرقين من القراءات القرآنية من خلال كتاب تاريخ القرآن ل نولدكه، د. محمد خرويات، ٢٠١٤هـ.

(٢) ألويس شبرنجر SPRENGER ALOYS ولد في سنة ١٨١٣م، نمساوي الأصل، نجس بالجنسية البريطانية، طبيب متخصص، عين في الهند طبيياً، ثم اشتغل مترجماً للغة الفارسية فمدرسا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، ثم اعتزل التعليم إلى التأليف والنشر، توفي في سنة ١٨٩٣م، له ترجمة في كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي ٢٧٧/٢-٢٧٨، طبعة دار المعارف مصر، الرابعة.

القراءات شيء آخر، ويطلق على (الوقف) (القطع) يقول: (من ناحية أخرى من الممكن أن تقطع الكلمة بعد الحروف القابلة للوصل في نهاية السطر)، ويطلق على (الإخفاء) (الاختفاء)، والأول ليس هو الثاني، لأن الأول مصطلح والثاني ليس بمصطلح، يقول: تختفي الواو والياء أحياناً باعتبارهما شبيهي حركة دون سبب وجيهه^(١)

الشبهة الثالثة: المقارنات الجائرة وغير المنطقية:

اعتمد (نولدكه) وتلاميذه ومن تبعه وشايعه أسلوب المقارنات، وهي مقارنات اعتباطية لكونها تتم بين أطراف غير متجانسة، يقارنون الإسلام بالمسيحية واليهودية، والقرآن بالتوراة والإنجيل، واللغة العربية بالعبرية والآرامية وغيرها، كما يقارنون بين كتب القراءات القريبة والبعيدة في الزمن، وبين الأعلام وإن تباينوا، وبين القراءات وإن اختلفت.

هذا النوع من المقارنات هو سمة كتاب (تيودور نولدكه)، ومن المقارنات التي اعتمدها وسعى إلى بحثها المقارنة بين مصحف عبد الله بن مسعود الذي أطلق عليه (نص ابن مسعود) ومصحف أبي بن كعب الذي أطلق عليه (نص أبي) ومصحف عثمان بن عفان الذي أطلق عليه هو الآخر (نص عثمان).

بدأت المقارنة أولاً بين نص ابن مسعود ونص أبي، أفضت إلى إصدار أحكام غير مرضية علمياً، نتأمل هذه المقارنة التي يقول فيها ما يلي:-

(تعود أسباب هذا الاختلاف في صفة الرواية لابن مسعود ولأبي إلى اختلاف الظروف الخارجية للتأثير الذي مارسه كلا النصين، فكما يشير إليه التآرجح حول سنة وفاته لم يلعب أبي بعد وفاة محمد أي دور مرموق، وسواء بسبب موته المبكر أو لأسباب أخرى فقد أزيح عن المسرح السياسي، وانتشر نصه القرآني على الصعيد الشخصي فقط^(١)).

ويمضي قائلاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود: (أما ابن مسعود فكان والياً على الكوفة، وكان يملك بالتالي إمكانية، استطاع استغلالها بنجاح لإيجاد اعتراف

(١) المصدر السابق.

رسمي بقرآنه!، - تصوروا هذا الاستخفاف والإرجاف - ويمضي قائلاً: (ويبدو أيضاً أن مصير نسختي القرآن، أي نسخة ابن مسعود ونسخة أبي كان متغيراً، فقد اختفت نسخة أبي بكرراً وربما لم تتسخ أبداً، أما نسخ ابن مسعود فأخذ عنها لمدة طويلة!) أما المقارنة بين نص ابن مسعود ونص عثمان رضي الله عنهم أجمعين فقد ساق فيه كلام المستشرق (غولد سيهر) معتمداً على استنتاجاته في الموضوع، فيقول: (عالج غولد سيهر كتابات ابن مسعود وقراءاته وكافة قراءات القرآن من منظور الاختلاف عن نص القرآن الحقيقي، وتوجد في الواقع حالات كثيرة في الكتابات والقراءات المنسوبة لابن مسعود غير فيها النص العثماني الخطأ!)، أو على الأقل يظهر فيها دافع للاختلاف عن النص العثماني، أي أن نص ابن مسعود يصبح نصاً ثانوياً، والدوافع الأهم، وإن لم تكن الأقوى، تشمل ما أبرزه (غولد سيهر) من إزالة المخالفات من حيث المحتوى أو الإيضاح الموضوعي أو التوضيح اللغوي للنص.

قراءة نقدية وتوضيحية لهذه المقارنات:

تضمنت هذه المقارنات كلاماً يستوجب التوقف ملياً، لأنه كلام عام وغير محدد، وأحكام مطلقة وغير مقيدة، واستنتاجات بعيدة عن العلم والمعرفة، وأقوال غير صحيحة ولا تتطابق مع حقائق التاريخ والواقع.

لقد تمَّ التوقف كثيراً عند نص ابن مسعود، وترتب عن هذه المقارنة استخلاص الاختلافات الموجودة بين المصاحف، وقد ترتب على هذه الاختلافات وجود اختلافات في القراءة، وهو استنتاج بعيد، ذلك أن مصاحف الصحابة لم تكن كاملة ومهذبة لأنها لم تكن خاصة بالقرآن وحده بل كانوا يكتبون إلى جنب القرآن، الحديث، والفقه، والتفسير، لذلك بادر الخليفة عثمان رضي الله بجمع الصحابة على مصحف إمام مجرد من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن الاختلاف راجعاً لمصحف عثمان ولا لمصاحف الصحابة وإنما هو راجع إلى ما حفظ في الصدور، والتعويل في اختلاف القراءات المسندة المشهورة الصحيحة على

الحفظ لا على مجرد الخط والكتابة كما أوضحت ذلك في ثنايا هذه الورقة البحثية. (١)

أما الاختلاف بين القراءات الصحيحة المتواترة والتي تلقفتها الأمة بالقبول فهو من نوع الاختلاف الطبيعي، الاختلاف الذي يدخل في مجال التيسير على العباد، هذه الأمور كلها لا تعني عند نولدكه ومن تبعه شيئاً، لقد سمح لنفسه بتجميع مواد النصين ومحاولة مقارنتهما بنص سيدنا عثمان رضي الله عنه بإبداء ملاحظات لم يكن القرآن المجمع عليه اليوم في حاجة إليها، فهي ليست واقعية من حيث القراءة والتعبد، ولا عملية من حيث القبول والرضى، لقد جمع الخليفة عثمان رضي الله عنه المصحف من عدة صحف، وأمر اللجنة أن تكتبه بلغة قريش، ورضيت الأمة العمل به وتلقته بالقبول وأجمعت عليه، وأمة خير القرون لا تجتمع على ضلال أو هوى.

إن اهتمام المستشرقين بمصحف ابن مسعود وأبي بن كعب شابه نوع من التكلف والإفراط والغرض في المعالجة والكلام، ظناً منهم أن سيدنا عثمان بصفته خليفة المسلمين أقصى وجودهما من الاعتبار مبقياً على مصحفه الذي لا يخلو هو أيضاً من الغمز والطعن، والغرض البعيد القريب هو التشكيك في مصحف سيدنا عثمان نفسه، وزرع بذور الريبة في الموروث العقدي للأمة الإسلامية كما أنها لا تملك معايير الصواب والخطأ، وهذا ما يودون التأكيد عليه بسوء نية وقصد.

الشبهة الرابعة: القرآن المسموع يخالف المكتوب:

في فقرة من الفصل الثاني من الكتاب المتعلق بـ (القراءة) والمعنون لها بـ (علاقة القراءة مع الرسم) يثير (أوطو برتزل) شبهة خطيرة لا تقل خطورتها عن الشبهة المثارة في الكتاب، وهي شبهة متوارثة ينص فيها على أن القرآن الذي هو كلام شفاهي مسموع من الوحي يخالف القرآن المكتوب الذي هو في النص العثماني، وهي محاولة استشراقية يوهم بها أن للمسلمين نوعين من القرآن نوع مسموع من الوحي، تناقلته الأفواه، وقرآن أجمعوا عليه، كُتب في وقت متأخر من الزمان يُدعى (نص عثمان)، ثم

(١) راجع المبحث الأول - المطلب الثاني، أسباب الاختلاف في القراءات.

يعود ليرتب على كل ذلك أن القرآن المسموع لم يتحول إلى مركز الثقل في النص القرآني بل كانت الغلبة للنص المكتوب، ثم يستشهد بأن عمل زيد بن ثابت اعتمد على الأصول المكتوبة في جمع القرآن، هكذا تحول القرآن من النقل الشفوي إلى النص المكتوب، يحاول (برتزل) أن يدعم أطروحته هذه بالنسخ المكتوبة التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار لتتشأ منها قراءات مختلفة.

الشبهة الخامسة حول رسم المصحف وخلوه من نقط الإعراب والاعجام:

ويمضي المستشرق (برتزل) فيثير شبهة الرسم العثماني بقوله: (أن المسلمين يعترفون منذ زمن طويل بأن نص القرآن الذي أصدرته اللجنة التي عينها عثمان لم يكن كاملاً ويعتمد هذا المستشرق في كلامه على روايات واهية، بعضها غير موثق والآخر غير صحيح البتة، أما الشواهد التي استند إليها في هذا التغيير فكلمات من القرآن تقرأ بصيغ مختلفة حسب طبيعة القراءة، وكون ذلك راجع إلى اختلاف القراءات هو نوع من تبرير الخطأ حسب تحليله، الذي يمضي فيه قائلًا: (فالذين يتحملون مسؤولية نص القرآن، أي عثمان ولجنته، وبالطبع النبي نفسه!).

ولا يشك عاقل أن في هذا الكلام فيه تحامل وتجني بل وتناول على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ولا يستند إلى منطق أو علم بالقراءة أو اللغة العربية التي تسوغ هذا الخلاف من أجل التيسير على الأمة كما بينت ذلك بتفصيل في المحور الأول من هذا البحث.

و في هذا السياق ورداً على هذه الأكاذيب يؤكد الكاتب والباحث الإسلامي الدكتور / عبد الفتاح شلبي في كتابه (رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات) قائلًا: (هذا بحث يعالج رسم المصحف، ومكانته في الاحتجاج للقراءات، وقد دفعني إلى معالجة هذا الموضوع رأي قرأته للعالم المستشرق إجنسس جولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) مفاده أن الخط العربي الذي كُتبت به المصاحف لخلوه من النقط والشكل كان سبباً في اختلاف القراءات، وقد أدى ذلك إلى اختلافات نحوية ومعنوية أيضاً، قرأت ما قال جولد زيهر وتدبرته فإذا بي أراه يهدم النقل عن الأئمة

القراء، وينكر صلة هذه القراءات بالسند عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ومعنى ذلك: أن ما كان من هذه القراءات متصلاً بخصوصية الخط العربي - وهو كثير - ليس مما نزل به جبريل على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس من الأحرف السبعة التي نص الرسول في صحيح ما روي عنه أنها كلها شاف كاف، ومعنى ذلك أيضاً إنكار هذا القرآن في الجملة والتفصيل، ثم إنكار ما دار حول نصه الكريم من ثقافات متعددة الألوان، وفي ذلك من الخطورة ما فيه.^(١)

وعلى الرغم مما تثيره مثل هذه الشبهات من تشنجات عند الباحث المسلم وعند كل غيور على دينه وكتاب ربه، فإن الباحث ترك العاطفة جانباً، وتناول الموضوع بروح البحث العلمي المجرد البعيد عن التعصب الديني ومزالقه، وأختتم هذا المطلب بموقف أحد المستشرقين الذي لم يتورع في إبراز حقه وحنقه على المسلمين ومصدر شريعتهم ألا وهو المستشرق القس (جون تاكلي) John Takle حيث قال بصريح العبارة: (يجب أن يُستخدم كتابهم - القرآن الكريم - وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، لنقضي عليه تماماً، يجب أن نجعل هؤلاء الناس يرون أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً!)^(٢).

انظروا إلى هذا الكلام الخطير، ولكن برغم ذلك ومع الجهود الضخمة التي كلفتهم أموالاً طائلة ومجهودات هائلة، فقد رجع المستشرقون على أعقابهم خاسرين. فها هو ذا الإسلام يتمدد في عقر ديارهم وفي عمق أوطانهم في أوروبا وأمريكا وغيرها من بلاد الغرب (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: ٣٢].

(١) انظر: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، عبد الفتاح شلي، ١/١٢١.

(٢) انظر: التبشير والاستعمار، ص ٤٠، ط ٢ بدون تاريخ.

وسيتضح عبر الأسطر الآتية مدى الإخفاق الذي منوا به على كثرة ما بذلوا من جهود فكرية وأنفقوا من أموال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) [الأنفال: ٣٦].

إذا سلمنا جدلاً أن منشأ القراءات وتعددتها إنما هو تجرد المصاحف من النقط والشكل، فلماذا لم تقبل القراءات الشاذة التي يحتملها رسم المصحف؟، لماذا لم تقبل قراءة الشيعة: (فإذا فرغت فأنصب)؟ بكسر الصاد، مع أن الرسم يحتملها؟، ولماذا لم تقبل قراءة بعض المعتزلة " (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حيث قرؤوها (من شر ما خلق) بتوين شر و اعتبار ما نافية، لماذا لم تقبل مع أن الرسم يحتملها؟

الجواب أن هاتين القراءتين وغيرهما من القراءات الشاذة لم تقبل وإن احتملها الرسم لأنها لم تثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن أخذ القراءة المعول عليه هو التلقي بالمشافهة والسند المتصل والقراءة سنة متبعة.

يقول أحد هؤلاء المستشرقين^(١) معلقاً على كتاب المصاحف لأبي الأشعث السجستاني^(٢): (وكانت هذه المصاحف كلها - يعني مصاحف سيدنا عثمان التي بعث بها إلى الأمصار خالية من النقط والشكل، وكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات ومثال ذلك كلمة: (يعلمه) كان يقرؤها الواحد (يعلمه) والآخر (نعلمه) أو (تعلمه)... إلخ حسب تأويله للآية).^(٣) انتهى كلام المستشرق.

(١) وهو المستشرق المبشر آرثر حفري الإنجليزي الأصل الذي عاش في المشرف الإسلامي، الشام خلال حقبة الثلاثينات من القرن الماضي.

(٢) هو: أبو الأشعث السجستاني، أحد الأئمة الأعلام في القرن الرابع الهجري، ت ٣١٦ هـ.

(٣) مقدمة كتاب المصاحف ٧/١٠، ط ٢، بدون تاريخ.

وأنا أتأمل وأقرأ كلام هذا المستشرق المنكر المشكك أعجبنى جداً كلام ساقه شيخنا العلامة البيلي^(١) رداً على المستشرق آرثر جفري قائلاً:

(يدل كلام آرثر جفري هذا على أن التلقي لا دخل له في إقامة النص القرآني، وقد عبر عن جهله حيث غفل عن قول النبي ﷺ، عندما اختلف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، فقد استقرأ كل منهما السورة المختلف عليها، فلما اطمأن على أن قراءة كل منهما صحيحة ومتفقة مع الهيئة التي أوحاها الله إليه، قال لكل منهما هكذا أنزلت.)^(٢)

وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه قد أرسل مع كل مصحف من مصاحف الأمصار قارئاً يتلقى الناس منه القرآن، حرصاً على الضبط المروي مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان جفري ملماً بأساليب اللغة العربية وقواعدها وتراكيبها لأدرك أن الهيكل الكتابي الذي استشهد ومثّل به لا يخلو أمره من حالتين:

١. أن يكون فعلاً مضارعاً مبدوءاً بالنون أو الياء أو التاء.
٢. أن يكون مصدرراً مجروراً بالياء مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب، وأول الفعل المضارع يحكي السياق، فلو كان قبله ضمير جماعة المتكلمين "نحن" أو "أنا" المسبوق بـ "إن" فسيكون التركيب (إننا) أو (نحن) نعلمه، وإذا سبقه ضمير الغائب المؤنث فسيكون التركيب هي (تعلمه) وهكذا في كل فعل مضارع مسند لجماعة المتكلمين أو للمفرد المذكر مخاطباً أو غائباً أو للمؤنث الغائبة.

ولزيد من التدليل على فساد ما ذهب إليه المستشرق آرثر جفري أورد الهيكل الكلمي المرسوم بدون نقط الذي يمكن أن يكون أوله نوناً أو ياءً أو تاءً في القرآن الكريم كله حتى يتضح بالبرهان الاستقرائي أن هذا المستشرق إنما فرى فرية كبرى بقوله: "إن القارئ في المصاحف العثمانية كان حراً في نقط النص القرآني

(١) سبقت الترجمة له في المبحث الأول من هذه الورقة.

(٢) لقد أوردت الحديث بنصه مخرجاً في المبحث الأول.

وشكله حسب تأويله". فقد ورد هذا الهيكل في تسعة مواضع من القرآن الكريم، جاء في خمسة منها فعلاً مضارعاً، وفي أربعة منها مصدرأً مجروراً بالباء، مضافاً إلى ضمير الغائب المفرد^(١).

أما المواضع الخمسة التي جاء فيها مضارعاً فهي كما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].
٢. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].
٣. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].
٤. قوله تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٧ - ٤٨].

٥. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

- هذه هي الأفعال الخمسة التي وردت بصيغة المضارع المسند إلى ضمائر مختلفة، فتأمل معي الأفعال المتصلة بضمير الغائب تجدها كلها متصلة بالله عز وجل وهي الأفعال الثلاثة الأولى.

- والسؤال المطروح هنا: كيف يتأتى لقارئ أن يذهب به تأويله لمعنى من المعاني الأخرى بحيث يشكّل وينقط هذا الفعل الذي هو هيكل بدون نقط أو شكل كما يشاء؟!

- والإجابة أن المعنى لا يستقيم البتة في الأفعال الثلاثة الأولى إلا إذا كان الفعل مبدوءاً بياء المضارعة، فلا يصلح غيرها من أحرف المضارعة كما لا تصلح ياء الجر، فتأمل كيف سيكون التركيب في المواضع الثلاثة الأولى إذا كان النص "تعلمه الله" أو "تعلمه الله" أو "يعلمه الله"؟ إنه لأمر مضحك حقاً، ولكنه عند آرثر جفري جائز ويعدّه برهاناً ودليلاً على أن الحرية كانت سائدة في تعديل النص

(١) انظر: الاختلاف بين القراءات، البيبي ١/١٠٣.

القرآني بحيث استطاع كل قارئ في المصاحف العثمانية أن ينقط النص ويشكّله كما يشاء كي يتناسب مع ما يراه من تأويل!!
إنها لفرية كبرى تدل على الغرض والجهل معاً كما تتطوي على الحقد الدفين الذي يكنه للمسلمين ولمصدر تشريعهم.^(١)

أما الموضوعان الآخران فإن اللفظ المتواتر في الموضوع الرابع "يعلمه الكتاب" بضم الياء وتشديد اللام المكسورة من الفعل الرباعي (علم) وكذلك اللفظ المتواتر في الموضوع الخامس (يعلمه علماء)، ولا يختلف المعنى في الموضوعين إذا قرئت الآية (وعلمه الكتاب والحكمة) بالنون، أو قرئت (أن تعلمه علماء) بالياء، ولكن مع هذا لم يصل إلينا عن طريق التواتر إلا يعلمه في الموضوع الرابع و (يعلمه) في الموضوع الخامس.^(٢)

وهذا يدل على أن المعول عليه في تلقي القرآن الكريم هو المشافهة والسماع، وليست الكتابة إلا عاملاً مساعداً فقط على الحفظ والمراجعة، لذلك فالمسلمون لشدة حرصهم وعنايتهم بحفظ هذا المصدر كانوا يسمعون لفظ الشيخ المقرئ ثم العرض عليه، وفوق ذلك الحرص، فإن الله عزّ وجلّ منزل الكتاب قد تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل أو تغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

أما المواضيع الأربعة التي جاء فيها الهيكل المرسوم مصدراً مجروراً بالياء ومضافاً إلى ضمير المفرد الغائب فقد ورد في الآيات التالية:

١. قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦].

٢. قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٢].

(١) المصدر السابق، ١/١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ١/١٠٤.

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بَعْلَهُ﴾ [فاطر: ١١].

٤. وقوله: ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بَعْلَهُ﴾ [فصلت: ٤٧].

- وفي جميع هذه المواضع الأربعة لا يصح أن يقرأ هذا الهيكل "بعلمه" لو وضعنا نقطتين فوق الحرف "ب" في الآيتين الثالثة والرابعة مثلاً فإنهما، ستقرآن هكذا "وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا نعلمه". وهذا لا يليق وسبحانك هذا بهتان عظيم^(١).
- ومن هنا يتضح بهتان وإفك المستشرق المدعو (آرثر جفري) باستدلاله على دعواه المفضوحة الكاذبة، بهذا الهيكل المرسوم بدون نقط أو شكل "علمه" وأنه قد تخبط وضل ضلالاً بعيداً، ولو أنه رجع إلى مصادر اللغة العربية وإلى مضارع "علم" ومصدره المجرور بالباء في القرآن لأدرك فساد رأيه، ولكن ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(١) المصدر السابق / ١ / ١٠٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بأفضل المعجزات. وعلى آله وصحبه الكرام السادات، أهل الفضل والسبق والمكرمات، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم البعث والحشر بعد الممات. وبعد:

فإن العبرة بالخواتيم، وها أنا ذا أصل بعون الله وتوفيقه وفضله ومنه إلى خاتمة هذا البحث الذي بذلت فيه طاقتي ووسعي، ولا أدعي أنني قد أحطت بالموضوع كله من كل جوانبه، ولكن أحسب أن لي بصمة في الأمر، وربما تكتمل الصورة بتلك الإضاءات والإضافات التي يضعها كل باحث وطالب علم غير على دينه وكتاب ربه. هذا.. وقد استعرضت في هذه الورقة موضوع القراءات القرآنية من الجوانب التاريخية والعلمية، كاشفاً آراء العلماء القدامى والمعاصرين في مسألة تواتر القراءات وصحتها وأنها تمثل إجماع الأمة، كما بينت الفرق بين القراءات والأحرف السبعة، وشروط صحة القراءة، ثم عرجت إلى الجانب الآخر والذي يتعلق بآراء المستشرقين في هذا الوحي الخاتم، فبينت مقولاتهم المبنية على الطعن والتشكيك، وعلى ماذا يستندون؟ وقد تم تنفيذها بالجدّة والبرهان، والعلم والبيان، وخلصت في خاتمة المطاف إلى النتائج التالية:-

نتائج البحث

أولاً: إن الاستشراق كظاهرة غربية عنيت بدراسة عقيدة المسلمين وتاريخهم، كان هدفها الأول النيل من الإسلام عقيدةً وشرعيةً وقيماً ومرجعيات ورموزاً، ولم يكن الهدف المقاربة أو البحث عن الحقيقة.

ثانياً: إن أطروحة (حوار الحضارات) التي نادى بها بعض المفكرين ورموز الأمة الإسلامية وقادتها يجب أن تبنى على الندية والتكافؤ، وأنها تمثل جميعاً أمة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم (أمة الدعوة وأمة الإجابة) وبالتالي يجب أن يسود الاحترام

والتوقير والتقدير والتقدیس لإرث هذه الأمة وعقيدتها، وعدم الإساءة إلى معتقديها، وتجريم المشككين والطاعنين فيها.

ثالثاً: إن القراءات القرآنية المتواترة (سبعية كانت أم عشرية) ظل المسلمون متمسكين بها عبر القرون والحقب ولم يتخلوا عنها رغم الكيد والاستهداف المستمر، بل ما زاد طعن الطاعنين فيها إلا مزيد استمسك الأمة المسلمة والإقبال على تعلمها ودراستها والتخصص فيها وفتح عشرات الأقسام بكليات الجامعات في العالم الإسلامي وهذا يعتبر برهاناً على استمسك الأمة بهذا الميراث الخالد المحفوظ بعناية الله عز وجل، وعليه أوصي بالآتي:-

التوصيات:

١. يوصي الباحث بعقد ملتقى عام يتناول هذا الموضوع بصورة أوسع تقدم فيه أوراق تتناول دقائق الأمر وتسبر أغواره لأنه من المواضيع الملحة.

٢. يوصي بضرورة العناية بالقراءات القرآنية في مجال التعليم العام (تدريسياً وتحفيظاً بالسند المتصل) كما يوصي تخصيص الكراسي العلمية في مرحلة التعليم العالي (بحثاً وتنقيباً ورداً على شبهات الأعداء) الذين لن يكفوا عن استهدافهم وتربصهم. كما قال تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُكْفِرْ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) البقرة ٢١٧.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١- إبراز المعاني شرح حرز الأماني، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل.
 - ٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد البنا الدمياطي.
 - ٣- أرجوزة الجمانة وشرحها، أحمد إسماعيل البيلي ط ١ / ٢٠٠٦م.
 - ٤- الإلتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٥م.
 - ٥- الاختلاف بين القراءات، أحمد إسماعيل البيلي.
 - ٦- الاستشراق. إدوار سعيد.
 - ٧- الاستشراق والقرآن العظيم، محمد خليفة - مروان عبد الصبور شاهين.
 - ٨- الإضاءة في أصول القراءة، علي محمد الضباع، م البابي الحلبي - القاهرة ١٩٨٤م.
 - ٩- البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة أنس مكة المكرمة، ٢٠٠٢م
 - ١٠- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي.
 - ١١- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة المتممة للعشرة، علي محمد فاخر.
 - ١٢- الشبكة الإسلامية على الانترنت، الرابط: <http://www.islamweb.net>
 - ١٣- القراءات أحكامها ومصادرها ط/٤ القاهرة، م دار السلام، ٢٠٠٨م، إسماعيل شعبان محمد.
 - ١٤- القراءات المتواترة التي أوردها بن جني في كتابه (المحتسب) رسالة دكتوراه غير مطبوعة، صالح سنين صالح.
 - ١٥- القراءات المتواترة وأثرها على الرسم العثماني والأحكام الشرعية. ط/١ دار الفكر - بيروت. محمد الحبش.(رسالة دكتوراه مطبوعة)
 - ١٦- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح القاضي.

- ١٧- الكشف عن وجوه القراءات وعللها، مكّي بن أبي طالب.
- ١٨- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، م. دار عمران.
- ١٩- آليات الاستشراق في الدراسات الإسلامية - سلسلة تصحيح صورة الإسلام - رقم: ٢٠٠٧/٤م.
- ٢٠- بحوث في الإستشراق - قراءة في التاريخ (موقع الكتروني على الأنترنت) الرابط:
<http://www.youtube.com/watch?v=HodzrTyoAY>
- ٢١- تاريخ القرآن للمستشرق الألماني (نولدكة).
- ٢٢- تقريب المعاني في شرح حرز الأمانى، خالد محمد الحافظ - سيد لاشين م. دار الزمان.
- ٢٣- حجة القراءات، ابن زنجلة.
- ٢٤- حرز الأمانى ووجه التهاني (متن الشاطبية) تحقيق: محمد تميم الزعبي.
- ٢٥- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي.
- ٢٦- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر - الفجالة ١٩٦٠م.
- ٢٧- طيبة النشر (متن) محمد بن الجزري، تحقيق: محمد تميم الزعبي.
- ٢٨- طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، دار الفكر بيروت ١٩٧٧م.
- ٢٩- كتاب المصاحف، أبو داود، تحقيق المستشرق آرثر جيفري.
- ٣٠- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم الأفرقي.
- ٣١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المكتبة السلفية - الأستانة، ١٩٧٥م.
- ٣٢- مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر الرازي.
- ٣٣- معاني القرآن وإعرابه. أبو إسحق بن السري - الزجاج.
- ٣٤- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية. التهامي نقرة.

- ٣٥- مواقف المستشرقين من القراءات القرآنية، محمد خرويات، ٢٠١٤م.
- ٣٦- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي.
- ٣٧- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي.

منهج الإمام النووي في التأصيل الفقهي

محمد الأمين علي محمد قسم الله*

* أستاذ الفقه المساعد، كلية الشريعة، جامعة القرآن وتأصيل العلوم.

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث التعريف بالإمام النووي، وعقيدته ومذهبه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وثناء العلماء عليه، ومؤلفاته ومنهجه التأصيلي في الفقه والأصول. مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعد...
فإن أشرف ما يقدمه الباحثون وأسمى ما يسعى إليه المؤلفون في بحوثهم وتعريفهم هو ما كان في خدمة الدين الإسلامي.
إن علم الفقه والأصول من أشرف العلوم لكون جميع علوم الإسلام تصب في معين الفقه الإسلامي، وتخدم قضاياها وأبعاده، ولما كان الإمام النووي من فقهاء هذه الأمة وأعلامها فهو حري بمعرفته ومعرفة منهجه في هذا المنوال.
أسباب اختيار الموضوع:

- ١) الرغبة الأكيدة في إحياء التراث الإسلامي الذي خلفه رجال صدقت عزائمهم وخلصت نياتهم كالإمام النووي.
- ٢) الإمام النووي كواحد من علماء الأمة الإسلامية والذين حوت مؤلفاتهم دعوة صادقة للعودة لما كان عليه سلف هذه الأمة في أخذ الأصول من المنبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- ٣) توضيح فكرة الإمام النووي ومنهجه في التأصيل الفقهي.
- ٤) إن في دراسة هذا الموضوع إسهام وإظهار للثروة العلمية الجليلة الناتجة عن اختلاف أصول المذاهب.
- ٥) ما تميزت به شخصية الإمام النووي من علم وورع وكثرة مؤلفاته.
- ٦) مواصلة الجهود المخلصة التي اهتمت بالجوانب التشريعية.

أهمية الموضوع:

- ١) مثل هذه البحوث تساعد في الدعوة لنشر آراء علماء الأمة الإسلامية في مسرح الحياة العلمية، ومعالجة القضايا المطروحة كفكر منافس للأفكار الدخيلة التي لا زالت لها الشوكة والغلبة.
- ٢) مثل هذه الدراسات تلفت نظر بعض القادرين من المسلمين أن يعنوا بتحقيق كتب الإمام النووي تحقيقاً علمياً ونشرها بين ناس وخاصة طلاب العلم الذين لا يزال أكثرهم وفي بعض الجامعات العربية لا يعرفون شيئاً عن قيمة و نفاسه هذا التراث.
- ٣) الكشف عن المذهب الفقهي والأصولي الذي سلكه الإمام النووي.

أهداف البحث:

- ١) خدمة الفقه وأصوله.
- ٢) عرض أفكار الإمام النووي في الاستنباط وطرق الترجيح.
- ٣) الدعوة إلى بناء المجتمع على المنهجية الصحيحة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدة أسئلة منها:

- ١) من هو الإمام النووي؟
- ٢) وما المنهج الذي اتبعه في استنباط الأحكام الشرعية؟
- ٣) وما هي الطريقة التي اتبعها الإمام النووي في التأليف؟

المنهج:

المنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج التاريخي.

المبحث الأول

التعريف بالإمام النووي

المطلب الأول

نسب الأمام النووي ونسبته^(١):

هو الإمام العلامة محي الدين^(٢) أبو زكريا يحيى^(٣) بن الشيخ الزاهد النور أبي يحيى شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام - بالحاء المهملة والراء المعجمة - الحزامي النووي.

وأما نسبة "الحزامي" فهي إلى جده المذكور "حزام"، وذكر بعض أجداد الشيخ كانوا يزعمون وهذا غلط كما بينه ابن البيطار في ترجمة الإمام، أنها نسبة إلى الصحابي الجليل حزام أبي حكيم النووي. بل حزام هو جده؛ نزل في الجولان بقرية "نوى" على عادة العرب، فأقام بها، ورزقه الله ذرية، إلى أن صار منهم خلق كثير.^(٤)

- (١) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، (٣٩٥/٨)، ط٢ (١٤١٣هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع/ ومعه: المنهل العذب، للسخاوي، (ص٤)، دار الفكر العربي - لبنان - بيروت، ومعه: تحفة الطالبين في ترجمه الإمام محيي الدين، لابن العطار، (ص٣٧) / البداية والنهاية، لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط١ (١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي (١٣/٢٩٤)، ومعه: تذكره الحفاظ، لأحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) بيروت - لبنان، (٤/١٤٧)، ومعه: شذرات الذهب، لعبد الحلي بن أحمد العسكري الدمشقي، دار الكتب العلمية (٦/٨).
- (٢) هذا اللقب يلقيه به جمهور من ترجم له، وكان الإمام النووي يكره هذا اللقب؛ تواضعاً لله تعالى، وخوفاً من الدُّخُول في قوله (فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (٣٢) النجم: ٣٢ أو أن الدين حَيٌّ، دائمٌ، غير محتاج إلى من يحييه، حتى يكون حجة قائمة على من أهمله أو نبذَه؛ بل صح عنه أنه قال: (لَا أَجْعَلُ فِي حِلٍّ مِنْ لِقْبَنِي "مُحْيِي الدِّينِ") نقله عنه الإمام السخاوي في المنهل العذب، مرجع سابق (ص٤).
- (٣) هذه كنية له، ولا زكريا له؛ لأنه لم يتزوج.
- (٤) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، مرجع سابق، (ص٣٨-٣٩) - وفيات الأعيان وأبناء آبائهم الزمان - لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - دار الثقافة - لبنان - ص ٣٠.

المطلب الثاني مولد الإمام النووي ونشأته ووفاته:

ولد الإمام النووي في المحرم، سنة إحدى وثلاثين وستمائة، بنوى^(١) وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها. ذكر أبوه أن الشيخ كان نائماً إلى جانبه، وقد بلغ من العمر سبع سنين، ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ قال: فانتبه نحو نصف الليل، وأيقظني، وقال: يا أبت! ما هذا الضوء الذي ملأ الدار؟ واستيقظ أهله جميعاً، فلم نر كلنا شيئاً؛ قال والده: فعرفت أنها ليلة القدر وذكر الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي^(٢) أنه رأى الشيخ محي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي، لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن؛ قال: فأتيت الذي يقرؤه القرآن، فأوصيته به، وقلت له: هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به؛ فقال لي: أمنجم أنت؟ قلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك؛ فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام. قال ابن البيطار قال لي الشيخ: فلما كان عمري تسع عشرة سنة؛ قدم بي والدي إلى دمشق في سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي على الأرض، وكان قوتي فيها جارية المدرسة لا غير^(٣) وكان - رحمه الله تعالى - لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة، وقوته من قبل والده، يجري عليه في الشهر الشيء الطفيف. ودرّس بدار الحديث الأشرفية وغيرها، ولم يتناول فلساً واحداً، ولا انتقل من بيته الذي في الرواحية، وهو بيت لطيف عجيب الحال، وكان لا يشرب إلا مرة واحدة عند السحر، وما أكل شيئاً من فاكهة دمشق، ولا قبل من أحد شيئاً.

(١) نوى: بلدة من أعمال حوران، بينها وبين دمشق منزلان، معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت (٤/٨١٥).

(٢) ياسين بن عبد الله المقرئ، الحجام، الأسود، الصالح، كان له دكان بظاهر الجالية، وكان صاحب كرامات، وقد حج أكثر من عشرين مرة، وبلغ الثمانين، توفي سنة (687 هـ) ودفن بمقبرة باب شرقي، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٣/٣٣١) / ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٥/٤٠٣).

(٣) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، مرجع سابق، (ص٤٤-٤٥).

توفي الإمام يحيى بن شرف الدين النووي - رحمه الله تعالى - ليلة الأربعاء في الرابع والعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وستمائة، ودفن ببلده - الذي ولد فيه رحمه الله رحمة واسعة^(١).

المطلب الثالث

شيوخ الأمام النووي وتلاميذه:

سَمِعَ من مشايخ و علماء كثيرين منهم: -

الأمام محمد بن أحمد المقدسي^(٢)، وهو أجل شيوخه، وسمع من الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر^(٣) والشيخ أحمد بن عبد الدائم^(٤)، و الشيخ خالد الثَّابلسي^(٥)، و الشيخ عبد العزيز الحموي الأنصاري^(٦) و الشيخ الحسن بن محمد

- (١) شذرات الذهب مرجع سابق، (١٠/٦).
- (٢) محمد بن أحمد بن نعمة المقدسي أحد الأئمة، وسادات العلماء، لما توفي أخوه محمد في شوال ولي مكانه تدريس الشامية البرانية؛ توفي سنة (٥٦٨٢هـ)، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣١٩/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٨٩/٤) ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٣٧٦/٥).
- (٣) تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن شاکر بن عبدالله بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي، أبو محمد، تولى نظر المارستان النوري وغيره، توفي سنة (٥٦٧٢هـ) عن ثلاث وثمانين سنة، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٨٢/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٨٨/٤) ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٣٣٨/٥).
- (٤) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو العباس المقدسي الثابلسي، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، وكان فاضلاً يكتب سريعاً، حكى أنه كتب مختصر الخرقى في ليلة واحدة، توفي بسفح قاسيون وبه دفن سنة (٥٦٦٨هـ) وقد جاوز التسعين، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٧٢/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٤٧١/٤) ومعه: وشذرات الذهب، مرجع سابق، (٣٢٥/٥).
- (٥) خالد بن يوسف بن سعد بن حسن الثَّابلسي، كتب ورجل، وكان ثقة مثبناً، ذا نوادر ومزاح، وكان يحفظ جملة كثيرة من الغريب، وأسماء الرجال، وكناهم، ولياً مشيخة الحديث بأماكن، وكان أسمر ربعة من الرجال وبه عرج؛ توفي سنة (٥٦٦٣هـ) البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٤٦/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٥٩/٤).
- (٦) عبدالعزيز بن أبي عبدالله محمد بن عبد الحسن بن محمد بن منصور بن خلف الأنصاري أبو محمد الحموي، تفقه على جماعة وكان من أذكياء بني آدم، برع في الفقه والشعر، وحَدَّث كثيراً، توفي في ثاني رمضان سنة (٥٦٦٢هـ)، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٨٩/٤) ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٣٠٩/٥) ومعه: طبقات الشافعية، مرجع سابق، (٢٥٨/٨).

البكري^(١) و الشيخ عبدالكريم بن عبدالصمد^(٢) وعبد الرحمن الأنباري^(٣)، وإبراهيم بن علي الواسطي^(٤).
تلاميذه

سمع منه خلق كثير من العلماء، والحفاظ، والصُدور، والرؤساء، وتخرج به خلق كثير من الفقهاء، وسار علمه وفتاويه في الآفاق، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ: أبو عبدالله محمد إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي^(٥)، وأبو الحجاج يوسف بن

(١) أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري التيمي الصوفي، حدث بالكتب الطوال، وولي حسية دمشق، ومشيخة الشيوخ، كان إماماً عالماً لسناً فصيحاً مليح الشكل أحد الرحالين، إلا أنه كان كثير الدعاوى عنده مداعبة ومجون، داخل الأمراء، وحدد مظام. تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٥٨/٤) ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٢٧٤/٥).

(٢) عبدالكريم بن عبدالصمد بن محمد الحرساني، أبو محمد، خطيب بغداد، توفي بمصر سنة (٦٦٢هـ)، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٢٤٣/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٥٧/٤) ومعه: شذرات الذهب، مرجع سابق، (٣٠٩/٥) - تحذيب التهذيب / لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) جمال الدين عبد الرحمن بن سالم بن يحيى الأنباري ثم الدمشقي الحنبلي. توفي سنة (٦٦١هـ)، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٦٣/٤).

(٤) تقي الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي الصالح الحنبلي، شيخ الحديث الظاهرية بدمشق، كان رجلاً صالحاً عابداً، تفرد بعلو الرواية، ولم يخلف بعده مقله، وكان داعية إلى مذهب السلف، توفي بدمشق سنة (٦٩٢هـ)، البداية والنهاية، مرجع سابق، (٣٥٣/١٣) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٨٧/٤) ومعه: وشذرات الذهب، مرجع سابق، (٤١٩/٥).

(٥) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة الكناني الحموي، ولد بحماة سنة ٦٣٩ هـ ولي القضاء في دمشق وسار به سيرة حسنة، له عدة كتب منها: كشف المعاني، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم بأداب العالم والمتعلم وغيرها، توفي بمصر سنة (٧٣٣هـ) ودفن بالقرافة. طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق، (١٣٩/٩).

عبدالرحمن الدمشقي المعروف بالحافظ المزي^(١)؛ ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي^(٢)،
وأحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي^(٣) وغيرهم كثير.

المطلب الرابع

طلب الأمام النووي للعلم، ومؤلفاته

أولاً: طلب الأمام النووي للعلم واجتهاده فيه

تميّز الأمام النووي - رحمه الله تعالى - منذ صغره بحرصه على العلم،
وتحصيله، واهتمامه به وفهمه، وحفظه للقرآن وحبّه. ومن ذلك حفظه كتاب "التبويه
في فروع الشافعية" في أربعة أشهر ونصف، وحفظه ربع العبادات من "المهذب"،
وملازمته للشيخ كمال الدين بن أحمد المغربي، وهو ابن تسع عشرة سنة. وكان -
رحمه الله تعالى - شغوفاً بالعلم، لا يضيع شيئاً من وقته، يقول ابن البيطار عنه:
ذكر لي شيخنا - رحمه الله تعالى - أنه كان لا يضيع له وقتاً في ليل ولا نهار
حتى في الطريق، وأنه دام على هذا ست سنين ثم أخذ في التصنيف، والإفادة،
والنصيحة وقول الحق^(٤) وكان الشيخ أيام طلبه يحضر في اليوم الواحد على اثني
عشر شيخاً يقول عن نفسه: كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ،
شرحاً وتصحيحاً: درسين في "الوسيط"، ودرساً في "المهذب"، ودرساً في "الجمع بين
الصحيحين"، ودرساً في "صحيح مسلم"، ودرساً في "اللمع لابن جنّي في النحو،

(١) أبو الحجاج يوسف بن الزّكي عبدالرحمن بن يوسف بن علي بن عبد المللك بن أبي الزهر الكلي الضاعى الدمشقي
المعروف بالمزي، حافظ زمانه ونابعة دهره، خدم السنة خدمة جلية، فضبط الأسانيد والأسماء، ومن أهم كتبه تهذيب
الكمال في أسماء لرجال؛ وفي سنة (٥٧٤٢هـ): طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق، (٣٩٥/١٠) ومعه: تذكرة الحفاظ،
مرجع سابق، (١٩٤/٤) برقم (١١٧٦هـ).

(٢) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلبكي الخليلي وكان عالماً بالفقه والنحو وله اعتناء بالمعاني وبالرجال سمع
الكثير وكتب الأجزاء وخرج وأفاد روى لنا عن الفقيه البونيني وابن عبد الدائم وطائفة توفي سنة (٥٧٠٩هـ) بالقاهرة غريباً
- رحمه الله تعالى - تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٩٦/٤).

(٣) أبو العباس أحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي الشافعي نزيل دمشق، ولد سنة (٦٢٤هـ) أسرته الفرنج ثم منهم، كانت له
حلقة إقراء للحديث وفنونه، تخرج به جماعة، وكتب الكثير من الفقه والحديث، وكانت وفاته في سنة (٦٩٩هـ) طبقات
الشافعية الكبرى، مرجع سابق، (٢٦/٨) ومعه: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (١٨٥/٤) برقم (١١٧٠).

(٤) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، مرجع سابق، (ص ٥١).

ودرساً في" إصلاح المنطق "لابن السكيت في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه- تارة في" اللمع "لأبي إسحاق، وتارة في" المنتخب "للفخر الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين؛ وكنت أعلق جميع ما يتعلق به، وشرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة - إلى أن قال - وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه^(١)

ثانياً: مؤلفات الأمام النووي

لا يخفى على ذي بصيرة أن لله - تبارك وتعالى- عناية بالنووي، وبمصنفاته، فقد ألف في علوم شتى، وانتفع الناس بها في سائر البلاد الإسلامية، وأكبوا على تحصيل توافيقه، حتى من كان له مبعوضاً في حال حياته كان مجتهداً في تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته- فرحمه الله رحمة واسعة. ومن مؤلفاته^(٢) ما يلي:

١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، طبع عدة طبعات.
٢. الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمة، طبع في الهند سنة (١٣٤٠هـ).
٣. رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، طبع عدة طبعات وهو من أشهر كتبه على الإطلاق.
٤. الأذكار من كلام سيد الأبرار، وهذا الكتاب طبع عدة طبعات.
٥. الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام، هو المعروف بالأربعين النووية.
٦. التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث، طبع أربع طبعات من آخرها عن دار الكتاب العربي ببيروت سنة (١٤٠٥هـ).
٧. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق، طبع بمكتبة الإيمان بالمدينة النبوية سنة (١٤٠٨هـ).

(١) المرجع السابق نفسه، (ص ٥٠-٥١).

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي، مرجع سابق(٦/١)/ ومعه: المنهل العذب الروي في ترجمة الأمام النووي للسخاوي، مرجع سابق، (ج ١ص ٨)/ ومعه: الأعلام للزركلي، لخير الدين بن محمود ابن علي فارس الزركلي الدمشقي - دار العلم - للسلايين أيار، (١٤٩/٨)، والمنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، لجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي، (١/٦٣-٦٤) ط ١، دار ابن حزم بيروت، ١٤٠٨هـ.

٨. التحرير في شرح ألفاظ التنبيه، طبع سنة (١٤٠٨هـ) عن دار القلم بدمشق.
٩. العمدة في تصحيح التنبيه، طبع بمصر سنة (١٣٢٩هـ)^(١).
١٠. الإيضاح في المناسك، طبع بيروت عن دار الكتب العلمية.
١١. الإيجاز في المناسك، طبع بحيدر آباد بالهند بعنوان "الإشارات".
١٢. التبيان في آداب حملة القرآن، وهذا الكتاب طبع عدة طبعات.
١٣. مختصر التبيان في آداب حملة القرآن واسمه "مختار البيان" منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (٦٨٣٩).
١٤. مسألة الغنيمة، طبعت بتحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان باسم "وجوب تقسيم الغنيمة".
١٥. الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام، طبع بدمشق عن دار الفكر سنة (١٤٠٢هـ) بتحقيق أحمد راتب حموش.
١٦. الفتاوى، طبع عدة طبعات ومنها طبعة عبدالقادر أحمد عطا في مصر سنة (١٤٠٢هـ) بعنوان: "المنثورات والمسائل المهمات".
١٧. "تحفة طلاب^(٢) الفضائل" وقال ذكر فيه التفسير، والحديث والفقهاء، واللغة، وضوابط مسائل من العربية، وغير ذلك، جليل في معناه.
١٨. "المنهاج في مختصر المحرر"^(٣) للرافعي، المنهاج مختصر المحرر، مجلدٌ لطيف، ودقائقه نحو ثلاث كراريس، و أنه فرغ منه تاسع عشر رمضان سنة تسع وستين، وهو الآن عمدة الطالبين والمدرسين والمفتين. وهو مطبوع باسم "روضة الطالبين وعمدة المفتين" ومن آخر طبعاته طبعة المكتب الإسلامي سنة (١٤١٢هـ) بدمشق، بإشراف الأستاذ: زهير الشاويش وهي في اثني عشر مجلدًا.

(١) ذخائر التراث العربي الإسلامي، لكور كيس عواد، (١٨٨/٢)، (١٣٩١هـ-١٩٧١م).

(٢) المنهل العذب الروي للسخاوي، مرجع سابق، (١٥/١).

(٣) المنهل العذب الروي للسخاوي، نفس المرجع، (١٦/١) / معه: المنهاج السوي، مرجع سابق، (٦٤/١).

١٩. "حزب أدعية" (١)؛ وقال رأيته بمكة.
٢٠. جزء مشتمل على أحاديث رباعيات، لم أقف على من ذكره له، غير أنه قال في شرحه في كتاب الإيمان، باب بيان: كون النهي عن المنكر من الإيمان (٢) وفي هذا الإسناد طريفة، وهو أنه اجتمع فيه أربعة تابعون (ثم قال): وقد جمعت فيه - بحمد الله تعالى - جزءاً مشتملاً على أحاديث رباعيات، منها أربعة صحابيون - بعضهم عن بعض، وأربعة تابعيون بعضهم عن بعض في كتاب النكاح، باب: تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته، وقال أيضاً: قد أفردتها في جزء مع رباعيات الصحابة (٣).
٢١. دقائق المنهاج. (٤)
٢٢. رؤوس المسائل (٥)، وعده بعضهم من الكتب المفقودة.
٢٣. مختصر آداب الاستسقاء، بهذا العنوان.
٢٤. مختصر أسد الغاية في معرفة الصحابة، وعده بعضهم من الكتب المفقودة.
٢٥. مختصر البسمة، وهو في "شرح المذهب" بتمامه.
٢٦. مختصر تأليف الدارمي في المتحيرة، أحال عليه - رحمه الله تعالى - كما (٦) في شرح المذهب (ج ٢، ص ٤٣٤) بقوله: (... حتى صنف الدارمي فيها مجلده ليس فيها غير مسألة المتحيرة، وتقريرها، وتحقيق أصولها، واستدراكها هو على كثير من الأصحاب، وسترى ما أنقل منها هنا من نفائس التحقيق - إن شاء الله

(١) المنهل العذب الروي للسخاوي، نفس المرجع، (١٥/١).

(٢) صحيح مسلم، للشيخ أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، (٣٥/٢-٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، (٤٣٤/٢).

(٤) المنهل العذب الروي للسخاوي، مرجع سابق، (١٥/١).

(٥) كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، (٩١٥/١).

(٦) المجموع شرح المذهب، لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط ٢، القاهرة، (٤٣٤/٢).

- تعالى- ، وقد كنت اختصرتُ مقاصد تلك المجلدة في نحو خمس كراريس، وقد رأيتُ الآن الاقتصار على نبذ يسيرة من ذلك).
٢٧. مختصر التذنيب، وعده بعضهم من الكتب المفقودة.
٢٨. مختصر الترمذي.
٢٩. مختصر التتبيه.
٣٠. مسألة نية الاقتراف.
٣١. المقاصد، نسبت هذه الرسالة للنووي. (١)
٣٢. مناقب الشافعي وقال: اختصر فيه كتاب البيهقي الحافل في ذلك بحذف الأسانيد، وهو في مجلد، وقال: (أحال عليه في" شرح المهذب).
٣٣. مهمات الأحكام. (٢)
- ومنها كتب ابتدأها، ولم يتمها (٣)؛ عاجلته المنية:

١. المجموع شرح المهذب للشيرازي إلى باب المصرة، ولم يُتمّه، ولو قدر له أن يتمه لاستغنى الناس به عن غيره، فهذا الشرح يتناول الأحكام الفقهية، ولغات الكتاب، وتخريج أحاديثه وآثاره، والترجمة لمن يرد ذكره من الأعلام، ولما يعرض من أسماء الأماكن والبلدان، ويتممه بفوائد وفروع ذات علاقة بالمسألة التي يشرحها، ثم يتناول مذاهب العلماء في المسألة، وأدلتهم.
٢. ثم قام الإمام السبكي بإكماله ولكنه لم يتمه؛ ثم جاء بعده الشيخ محمد نجيب المطيعي فآتمه فكمل الكتاب، وطبع في ثلاثة وعشرين مجلداً، وكان من آخر طبعاته وأجودها طبعة دار إحياء التراث سنة (١٤١٥هـ).

(١) الإعلام للزركلي، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس؛ الزركلي الدمشقي، (١٤٩/٨)، ط١٥٠، دار العلم

للملايين أيار / مايو (٢٠٠٢)م.

(٢) المنهل العذب الروي للسخاوي، مرجع سابق: (١٥/١) / ومعه: المنهاج السوي، مرجع سابق: (٦٣/١-٦٤-٦٥)،

(٣) المنهل العذب الروي للسخاوي، نفس المرجع: (١٥/١) / ومعه: المنهاج السوي، مرجع سابق: (٦٣/١-٦٤-٦٥)

٢. جامع السنة. وقال شرع في أوله، وكتب منه دون كراسة؛ وعده بعضهم من الكتب المفقودة.
٤. شرح التتبيه، وقال: وصل فيه إلى أثناء باب الحيض، وهو غير النبذ الذي رأيته في مجلد، فإنه قد شرح فيه مواضع من جميع الكتاب، وهو من أوائل ما صنف.
٥. شرح الوسيط، المسمى بـ"التتقيح"، قال الإسنوي: وصل فيه إلى شروط الصلاة.
٦. شرح البخاري، وطبع الكتاب في مصر بعناية محمد منير الدمشقي سنة (١٣٤٧هـ) ضمن شروح أخرى.
٧. شرح سنن أبي داود، وقال: وصل فيها إلى أثناء الوضوء، سماه "الإيجاز"، وسمعت أن زاهد عصره الشهاب ابن رسلان أودعها برمتها في شرحه على السنن، وبنى عليها.
٨. الإملاء على حديث الأعمال بالنيات لم يتمه.
٩. الأحكام، سماه "خلاصة الأحكام" وصل فيها إلى أثناء الزكاة. قال ابن الملقن: رأيتها بخطه. ولو كملت كانت في بابها عديمة النظر.
١٠. التهذيب للأسماء واللغات، وعرفه بقوله: الواقعة - أي الأسماء واللغات.
١١. قطعة مسوَّدة في طبقات الفقهاء^(١)، اختصر فيه كتاب أبي عمرو ابن الصلاح أيضاً كذلك، وزاد عليه أسماء نبه عليها في ذيل كتابه؛ قال العماد ابن كثير: مع أنهما لم يستوعبا أسماء الأصحاب، ولا النصف من ذلك... والعذر عن النووي - رحمه الله تعالى - في ذلك أنه مات عنه وهو مسوَّدة.
١٢. قطعة في التحقيق في الفقه، إلى باب صلاة المسافر، وكأنه مختصر "شرح المهذب"، وقال غيره: إنه ذكر فيه مسائل كثيرة محضة، وقواعد وضوابط لم

(١) لمنهل العذب الروي للسخاوي، مرجع سابق، (١/١٥).

يذكرها في "الروضة" وصل فيه إلى صلاة المسافر، ذكر فيها غالباً ما في "شرح المهذب" من الأحكام والخلاف على سبيل الاختصار.

١٣. الأصول والضوابط^(١) وعرف به بقوله: وهي أوراق لطيفة تشتمل على شيء من قواعد الفقه، وضوابط لذكر العقود اللازمة والجائزة، وما هو تقريباً و تحديداً، ونحو ذلك كتب منه أوراق قلائل؛ وقد طبع الكتاب برمته في "مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي"، العدد الثالث، الصادر عام (١٤٠٠هـ)، بتحقيق الدكتور: محمد مظهر بقا، وفي "مجلة معهد المخطوطات العربية"، في الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين، بتحقيق الدكتور: محمد حسن هيتو، ومن ثم نشر على حدة عن دار البشائر الإسلامية، بيروت سنة (١٤٠٦هـ).
١٤. بستان العارفين، وطبع الكتاب عدة طبعات من آخرها طبعة عن دار الكتاب العربي سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م).
١٥. دقائق الروضة، سماها: (الإشارات لما وقع في الروضة من الأسماء واللغات).

(١) المرجع السابق نفسه، (١٥/١).

المبحث الثاني

عقيدة الأمام النووي ومذهبه وأمره بالمعروف وثناء العلماء عليه

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عقيدة الأمام النووي ومذهبه:

من خلال تتبع بعض كتب الإمام يحيى بن شرف النووي - رحمه الله تعالى - اتضح أن عقيدته أشعرية، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنه مقلد في هذا وليس مجتهداً، كما ظهر من نقله لمذاهب القوم، ومن ذلك:

قوله في شرحه على صحيح الإمام مسلم عند حديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم"، رجلٌ حلفَ على يمين بعد صلاة العَصْرِ على مالٍ مُسلمٍ فأقتطعه^(١) قال عند شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم "ولا ينظر إليهم" قال: ونظره سبحانه وتعالى - لعباده رحمته ولطفه بهم.

وقال أيضاً عند شرحه لحديث: "يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"^(٢) قال: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق ايضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما، أن أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف، وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق؛ والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن

(١) أخرجه مسلم، (١٠٣/١) رقم (١٠٨).

(٢) أخرجه مسلم، (٥٢١/١) رقم (٧٥٨).

مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة والالطف، والله أعلم، وقال أيضاً عند شرحه لحديث تحاجت النار والجنة، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمُتَجَبِّرين؛ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلُؤْمًا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ؛ فَهَذَا كِ تَمْتَلِي وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ^(١)

قال شارحاً لهذا الحديث، وفي الرواية الأولى "فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا" هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين: أحدهما: وهو قول جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله، ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد، والثاني: هو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث، فقيل: المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة، ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب، قال المازري والقاضي هذا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن بن الأعرابي، الثاني: أن المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم، الثالث: أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية، وأما الرواية التي فيها "يضع الله فيها رجلاً"

فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل، ولكن قد رواها مسلم وغيره فهي صحيحة وتأويلها كما سبق في القدم، ويجوز أيضاً أن يراد بالرجل

(١) أخرجه البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رقم (٤٨٥٠)، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، (١٣٨/٦).

الجماعة من الناس كما يقال: رجل من جراد أي قطعة منه، قال القاضي أظهر التأويلات: أنهم قوم استحقوها، وخلقوا لها، قالوا ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى وهناك مواطن أخرى لكن أكتفي بما سبق.

أما مذهبه الفقهي فهو: شافعي المذهب، بل من المحققين فيه فتصانيفه تشهد لذلك.

المطلب الثاني أمر الأمام النووي بالمعروف ونهيه عن المنكر، وإنكاره للبدع:

أما أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فأشهر من أن يذكر، وحكاياته في ذلك كثيرة، ومواقفه مع الملك الظاهر التركي ومواجهته له غير مرة، ومكاتبته التي أرسلها إليه معروفة مشهورة، ومن ذلك ما كتبه له في أمره بالعدل في الرعية، وكذلك إزالة المكوس عن الناس، وها نص رسالته له: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله يحيى النووي، سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاه بالحسنات، وبلغه من خيرات الآخرة والأولى كل أماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين.

وينهى إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش، وضعف حال، بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات، وهلاك المواشي، وغير ذلك. وأنتم تعلمون أنه يجب الشفقة على الرعية والسُّلطان، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم، فإنَّ الدين النصيحة. وقد كتب خدمة الشرع، الناصحون للسُّلطان، والمحبون له؛ كتاباً بتذكيره النظر في أحوال رعيته، والرفق بهم، وليس فيه ضرر، بل هو نصيحة محضة، وشفقة تامة، وذكرى لأولي الألباب. إلى أن قال... وإن هذا الكتاب الذي أرسله إلى الأمير أمانة ونصيحة للسُّلطان - أعزَّ الله أنصاره - وأنتم مسئولون عن هذه الأمانة، ولا عذر لكم في التأخر عنها، ولا حجة لكم

في التقصير فيها عند الله تعالى، **﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾** ^(١) **﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ﴾** (٣٤) **﴿وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ﴾** (٣٥) **﴿وَصَاحِبَتَهُ وَبَنِيهِ﴾** (٣٦) **﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** (٣٧) ^(٢)، وأنتم بحمد الله تحبون الخير، وتحرصون عليه، وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات، وأفضل الطاعات، وقد أهلتم له، وساقه الله إليكم، وهو من فضل الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إلى غير ذلك من المكاتبات، والأمر والنهي الذي كان الإمام يحرص على الإتيان بها ^(٣).

المطلب الثالث ثناء العلماء على الأمام النووي

أثنى عليه كثير من العلماء، وأقروا له بالإمامة والحفظ، ومعرفة الحديث، والتفسير، والفقهاء، وغيرها من العلوم. وسأورد بعض أقوال العلماء فيه، وثنائهم عليه: قال ابن العطار - رحمه الله تعالى كان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً فيه عارفاً بأنواعه كلها، من صحيحه وسقيمه، علمه وكل شؤونه، حافظاً لحديث رسول الله وغريب ألفاظه، وصحيح معانيه واستنباط فقهاء، حافظاً لمذهب الشافعي، وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء ووافقهم، وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه، وما هجر، سالكاً في ذلك كله ذكر طريقة السلف، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ^(٤) وقال الإمام الذهبي - رحمه الله تعالى - (ت: ٧٤٨ هـ): الإمام

(١) سورة الشعراء / الآية، ٨٨

(٢) سورة عبس / الآية ٢٤-٢٧

(٣) تحفة الطالبين في ترجمه الإمام محيي الدين، مرجع سابق، (١٠١ ص ١١٨).

(٤) المرجع السابق نفسه، (ص ٦٨).

الحافظ الأوحّد القدوة شيخ الإسلام على الأولياء، صاحب التصانيف النافعة^(١) وقال السبكي - رحمه الله تعالى (ت: ٧٧١ هـ) شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، كان يحيى - رحمه الله - سيداً وحصوراً، وليثاً على النفس هصوراً، وزاهداً لم يبالي بخراب الدنيا إذا صير دينه ريباً معموراً، له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التقنن في أصناف العلوم، فقهاً ومتوناً أحاديث، وأسماء رجال، ولغة، وصرفاً، وغير ذلك.^(٢)

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى (ت: ٧٧٤ هـ) العالم العلامة، شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه^(٣)، وقال ابن ناصر الدين الدمشقي - رحمه الله تعالى (ت: ٨٤٢ هـ) هو الحافظ القدوة، الإمام، شيخ الإسلام، كان فقيه الأمة وعلم الأئمة^(٤)، وقال عنه ابن العماد - رحمه الله تعالى - (ت: ١٠٨٩ هـ) شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد، أحد الأعلام^(٥).

(١) تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، (٤/١٧٤).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق، (١/٣٩٥).

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، (١٣/٢٩٤).

(٤) شذرات الذهب، مرجع سابق، (٦/١٠).

(٥) المرجع السابق نفسه، (٦/٨).

المبحث الثالث

منهج الإمام النووي في الفقه والأصول

المطلب الأول منهج الإمام النووي في الفقه، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ذكر المصطلحات الفقهية عند الإمام النووي

أولاً من أين عرفنا أن هناك مصطلحات للشافعية يستخدمونها لمعرفة الأوجه الخلافية وأن كل مصطلح يذكر مع مسألة يدل على أن في المسألة قولين أو وجهين أو أن فيها خلافاً، عرفنا ذلك من خلال منهج النووي الذي نهجه في كتابه المنهاج، الذي صار عند الشافعية هو المعتمد للفتوى في المذهب وصارت مصطلحاته هي المعتمدة عند متأخري الشافعية، فلقد كان للنووي رحمه الله منهجاً خاصاً في كتابه المنهاج تميز به عن غيره يعرف بمصطلحات الأمام النووي في المنهاج، أفرد له العلماء مؤلفات خاصة، نظراً لأهميته، وتوقفت الاستفادة من المنهاج عليه. وسأذكر نصه هنا، الذي يسرد فيه المصطلحات ويبين مراده منها لأبين بعد ذلك في المطلب الثاني ما يستفاد من كل مصطلح بالتفصيل، قال رحمه الله تعالى: ((... ومنها بيان القولين والوجهين والطريقين والنص ومراتب الخلاف في جميع الحالات فحيث أقول في الأظهر أو المشهور فمن القولين أو الأقوال فإن قوى الخلاف قلت الأظهر وإلا فالمشهور وحيث أقول الأصح أو الصحيح فمن الوجهين أو الأوجه فإن قوى الخلاف قلت الأصح وإلا فالصحيح وحيث أقول المذهب فمن الطريقين أو الطرق. وحيث أقول النص فهو نص الشافعي^(١) رحمه الله.

(١) الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي. أمه أزدية ولد بالشام بغزة وقيل باليمن سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة فسكنها وتردد بالحجاز والعراق وغيرها ثم استوطن مصر وتوفي بماء، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، (١٢٥/١)، ط ٢ بيروت، لبنان.

ويكون هناك وجه ضعيف^(١) أو قول مخرج^(٢) وحيث أقول الجديد فالقديم خلافه أو القديم أو في قول قديم فالجديد خلافه وحيث أقول وقيل كذا فهو وجه ضعيف والصحيح أو الأصح خلافه وحيث أقول وفي قول كذا فالراجح خلافه ومنها مسائل نفيسة أضمها إليه ينبغي أن لا يخلي الكتاب منها وأقول في أولها قلت وفي آخرها والله أعلم))^(٣) فنذكر في المنهاج عبارات يعلم منها أن الخلاف أقوال للشافعي، أو أوجه لأصحابه، أو مركب منهما، وهي سبعة عشر. فالأظهر، والمشهور، والقديم، والجديد، وفي قول، وفي قول قديم، وفي قول كذا، والقولان، والأقوال، هذه يعبر بها عن أقوال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه. والأصح، والصحيح، وقيل، وفي وجه، والوجهان، والأوجه، لأوجه الأصحاب والنص للمركب منهما يقيناً. والمذهب حين يعبر به محتمل لأن يكون من أقوال الشافعي أو من أوجه الأصحاب أو من المركب منهما، وقد يعبر في بعض المسائل بالمنصوص وفي بعضها بفي قول أو وجه، وقد يعبر لما فيه خلاف بقوله وكذا.^(٤)

(١) قال ابن حجر: ولا يجوز العمل بالضعيف في المذهب، ويمتنع التلفيق في مسألة، كأن قلد مالكاً في طهارة الكلب، والشافعي في مسح بعض الرأس في صلاة واحدة، وأما في مسألة بتسامها بجمع معتبراتها فيجوز، ولو بعد العمل، كأن أدى عبادته صحيحة عند بعض الأربعة دون غيره، فله تقليده فيها، حتى لا يلزمه قضاؤها، ويجوز الانتقال من مذهب لغيره، ولو بعد العمل، تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البحر في شرح الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البحرمي الشافعي، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، (١/٨٢).

(٢) التخريج: أن يجيب الشافعي بحكمين مختلفين في صورتين متشابهتين، ولم يظهر ما يصلح للفرق بينهما، فينقل الأصحاب جواب الشافعي في كل صورة إلى الأخرى، فيحصل في كل صورة منهما قولان: منصوص ومخرج، المنصوص في مسألة مخرج في الأخرى، والمنصوص في الأخرى مخرج في الأولى، فيقال: فيهما قولان بالنقل والتخريج، والأصح أن القول المخرج لا ينسب للشافعي؛ لأنه ربما روجع فيه، فذكر فرقاً. الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، لعلي بن أحمد السقاف المكي الشافعي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، بيروت لبنان، (ص١٠٩).

(٣) مقدمة المنهاج، للأمام النووي، (٢/١).

(٤) وشرح مقدمة المنهاج في نهاية المحتاج، للرملي، / ط- بيروت - لبنان (١/٤٨ - ص١٢٨).

والفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق؛ (ص١٠٩) / ومع: المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، فهد عبد الله الحبيشي، (١/٥٩)، بدون.

الضرع الثاني ما يستفاد من كل مصطلح فقهي عند الإمام النووي

أولاً: مصطلح (الأظهر):

فإذا عبر المصنف بالأظهر استفيد منه أربع مسائل هي:-

الأولى: الخلافية، يعني أن المسألة ذات خلاف.

والثانية: الأرجحية، يعني أن في المسألة قولاً راجحاً وقولاً مرجوحاً، والراجح هو المذكور، والمرجوح هو المقابل.

والثالثة: كون الخلاف فيه قولياً، أي من قول الإمام الشافعي (أو من أقواله لا من الأوجه التي ذكرها أصحابه.

والرابعة: ظهور المقابل، يعني أن المقابل ظاهر في نفسه وإن كان المعتمد في الفتوى والحكم على الأظهر. وجملة ما في المنهاج من التعبير بالأظهر أربعمئة إلا خمسة.

ثانياً: التعبير بالمشهور:

وتعبيره بـ(المشهور) يستفاد منه أربع مسائل:-

الأولى: الخلافية وقد مر معنى ذلك.

الثانية: الأرجحية وقد مر معنى ذلك أيضاً.

والثالثة: غرابة المقابل، أي كونه خفياً غير مشهور، فهو ضعيف.

والرابعة: كون الخلاف قولياً، أي من قولي الإمام الشافعي (أو من أقواله لا من الأوجه التي لأصحابه رضي الله عنهم. وجملة ما في المنهاج من التعبير بالمشهور ثلاث وعشرون عبارة، منها التعبير بالأشهر في الشهادات في فصل لا يحكم الخ^(١).

(١) شرح مقدمة المنهاج في حماية المحتاج، للرملي، (٤٨/١ - ص ١٢٨)، المرجع السابق، والمداخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق، (٥٩/١)،

والفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق (ص ١٠٩)، وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، للإمام النووي، دار الكتب العلمية، بيروت والمغني لابن قدامة المقدسي، مطبعة الجمهورية العربية، القاهرة، وحاشية قيلول، والابتهاج، وغيرها.

ثالثاً: التعبير بالأصح:

وتعبيره بـ(الأصح) يستفاد منه أربع مسائل:-

الخلافية، وقد مر معنى ذلك. والأرجحية، وقد مر معناها. والثالثة صحة المقابل، لقوة الخلاف بقوة دليل المقابل. والرابعة كون الخلاف وجهاً لأصحاب الإمام الشافعي، يستخرجونه من قواعده ونصوصه، ويجتهدون في بعضها، فالخلاف لأصحابه في المسألة. وقد يشذون "أي يخرجون عن قواعد الشافعي ونصوصه ويجتهدون في المسألة.وجملة ما في المنهاج من التعبير بالأصح ألف وثمانٍ وثلاثون عبارة تقريباً:

رابعاً: التعبير بالصحيح:

وتعبيره بـ(الصحيح) يستفاد منه أربع مسائل:

الخلافية، والأرجحية، وقد مر معناهما.والثالثة: فساد المقابل، أي كونه ضعيفاً لا يعمل به، والعمل بالصحيح. والرابعة: كون الخلاف وجهاً للأصحاب، يستخرجونه من كلام الإمام الشافعي فإن قوي الخلاف لقوة دليل المقابل عبر بالأصح المشعر بذلك، وإن لم يقو الخلاف بأن ضعف عبر بالصحيح. طريق علمنا بالراجع من أقوال الإمام. قد لا نعلم الدليل الذي استند إليه الأمام الشافعي رحمه الله تعالى والذي أدى إلى قوة الخلاف لكن نعلم الراجع، وطريق علمنا به يحصل بأمور:

١. إما بالنص على أرجحيته.
٢. وإما بالعلم بتأخيره.
٣. وإما بالتفريع عليه.
٤. وإما بالنص على فساد مقابله.
٥. وإما بموافقته لمذهب مجتهد. فإن لم يظهر مرجح فاللمقلد أن يعمل بأي القولين شاء. ويجوز للمقلد العمل بالمرجوح في حق نفسه. دون القضاء والإفتاء كما قال علماء

خامساً: التعبير بالجديد:

وتعبيره بـ(الجديد) يعني من قول الإمام الشافعي (وهو ما قاله بعد دخوله مصر، فإذا عبر الإمام النووي بالجديد فيستفاد منه أربع مسائل:
الأولى: الخلافية، والمعنى أن قوله في الجديد بحكم في مسألة يخالف قوله القديم فيها.

والثانية: الأرجحية، والمعنى أن في المسألة قولان: قولاً راجحاً: وهو القول الجديد، وقولاً مرجوحاً: وهو القديم، والمراد القول الجديد الذي عبر به.
والثالثة: كون الخلاف من قول الإمام الشافعي.

والرابعة: كون المقابل قديماً، أي قولاً قديماً للشافعي. وجملة ما في المنهاج من التعبير بالجديد خمس وسبعون عبارة تقريباً.
سادساً: التعبير بالقديم:

وتعبيره بـ(القديم) - أي من قولي الإمام الشافعي (وهو ما قاله قبل دخوله مصر يستفاد منه أربع مسائل:
الأولى: الخلافية، وهي أن قوله في الجديد في مسألة يخالف قوله القديم منها.
والثانية: المرجوحة، وهي كون القديم مرجوحاً، والجديد راجحاً.
والثالثة: كون الخلاف قولياً.

الرابعة: كون المقابل هو الجديد، والعمل عليه، وجملة ما في المنهاج من التعبير بالقديم ثمانية وعشرون لفظة. وهناك من زاد مسائل أخرى وذكر أن المسائل التي قيل بأن العمل فيها على القديم تزيد على الثلاثين مسألة. والله اعلم.^(١)

(١) شرح مقدمة المنهاج في نهاية المحتاج للرملي، مرجع سابق: (٤٨/١-١٢٨) / المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق: (٥٩/١) / الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق: (ص ١٠٩) وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالخموص، والمغني، وحاشية قيلول، والابتهاج، وغيرها.

سابعاً: التعبير بالمذهب: وتعبيره بـ(المذهب) يستفاد منه أربع مسائل:-

الأولى: الخلافية: يعني أن في المسألة خلافاً.

والثانية: الأرجحية، يعني أن ما عبر فيه بالمذهب هو الراجح.

والثالثة: كون الخلاف بين الأصحاب أي في حكاية المذهب، فبعضهم يحكي الخلاف في المذهب، وبعضهم يحكي عدمه، وبعضهم يحكي القطع بالمذكور وبعضهم يحكي الخلاف أقوالاً، وبعضهم يحكي وجوهاً، وغير ذلك، فيعبر النووي عن ذلك بالمذهب.

والرابعة: مرجوحة المقابل، أي أن مقابل المذهب مرجوح لا يعمل به.وجملة ما في المنهاج من التعبير بالمذهب مائة وسبع وثمانون عبارة.

ثامناً: التعبير بـ(قيل) وتعبيره بـ(قيل) يستفاد منه أربع مسائل:-

الأولى: الخلافية، يعني أن في المسألة خلافاً بين الأصحاب.

والثانية: كون الخلاف وجهاً من أوجه الأصحاب لا قولاً من أقوال الشافعي رحمه الله والثالثة: ضعف المذكور بقيل.

والرابعة: كون مقابله الأصح أو الصحيح الذين يعبر بهما في أوجه الأصحاب لا أن مقابله الأظهر أو المشهور؛ لأنه إنما يعبر بهما عن أقوال الشافعي لا غير. وجملة ما في المنهاج من التعبير بـ(قيل) أربع مائة وتسع وثلاثون عبارة.^(٢)

تاسعاً: التعبير بـ(قيل) وتعبيره بـ(قيل) يستفاد منه أربع مسائل:-

الأولى: الخلافية في المسألة.

والثانية: كون الخلاف أقوالاً للشافعي .

- (١) شرح مقدمة المنهاج في تحاية المحتاج للرملي، مرجع سابق،(٤٨/١-٤٨/١)/المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق،(٥٩/١)/ الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق،(ص١٠٩)، وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، والمغني، وحاشية قيلولبي، والابتهاج، وغيرها.
- (٢) شرح مقدمة المنهاج في تحاية المحتاج للرملي، نفس المرجع،(٤٨/١-٤٨/١)/المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق،(٥٩/١)/ الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق،(ص١٠٩)، وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، والمغني، وحاشية قيلولبي، والابتهاج، وغيرها.

والثالثة: ضعف القول المذكور.

والرابعة: كون مقابله الأظهر أو المشهور، والعمل به.

وجملة ما في المنهاج من التعبير بفي قول كذا اثنتا ومائة عبارة فهي مع جملة التعبير بقيل ستمائة وواحدة وأربعون قولاً كلها ضعيفة ما عدا خمسة عشر موضعاً رجح المتأخرون اعتمادها، اثنا عشر منها التعبير فيها ب: قيل، و ثلاثة التعبير فيها بقوله: وفي قول.

عاشراً: التعبير بالقولين: وتعبيره ب(القولين) يستفاد منه ثلاث مسائل:-

الخلافية في المسألة، وكون الخلاف أقوالاً للشافعي أكثر من اثنين، وأرجحية أحدهما بترجيح الأصحاب له، أو بالنص. وجملة ما في المنهاج من التعبير بالأقوال ست عشرة عبارة.^(١)

الحادي عشر: التعبير بالنص والمنصوص:

وتعبيره ب(النص، والمنصوص) يختلف مقصودة بكل منهما، فإنه تارةً يعبر بالنص، ويعني به نص الشافعي فقط. وتارةً يعبر بالمنصوص، ويعني به الراجح عنده من نص الشافعي. وقوله: أو وجه للأصحاب، فيستفاد من تعبيره بالنص أربع مسائل:-

الأولى، الخلافية، بمعنى أن مقابل النص يخالفه.

الثانية: الأرجحية، يعني أن ما عبر فيه بالنص هو الراجح في المذهب.

والثالثة: كون النص من أقوال الشافعي فقط.

والرابعة: أن مقابله ضعيف لا يعمل به. وجملة ما في المنهاج من ذكر النص ستة عشر:-

ويستفاد من تعبيره بالمنصوص أربع مسائل:-

الأولى: الخلافية، يعني أن في المسألة خلافاً مذكوراً.

(١) شرح مقدمة المنهاج في حماية المحتاج للرمل، مرجع سابق: (١/٤٨-٤٨/١) ص١٢٨/ ومع: المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق: (١/٥٩) ومع: الفوائد الملكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق: (ص١٠٩)، وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالجموع، والمغني، وحاشية قيلول، والابتهاج، وغيرها.

والثانية: الأرجحية، بمعنى أن ما عبر فيه بالمنصوص هو الراجح.
والثالثة: كون المنصوص عليه هو إماماً قول الشافعي، أو نص له، أو وجه للأصحاب.
والرابعة: كون مقابله ضعيفاً لا يعمل به. وجملة ما عبر فيه بلفظ المنصوص ثلاثة عشر.^(١)

الثاني عشر: التعبير ب(في وجه كذا): وتعبيره ب(في وجه كذا) يستفاد منه أربع مسائل:-
الأولى: الخلافية في المسألة بين الأصحاب.
والثانية: كون الخلاف أوجهاً ثلاثة فأكثر للأصحاب.
والثالثة: ضعف الوجه المذكور.

والرابعة: كون مقابله هو الأصح أو الصحيح، والعمل بالمقابل.
وقد يصف الوجه بالشذوذ، فيفيد قوة ضعفه، أو يصفه بواو، والمراد ضعيف جداً.
وجملة ما في المنهاج من الرمز ب(في وجه كذا) سبعة وعشرون موضعاً منها وجه موصوف بالشذوذ في الفصل الثالث بعد كتاب الإقرار، ومنها وجه موصوف بواو في كتاب الغصب.

الثالث عشر: التعبير بالوجهين: وتعبيره ب(الوجهين) يستفاد منه ثلاث مسائل:-
الأولى: الخلافية وانحصارها في وجهين.
الثانية: كون الخلاف للأصحاب،
الثالثة: كون مقابل الضعيف منهما الأصح أو الصحيح. وجملة ما في المنهاج من ذكر الوجهين سبعة مواضع.

الرابع عشر: التعبير بالأوجه: وتعبيره ب(الأوجه) يستفاد منه أربع مسائل:-
الأولى: لخلافية،

الثانية: انحصارها في أكثر من وجهين.

(١) شرح مقدمة المنهاج في تحاية المحتاج للرملي، مرجع سابق، (١/٤٨-١٢٨)/ ومعه: المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق، (١/٥٩)/ الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق (ص ١٠٩)، وما بعدها من شروح منهاج النووي شرح المقدمة الخاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، والمعني، وحاشية قيلوبي، والانتهاج، وغيرها.

الثالثة: كون الخلاف للأصحاب.

الرابعة: كون مقابل الضعيف منها الأصح والصحيح. وجملة ما في المنهاج من المسائل المذكورة بـ(في قول أو وجه) ثلاث مسائل.^(١)

الخامس عشر: التعبير بـ(في قول أو وجه):
وتعبيره بـ(في قول أو وجه) يستفاد منه:-

الاولى:الخلافية، والتردد في كونها من أقوال الشافعي أو من أوجه الأصحاب.
الثانية:كون الوجه أو القول ضعيفاً.

الثالثة: كون مقابله في القول: الأظهر أو المشهور، وفي الوجه: الأصح أو الصحيح.
وجملة ما في المنهاج من المسائل المذكورة بـ(في قول أو وجه) ثلاث:-

السادس عشر: التعبير بـ(كذا أو وكذا):
وتعبيره بـ(كذا أو وكذا) يستفاد منه:

الخلافية فيما بعدها، فإن عبر بعدها بـ: الأصح فمقابله الصحيح. أو بالصحيح فمقابله الضعيف.أو بالأظهر فمقابله الظاهر. أو بالمشهور فمقابله الخفي، وقد علمت الاصطلاح فيها مما مر. وجملة ما في المنهاج من التعبير بـ(كذا) ثلاثمائة وثلاثة وتسعون. والله اعلم.^(٢)

المطلب الثاني: منهج الإمام النووي في الأصول وضوابطه ويشتمل على تسع مسائل:

- (١) وشرح مقدمة المنهاج في تحاية المحتاج للرملي، مرجع سابق،(١/٤٨-ص١٢٨)/ المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق،(١/٥٩)/ومعه: الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق،(ص١٠٩)،وما بعدها من شروح منهج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، والمغني، وحاشية قيلوبي، والابتهاج، وغيرها.
- (٢) شرح مقدمة المنهاج في تحاية المحتاج للرملي، مرجع سابق،(١/٤٨-ص١٢٨)/ ومعه: المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، مرجع سابق،(١/٥٩) الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، مرجع سابق،(ص١٠٩)،وما بعدها من شروح منهج النووي شرح المقدمة الحاوية للمصطلحات الشافعية، كالمجموع، والمغني، وحاشية قيلوبي، والابتهاج، وغيرها...

فهذه قواعد و ضوابط و أصول مهمات و مقاصد مطلوبات جمعها الإمام النووي في كتابه الأصول و الضوابط التي يحتاج إليها طالب المذهب بل طالب العلوم مطلقاً ولا يستغني عن مثلها من أهل الفقه إلا المقتصرون على الرسوم و المقصود بها بيان القواعد الجامعة و الضوابط المضطردات و جمع المسائل المتشابهات و التمثيل بفرع مستخرجة من أصل أو مبنية عليه و حصر نفائس من الأحكام المتفرقات و بيان شروط كثير من الأصول المشهورات، و أحرص إن شاء الله تعالى في جميعها على الإيضاح الجلي بالعبارات الواضحات، و أسأل الله الكريم التوفيق لإتمامه مصوناً نافعاً مباركاً و على الله الكريم اعتماد و إليه تفويض و استناد و حسبى الله و نعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم^(١) و هذه المسائل هي:

١ / المسألة الأولى:

مذهب أهل الحق الإيمان بالقدر و إثباته و أن جميع الكائنات خيرها و شرها بقضاء الله تعالى و قدره و هو مرید لها كلها و يكره المعاصي مع أنه مرید لها لحكمة يعلمها سبحانه و تعالى، و هل يقال أنه يرضى المعاصي و يحبها؟ فيه مذهبان لأصحابنا المتكلمين حكاهما إمام الحرمين وغيره، قال إمام الحرمين في الإرشاد: مما اختلف أهل الحق في إطلاقه و منع إطلاقه المحبة و الرضا، فقال بعض أئمتنا: لا يطلق القول بأن الله تعالى يحب المعاصي و يرضاهما لقوله تعالى: (وَمَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) [الزمر: ٧]، قال: و من حقق من أئمتنا لم يلتفت إلى تهويل المعتزلة له بل قال الله تعالى يريد الكفر و يحبه و يرضاه و الإرادة و المحبة و الرضا بمعنى واحد قال و قوله تعالى لا يرضى لعباده الكفر المراد به العباد الموفقون للإيمان و أضيفوا إلى الله تعالى تشريفاً لهم كقوله تعالى: (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) [الإنسان: ٦]، أي خواصهم لا كلهم والله أعلم^(٢).

(١) انظر الأصول و الضوابط، ليجي بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط ١، (١٤٠٦ هـ)، البشائر الإسلامية-بيروت، (٢٢/١).

(٢) الأصول و الضوابط للنووي، مرجع سابق، (٢٥/١).

٢ / المسألة الثانية:

عقود المعاملات ونحوها أربعة أقسام:

أحدها: جائز من الطرفين كالقرض والشركة والوكالة والوديعة والعارية والقراض والهبة قبل القبض والجعالة ونحوها، والجعالة جائزة من الطرفين وإن كان بعد الشروع في العمل لكن إن فسخ العامل فلا شيء له وإن فسخ الجاعل في أثناء العمل لزمه أجره ما عمل.

الثاني لازم من الطرفين كالبيع بعد الخيار والسلم والصلح والحوالة والمساقاة والإجارة والهبة للأجنبي بعد القبض والخلع ونحوها.

الثالث لازم من أحدهما جائز من الآخر كالرهن لازم بعد القبض في حق الراهن جائز في حق المرتهن والكتابة لازمة في حق السيد دون العبيد والضمان والكفالة جائزتان من جهة المضمون له دون الضامن.

الرابع لازم من أحدهما مع خلاف في الآخر وهو النكاح لازم من جهة المرأة وفي الزوج وجهان:

أحدهما جائز من جهته لقدرته على الطلاق

وأصحهما لازم كالبيع وقدرته على الطلاق ليست فسخاً وإنما تصرف في المملوك ولا يلزم من ذلك كونه جائزاً كما أن المشتري يملك بيع المبيع والمسابقة على قول جائزة وفي الأظهر لازمة^(١)

٣ / المسألة الثالثة:

إذا انعقد البيع لم يتطرق إليه الفسخ إلا بأحد سبعة أسباب

١- خيار المجلس. ٢- خيار الشرط. ٣- خيار العيب. ٤- خيار الخلف بأن شرطه كاتباً فخرج غير كاتب. ٥- والإقالة. ٦- والتحالف. ٧- وتلف المبيع قبل القبض.^(٢)

(١) الأصول والضوابط/للنوي، مرجع سابق، (٢٧/١).

(٢) المرجع السابق نفسه، (٢٨/١).

٤/ المسألة الرابعة

مما يقوم فيه الوطاء مقام اللفظ:

١ - وطاء البائع في مدة الخيار فيكون فسخاً ٢- ولا يقوم وطاء الرجعية مقام لفظ الرجعة عندنا ٣- وإما وطاء من أعتق إحدى أمته أو طلق إحدى امرأته أو أسلم على أكثر من أربع نسوة أو أراد الرجوع في جارية ثبت له الرجوع فيها بإفلاس المشتري أو بوجود عيب في الثمن أو المشتري الجارية المباعة في مدة الخيار ٣ - ففي قيام الوطاء في جميع هذه الصور مقام اللفظ وجهان يختلف الراجح وأما وطاء الموصى بها فإن اتصل به أحبال كان رجوعاً وأن عزل فلا وإن أنزل ولم يحبل فوجهان أصحهما ليس برجوع وقال ابن الحداد رجوع وطاء الأب جارية وهبها لولده حرام قطعاً وليس رجوعاً في أصح الوجهين.^(١)

٥/ المسألة الخامسة

قال أصحابنا حكم العقد الفاسد حكم الصحيح في الضمان فما ضمن صحيحه ضمن فاسده وما لا فلا، وحكي في الهبة الفاسدة وجه أنها مضمونة والمذهب لا تضمن لأن صحيحها ليست مضمونة^(٢).

٦/ المسألة السادسة

في ضبط جمل من المقدرات الشرعية وهي ثلاثة أقسام:

١- قسم تقديره تحديد ٢- وقسم تقريب ٣- وقسم مختلف فيه.

فمن التحديد:

- طهارة الأعضاء في الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ومنه تقدير مدة مسح الخف بيوم وليلة حضراً وثلاثة سفيراً
- والاستتجاء بثلاثة أحجار.
- وغسل ولوغ الكلب بسبع.

(١) الأصول والضوابط للنووي، المرجع السابق: (١/ ٣٠).

(٢) المرجع السابق نفسه، (١/ ٣٢).

- وأكثر الحيض وأقل الطهر بخمسة عشر يوماً.
- وأوقات الصلوات.
- واشتراط أربعين لانعقاد الجمعة.
- والتكبيرات الزوائد في صلاة العيد والاستسقاء وخطب العيد.
- والاستغفار في أول خطبة الاستسقاء.
- ونصب الزكاة في الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وعروض التجارة وقدر الواجب فيها وفي زكاة الفطر والكفارة ومنه الآجال في حول الزكاة وتعريف اللقطة والعدد ودية الخطأ على العاقلة أو غيرهم وفي نفي الزاني وفي انتظار العنين والمولى والسن الذي يؤثر فيه الرضاع وتقدير جلد الزاني بمائة جلدة والقاذف ثمانين والشارب بأربعين والرقيق على النصف وتقدير نصاب السرقة بربع دينار وغير ذلك.

ومن التقدير الذي للتقريب:

سن الرقيق المسلم فيه والموكل في شراء لمن أسلم في عبد سنة عشر سنين فإنه يستحق ابن عشر تقريباً أو وكله في شراء ابن عشر لأنه يتعذر تحصيل ابن عشر تحديداً بالأوصاف المشروطة^(١).

ومن التقدير المختلف فيه:

تقدير القلتين بخمسائة رطل وسن الحيض بتسع سنين والمسافة بين الصفين بثلاثمائة ذراع ومسافة القصر بثمانية وأربعين ميلاً ونصاب المعشرات بألف وستمائة رطل بالبغدادي وفيها كلها وجهان الأصح في القلتين والحيض والمسافة بين الصفين التقريب وفي مسافة القصر ونصاب المعشرات التحديد ووجه التقريب أنه مجتهد في هذا التقدير وما قاربه في معناه بخلاف المنصوص على تحديده، وفي

(١) الأصول والضوابط/للنوي، مرجع سابق، (٣٥/١).

تقدير سن البلوغ بخمس عشرة سنة طريقان المذهب القطع بأنه تحديد، والثاني على وجهين ثانيهما أنه تقريب حكاه الرافعي وغيره والله أعلم.^(١)

٧/ المسألة السابعة:

في بيان أقسام الرخص وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: رخصة يجب فعلها كمن خص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به إلا خمرأ يجب إساعتها بها.

وفرقوا بوجهين:

أحدهما: أن القصر خروجاً من الخلاف وفي ترك الجمع خروجاً من الخلاف أيضاً فإن أبا حنيفة وآخرين يوجبون القصر ويطلقون الجمع. والثاني: أن الجمع يلزم منه إخلاء وقت العبادة الأصلي عن العبادة بخلاف القصر.

قالوا والأحاديث الواردة في الجمع ليست نصوصاً في الاستحباب بل فيها جواز فعله ولا يلزم منه الاستحباب.^(٢)

٨/ المسألة الثامنة:

قال أصحابنا رخص السفر ثمان؛ ثلاث تختص بالطويل وثمان لا تختصان وثلاث فيها قولان:

- فالمختص القصر والفطر والمسح على الخف ثلاثاً.
- وغير المختص ترك الجمعة وأكل الميتة.
- والثلاث اللواتي فيهن قولان:
- ١. الجمع بين الصلاتين والأصح اختصاصه بالطويل.
- ٢. والتنقل على الدابة.
- ٣. إسقاط الفرض بالتيمم والأصح عدم اختصاصهما.

(١) المرجع السابق نفسه، (٣٦/١).

(٢) الأصول والضوابط/للنوي، مرجع سابق، (٣٩/١).

والسفر الطويل ثمانية وأربعون ميلاً بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع، قال القلعي - رحمه الله - : والذراع هنا أربع وعشرون أصبغاً معتدلات والأصبع ست شعيرات معتدلة معترضة.

ونقل ابن الصباغ وغيره أن للشافعي - رحمه الله - في مسافة القصر سبعة نصوص مختلفة اللفظ المراد بها كلها شيء واحد قال في موضع ثمانية وأربعون ميلاً، وفي موضع ستة وأربعون وفي موضع أكثر من أربعين وفي موضع أربعون، وفي موضع مسيرة يومين وفي موضع مسيرة ليلتين وفي موضع مسيرة يوم ويلة، قال أصحابنا المراد بالجميع شيء واحد وهو ثمانية وأربعون ميلاً هاشمية وهي مرحلتان بسير الأثقال وديبب الأقدام.^(١)

- قالوا وقوله ستة وأربعون تركه الأول والأخير وهو عادة معروفة للعرب.
- وقوله أكثر من أربعين أراد ثمانية وأربعين.
- وقوله أربعون أراد أربعين أموية وهي ثمانية وأربعون هاشمية.
- وقوله يومان أراد من غير ليلة بينهما.
- وقوله ليلتان أراد من غير يوم بينهما.
- وقوله يوم ويلة أراد اليوم مع الليلة.
- وكل ذلك ثمانية وأربعون ميلاً هاشمية والله أعلم.
- قال أصحابنا لا يباح شيء من رخص السفر الثمان لعاصٍ بسفره حتى يتوب إلا التيمم ففيه ثلاثة أوجه:

- أصحابها: يلزمه التيمم ويلزمه الإعادة
- والثاني: يجب التيمم ولا إعادة
- والثالث: يحرم التيمم ويجب القضاء ويكون معاقباً على المعصية وعلى تفويت الصلاة بغير عذر قالوا وإنما لا يباح له شيء منها لأنه مقصر وقادر على استباحتها كلها في الحال بالتوبة.

(١) الأصول والضوابط للنووي، مرجع سابق، (٤٢/١).

- وأما العاصي في سفره وهو الذي يكون سفره مباحاً لكنه يرتكب في طريقه معصية كشرب الخمر وغيره فتباح له الرخص والله أعلم^(١).

٩/المسألة التاسعة:

إذا تعارض أصل وظاهر أو أصلان جرى فيهما غالباً قولان للشافعي - رحمه الله- أو وجهان للأصحاب؛ كثوب خمار وقصاب متدين بالنجاسة وطين شارع ولا يتحقق نجاسته والمقبرة شك في نبشها، وأدعى القاضي حسين والمتولي والهروي اطراد القولين، وغلطوهم في ذلك فقد يجزم بالظاهر كمن أقام بيّنة على غيره بدين أو أخبر ثقة بنجاسة ماء أو ثوب وبيّن السبب كمسألة الظبية التي ذكرها الشافعي - رحمه الله - والأصحاب وهي لو رأى حيواناً ظبية أو غيرها بال في ماء كثير فرآه متغيراً واحتمل أن يكون تغيره بالبول وبطول المكث، قال الشافعي والأصحاب: يحكم بنجاسته لأن الظاهر أن تغيره بالبول.

فهذه المسائل وأشباهها يعمل فيها بالظاهر ويترك الأصل بلا خلاف. وقد يجزم بالأصل كمن ظن طهارة أو حدثاً أو أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أو طلاقاً أو عتقاً ونحوها فإنه يعمل بالأصل ولا اعتبار بالظاهر بلا خلاف. والصواب في الضابط ما قاله المحققون أنه يرجح أحدهما بمرجح جزم به وإلا ففيه القولان، والأصح من القولين في معظم الصور الأخذ بالأصل والله أعلم^(٢).
منهج الإمام النووي في عرض الأدلة واستنباط الأحكام والترجيح:

الأصل فيه ما قام به الإمام الرافعي وهو أول من جمع أقوال الفقهاء وأدلتهم في كتابه "المحرر" الذي التزم فيه على ما صححه معظم الأصحاب مع سرد أدلتهم فقد استفاد الإمام النووي منه استفادة كبيرة واختصر هذا الكتاب في نصف حجمه وأضاف إليه زيادات ضرورية ثم قام بالترجيح بين فقهاء الشافعية وذلك باستعراض

(١) المرجع السابق نفسه، (١/ ٤٤).

(٢) الأصول والضوابط/ للنووي، مرجع سابق، (١/ ٤٧).

أدلتهم وبحسب قوة الأدلة وصحتها ولم يكن الإمام النووي متعصب لمذهبه بل كان يبحاز لقوة الدليل .

ويدل على ذلك قول الإمام النووي - رحمه الله - في مقدمه المنهاج قوله: "... وقد أكثر أصحابنا - رحمهم الله - من التصنيف من المبسوطات والمختصرات". وأتقن مختصر "المحرر" للإمام أبي القاسم الرافعي - رحمه الله تعالى - ذي التحقيقات وهو كثير الفوائد، عمدة في تحقيق المذهب معتمد للمفتي وغيره من أولى الرغبات، وقد التزم مصنفه رحمه الله أن ينص على ما صححه معظم الأصحاب ووفى بما التزمه، وهو من أهم أو أهم المطلوبات لكن في حجمه كبر يعجز عن حقه أكثر أهل العصر إلا بعض أهل العناية، فرأيت اختصاره في نحو نصف حجمه ليسهل حفظه مع ما ضمه إليه إن شاء الله تعالى من النفائس المستجدات، منها التبييه على قيود في بعض المسائل هي من الأصل محذوفات ومنها مواضع يسيرة ذكرها في المحرر على خلاف المختار في المذهب كما سترها إن شاء الله تعالى واضحات ومنها إبدال ما كان من ألفاظه غريباً أو موهماً خلاف الصواب بأوضح وأخصر منه بعبارات جليات ومنها بيان القولين والوجهين والطريقين والنص ومراتب الخلاف في جميع الحالات.^(١)

(١) منهاج الطالبين وعمدة المفتين، لبيحي بن شرف النووي أبو زكريا، دار المعرفة - بيروت، (٢/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، أحمده و أشكره شكراً يليق بجلاله وعظمته.

أردت من هذه الدراسة التعريف بالإمام النووي وجهوده العلمية وتبيين منهجه في ذلك وأنه بذل جهداً كبيراً وعظيماً في إحياء التراث الإسلامي الرفيع، وتوصلت في هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات:

أولاً النتائج:

- (١) معرفة الإمام النووي والعصر الذي عاش فيه.
- (٢) أن قوة العلماء تكمن في العمل بالعلم.
- (٣) تبين من خلال هذه الدراسة أن الإمام النووي لا يدين بالتبعية لأحد إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: التوصيات:

- (١) أوصي طلاب العلم بكتابة منهج عدد من سلف هذه الأمة حتى يتسنى للقارئ والباحث فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً، ولا شك أن هذا طريق النهضة والحضارة الإسلامية.
- (٢) ضرورة قيام المؤسسات المعنية بالتشجيع في كتابة مثل هذه البحوث. وأخيراً هذا ما توصلت إليه من خلال هذه الدراسة فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب علوم الحديث والسنة النبوية.

١) الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبه الشافعية، لعلي بن أحمد السقاف المكي الشافعي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، بيروت لبنان.

٢) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٣) صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة (بدون).

ثالثاً: كتب الفقه والأصول:

١) والمنهاج السوي في ترجمه الإمام النووي، لجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي ط١ (١٤٠٨)، دار ابن حزم بيروت.

٢) كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣) منهاج الطالبين وعمدة المفتين، ليحيى بن شرف النووي أبو زكريا، دار المعرفة - بيروت.

٤) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.

٥) مقدمة المنهاج، للأمام النووي، ط١، دار الكتب العلمية القاهرة.

٦) شرح مقدمة المنهاج في نهاية المحتاج، للرملي، ط - بيروت - لبنان.

٧) المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي، فهد عبد الله الحبيشي، دار الكتب العلمية / القاهرة.

- ٨) الأصول والضوابط، ليحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، ط١، (١٤٠٦هـ)، البشائر الإسلامية - بيروت.
- ٩) المغني لابن قدامة المقدسي، مطبعة الجمهورية العربية، القاهرة.
- ١٠) المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢، القاهرة.

رابعاً: كتب التراجم واللغة:

- ١) طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط٢ (١٤١٣هـ) هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢) المنهل العذب، للسخاوي، دار الفكر العربي - لبنان - بيروت.
- ٣) وتحفه الطالبين في ترجمه الإمام محيي الدين، لابن العطار.
- ٤) البداية والنهاية، لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط١ (١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي.
- ٥) تذكرة الحفاظ، لأحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) بيروت - لبنان.
- ٦) شذرات الذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية.
- ٧) وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان - لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان دار الثقافة - لبنان.
- ٨) معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت.
- ٩) تهذيب التهذيب، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠) الإعلام للزركلي، لخير الدين بن محمود ابن علي فارس الزركلي الدمشقي - دار العلم للملايين.

١١) ذخائر التراث العربي الإسلامي، لكور كيس عواد. (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).

١٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، ط ٢ بيروت، لبنان.

قاعدة الاطراد وأثرها في بناء الأحكام

د. حسن الطاهر الشيخ الطيب*

* - استاذ اصول الفقه، كلية التربية، بجامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية (حالياً) مساعد، كلية الشريعة، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم (سابقاً).

ملخص البحث

إن قاعدة الاطراد من القواعد الأصولية المعتبرة، غير أنها لم تلق العناية الكافية، وقد حاولت جهدي أن أكشف عن جانب مهم في هذه الدراسة وأميط اللثام عن هذه القاعدة.

وقد جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة، تناولت في المبحث الأول مفهوم الاطراد في اللغة وفي اصطلاح الفقهاء والأصوليين، وتناولت في الثاني الاطراد واشتراطه في بعض المباحث الأصولية والفقهية، وذلك تأصيلاً لهذه القاعدة، وكشفاً عن مكانتها في المدونة الأصولية والفقهية، وتعرضت في المبحث الثالث إلى أثر القاعدة في الجزئيات الفقهية إظهاراً لمدى فشوها في أبواب الفقه المختلفة، ثم ذيلت البحث بخاتمة أظهرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها مع توصيات علّ الله ينفع بها.

مقدمة

الحمد لله الذي أنار للعالمين غياهب الظلمات، وأوضح لهم صراطاً مستقيماً لو اتبعوه لنجوا بأنفسهم من المهلكات، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^١، وخص هذه الأمة بأكرم رسول صلي الله عليه وآله وصحبه وسلم، نصح لها وبين لها طريق الحق، وكذلك سبل الضلالات، وأخبر بنجاة المتمسك بشرعه وهلاك متبع الغوايات، وقيد لحفظه نجوماً وأقماراً فأزاحوا غوامضه وفكوا المشكلات، وذلك بوضع قواعد تساعد المستفيد في الاستتباط وفك المجملات، فاستعنت بالله تعالي راجياً توفيقه مع تحسين للنيات، في أخذ قاعدة أصولية رسمها الاطراد، لها أهميتها في الأصول والفقه واللغات، مبدي عليها ما استطعت من نكات، على يقين مني أن لهذا الفن أهله الثقات، فأردت أن أضرب معهم بسهم في علم يخشى عليه من الثبات، لما أصاب الهمم من الكلل وضعف الرغبات، وقد أتبعته منهجاً استقرائياً، وآخر استنباطياً تطمئن النفس إليه - إن شاء الله - مع تخريج للأحاديث وعزو للآيات، وإرجاع كل قول إلى قائله معتمداً على الكتب الأمهات، وقد قسمته إلى مباحث ومطالب على ما هو آت:

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم الاطراد في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم الاطراد في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم الاطراد في الاصطلاح

المطلب الثالث: الفرق بين الاطراد والدوران

المبحث الثاني: الاطراد عند الأصوليين والفقهاء

المطلب الأول: الاطراد عند الأصوليين

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

المسألة الأولى: أطراد الحد

المسألة الثانية: أطراد الحقيقة

المسألة الثالثة: أطراد المجاز

المسألة الرابعة: أطراد العلة

المطلب الثاني: الاطراد عند الفقهاء

المسألة الأولى: أطراد العادات

المسألة الثانية: أطراد القواعد الفقهية

المبحث الثالث: الأثر الفقهي لقاعدة الاطراد

المطلب الأول: الأثر الفقهي لأطراد الحد

المطلب الثاني: الأثر الفقهي لأطراد الحقيقة

المطلب الثالث: الأثر الفقهي لأطراد القواعد

المطلب الرابع: الأثر الفقهي لأطراد العلة

الخاتمة والنتائج والتوصيات

المبحث الأول

مفهوم الاطراد في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: مفهوم الاطراد في اللغة:

الاطراد في اللغة مصدر اطرَد الأمر إذا تبع بعضه بعضاً، واطرد الحد تتابعت أفرادها، وجرى مجرى واحد كجري الأنهار، والطرْد الإبعاد، وكذلك الطَّرْد بالتحريك، تقول طردته فذهب، ولا يقال منه انفعل ولا افتعل إلا في لغة رديئة^١. واطرَد الشيء تبع بعضه بعضاً وجرى، تقول: اطرَد الأمر إذا استقام، والأنهار تطرَد أي تجري، وقول الشاعر يصف الفرس:

وكانَ مطرَدَ النسيم إذا جرى ❖❖❖ بعد الكلال خليتا زنبور^٢

قال سيبويه: طردته نفيته وأطرده، والطرید الرجل يولد بعد أخيه، فالثاني طريد الأول، واطرَد الشيء تبع بعضه بعضاً^٣.

ويقال: الماء الطرْد، وهو الذي تخوضه الدواب، سمِّي بذلك لأنه تطرَد فيه، أي تتابع، أو تطرده، أي تدفعه إذا خاضته^٤.

والاطراد في البديع: هو أن يذكر المتكلم اسم الممدوح واسم أبيه، ومن أمكن من آبائه، مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة، ومنها قوله تعالى حكاية عن

(١) الجوهري، الصحاح، ٦٤/٣، طبعة دار الملايين

(٢) المرجع السابق.

(٣) ابن سيده الأندلسي، المخصص، ٣٥٤/٣، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

(٤) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث، ٦٠٢/٢، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٢٩٧هـ، تحقيق: عبد الله الجبوري.

يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^١، حيث لم يُرد مجرد ذكر الآباء بل ذكر ملتهم التي اتبعها.^٢

المطلب الثاني: مفهوم الاطراد في الاصطلاح:

أولاً: مفهوم الاطراد عند الأصوليين: عبّر الأصوليون عن الاطراد بعبارات مختلفة المبني، متفقة المعنى، وذلك عند حديثهم عنه كطريق تثبت به عليه الوصف المقارن للحكم، نذكر لك من ذلك جملاً:

- قال الرازي في المحصول: "والمراد منه - أي من الطرد - الوصف الذي لم يعلم كونه مناسباً ولا مستلزماً للمناسب، إذا كان الحكم حاصلًا مع الوصف في جميع الصور المغايرة لمحل النزاع".^٣
- وقال ابن النجار: الطرد مقارنة الحكم للوصف بلا مناسبة لا بالذات ولا بالتبع.^٤
- وقال العطار في حاشيته: "الطرد هو مقارنة الحكم للوصف بلا مناسبة".^٥
- وقال صاحب البحر المحيط حكاية عن القاضي حسين فيما حكاها عنه البغوي: "وهو حمل الفرع على الأصل بغير أوصاف الأصل من غير أن يكون لذلك الوصف تأثير في إثبات الحكم".^٦

(١) سورة يوسف: ٣٨.

(٢) أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، ص ٢٠، مؤسسة الرسالة، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

(٣) الرازي، محمد بن عمر بن حسين، المحصول، ٣٠٥/٥، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني.

(٤) ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ١٩٥/٤، طبعة مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: محمد الرحيلي - نزيه حماد.

(٥) حاشية العطار، ٣٣٧/٢، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

(٦) الزركشي، بلدر الدين، البحر المحيط، ٢٢١/٤، طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد محمد تامر.

- وقال الإسني: "الطرد مصدر بمعنى الاطراد، وهو أن يثبت الحكم مع الوصف الذي لم يعلم كونه مناسباً ولا مستلزماً للمناسب في جميع الصور المغايرة لمحل النزاع".^١

والذي نلاحظه اتفاق الأصوليين على مفهوم الاطراد، فكلهم قد جعلوه مقارنة الحكم للوصف بلا مناسبة أصالة أو تبعاً، لأنّ المناسبة بين الحكم والوصف تفيد قياس العلة، وإن كان الوصف مستلزماً للمناسبة فهو قياس الشبه.

ثانياً: مفهوم الاطراد عند الفقهاء: الطرد عند الفقهاء يعنون به الاستمرارية وعدم التخلف، والغلبة والذبيوع، وعندهم المطرّد ضد المضطرب، وهذه المعاني استفدناها من خلال حديثهم عن شروط العوائد واعتبار الأعراف، حيث جعلوا من شرطهما الاطراد، قال السيوطي: "إنما تعتبر العادة إذا اضطردت، فإذا اضطربت فلا"،^٢ وقال ابن نجيم: "إنما تعتبر العادة إذا اضطردت أو غلبت"^٣ ومن خلال حديثهم عن كلية القاعدة وعموم حكمها.^٤

المطلب الثالث: الفرق بين الطرد والدوران: جعل بعض أهل الأصول الطرد والدوران شيئاً واحداً، لكن الذي عليه الأكثر أن بينهما فرقاً، فالدوران هو مقارنة الوصف للحكم وجوداً وعدمياً، بينما الطرد هو المقارنة وجوداً لا عدمياً.^٥

فالدوران أن يوجد الحكم عند وجود العلة وينتفي عند انتفائها ومثاله: الإسكار في العصير، فإن العصير قبل أن يوجد الإسكار كان حلالاً، فإذا وجد الإسكار صار حراماً، فهذا اقتران الحكم بالوصف وجوداً، وبعد أن صارت الخمر خللاً بالاستحالة وليست مسكرة لم تكن حراماً، فهذا اقتران عدم الحكم بعدم

(١) الإسني، جمال الدين، تحاية السؤل شرح منهاج الوصول، ١٨٤/٢، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر، ص ١٧١، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) ابن نجيم زين العابدين، الأشباه والنظائر، ص ٩٤، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٤) راجع ص ٢٢ من هذا البحث.

(٥) البحر المحيط، ٢٢١/٤، الشوكاني، محمد علي، إرشاد الفحول، ١٣٩/٢، طبعة دار الكتاب العربي، تحقيق: أحمد عزو عناية.

الوصف، فدلّ ذلك على أن العلة هي: الإسكار، لأنه لما وجد حصل التحريم، ولما زال، زال التحريم، وكالطعم مع الربا في حبّ البر، فإنه وهو مأكول فيه الربا، فإذا زرع وصار فصيلاً غير مطعوم فلا ربا فيه، فإذا عقّد الحب وصار مطعوماً عاد الربا فيه.^(١)

قلت: ولعلّ دوران الوصف مع الحكم وجوداً وعدمياً يشير إلى ثمة مناسبة وملائمة بين الحكم والوصف بينما طرد الوصف مع الحكم لا يشترط فيه ملائمة أو تأثير، ومثال الطرد قول بعضهم: الخل مائع لا يبني على جنسه القناطر، ولا يصاد منه السمك، ولا ينبت فيه القصب أو لا تعوم فيه الجواميس، أو لا يزرع عليه الزرع، ونحو ذلك، فلا تزال به النجاسة كالدهن، وكأنه علل إزالة النجاسة بالماء بأنه تبني القنطرة على جنسه، واحترز من الماء القليل، وهذا وصف طردي ليس بعلة.^(٢)

(١) عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي، تيسر الوصول إلى قواعد الأصول ومعاقد الفصول، ص ٣٧٨، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٤، ١٤٣١ هـ شرح عبد الله بن صالح الفوزان.

(٢) شرح الكوكب المنير ١٩/٤

المبحث الثاني

الاطّراد عند الأصوليين والفقهاء

المطلب الأول: الاطّراد عند الأصوليين:

المسألة الأولى: اطّراد الحد:

يجدر بنا أولاً الوقوف على ماهية الحد في اللغة والاصطلاح، ثم الكلام على مقال الأصوليين في ذلك.

أولاً: مفهوم الحد في اللغة: الحد في اللغة هو المنع، ومنه سمّي البوّاب حداداً، لأنه يمنع من دخول الدار، ومنه الحدود الشرعية لأنها تمنع صاحبها من العود إلى المعصية وسمّي التعريف حدّاً لأنه يمنع غير أفراد المعرفّ من الدخول كما يمنع أفراد المعرفّ من الخروج.^(١)

والحد إمّا أن يكون بحسب المعنى، أو بحسب اللفظ، فإن كان بحسب اللفظ فهو الحد اللفظي، وإن كان بحسب المعنى؛ فإن اشتمل على جميع الذاتيات فهو الحقيقي، وإن لم يشتمل على ذلك فهو الرسمي.^(٢)

(١) الجرجاني، على بن محمد، التعريفات، ص ١١٢، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، زكريا الأنصاري، الحدود الأنيقة، ص ٦٥، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ دار الفكر، بيروت، تحقيق: مازن مبارك، الصحاح للجوهري، ٢٥/٣، أبي الفتح البعلي الحنبلي، المطلع على أبواب الفقه، ص ٣٧٠، طبعة المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد بشير الأدلبي.

(٢) الذات كل شيء يدخل في حقيقة الشيء دخولاً لا يتصور فهم معناه بدون فهمه، كالجسمية للفرس؛ إذ من فهم الفرس، فهم جسماً مخصوصاً، فالجسمية داخلة في ذات الفرس، ابن قدامة، روضة الناظر، ص ٥٧، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٣) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ص ٧٩، شرح الكوكب المنير، ٩٢/١-٩٥.

ثانياً: مفهوم الحد في الاصطلاح: الحد اصطلاحاً هو: القول الدال على ماهية الشيء،^(١) قال ابن حزم: الحد هو لفظ وجيز يدل على طبيعة الشيء المخبر عنه، كقولك: الجسم هو كل طويل، عريض، عميق؛ فإنّ الطول والعرض والعمق هي طبائع الجسم، لو ارتفعت عنه ارتفعت الجسمية ضرورة، ولم يكن جسماً، فكانت هذه العبارة مخبرة عن طبيعة الجسم، ومميزة له مما ليس بجسم.^(٢)

وفي المسودة لآل تيمية: "هو الجامع المانع، يجمع جزئيات المحدود، ويمنع من دخول غيرها فيها"،^(٣) وكان بعض مشايخ خراسان يقول: "الحد ما منع الوالج من الخروج، والخارج من الولوج، قال القاضي أبو الطيب: وهذا أبرد من الثلوج"،^٤ وقال ابن النجار في حد الحد: هو "الوصف المحيط بموصوفه".^(٥)

ثالثاً: اشتراط اطراد الحد: ويقصدون به: وجود المعاني التي عُرف بها المحدود في جميع الصور، أي كلما وجد الحد وجد المحدود، وأجمع الأصوليون أن من شرط الحد الاطراد والانعكاس،^(٦) قال الزركشي: "وأما شروط صحته - يعني الحد - فمنها ما يرجع إلى اللفظ، ومنها ما يرجع إلى المعنى:

فمن المعنوية: أن يكون جامعاً لسائر أفراد المحدود، وهذا هو المراد بقولهم الاطراد، ومانعاً من دخول غير المحدود في الحد، وهذا هو المراد بقولهم الانعكاس،

(١) والماهية ما يصلح جواباً للسؤال بصيغة ما هو، روضة الناظر، لابن قدامة، ص ٥٥،

(٢) ابن حزم الأندلسي، على بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، ص ٣٤، مطبعة العاصمة، القاهرة.

(٣) آل تيمية، المسودة، ص ٥١، الناشر: طبعة المدني، القاهرة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

(٤) ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ٢٨٩/١، دار النشر: عالم الكتب - لبنان/ بيروت - ١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.

(٥) شرح الكوكب المنير، ٨٩/١.

(٦) البحر المحيط، ٨٢/١.

قاله القراي^(١)، وقال ابن مفلح: "شرطه - أي الحد - أن يكون مطّرداً"^(٢)، وقال ابن السبكي: "فإذن شرط الحد: أن يكون مطّرداً منعكساً، وإن شئت قل: جامعاً مانعاً"^(٣).

المسألة الثانية: أطراد الحقيقة:

أولاً: مفهوم الحقيقة في اللغة: الحقيقة في اللغة: إمّا (فعل) بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت ومنه (الحاقّة)، لأنها ثابتة كائنة لا محالة، وإما بمعنى (مفعول) من حققت الشيء إذا أثبتته، فيكون معناها الثابتة والمثبتة في موضعها الأصلي، والتاء للتأنيث في الوجه الأول، ولتنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية في الثاني، كما في (نطيحة) و (أكيلة)، لأنّ فعلاً بمعنى المفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، قال صاحب المفتاح: "إنها للتأنيث في الوجهين لأنه صفة غير جارية على موصوفها، والتقدير كلمة حقيقية وإنما يستوي المذكر والمؤنث في (فعل) بمعنى مفعول إذا كان جارياً على موصوفه، نحو (رجل قتيل) و (امرأة قتيل) وإلا فالتأنيث واجب دفعاً للتباس، نحو (مررت بقتيل بني فلان) و (قتيلة بني فلان) و (فعل) بمعنى فاعل يذكر ويؤنث سواء أجري على موصوفه أو لا، نحو (رجل ظريف) و (امرأة ظريفة) وحقيقة الشيء كماله الخاص به، يقال حقيقة الله ولا يقال ماهية الله لإيهامها معنى التجانس"^(٤).

(١) البحر المحيط، ٨١/١، مختصر ابن الحاجب، ٢٩٥/١ روضة الناظر، ٦١/١.

(٢) ابن مفلح الحنبلي أبو عبد الله محمد بن مفلح، أصول الفقه، ٤٣/١، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، تحقيق: الدكتور فهد بن محمد الصدحان.

(٣) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ١٨٩/١

(٤) الشريف التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد، مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول، ص ٤٧٦، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، تحقيق: محمد علي فركوس.

(٥) الكليات، لأبي البقاء، ص ٥٥٩.

والْحَقِيقَةُ: ما يَحِقُّ عَلَيْكَ أَنْ تُحْمِيَهُ يُقَالُ: فَلَانٌ حَامِي الْحَقِيقَةِ، نُقِلَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَهُوَ مَجَازٌ، كَمَا فِي الْأَسَاسِ، وَفِي اللِّسَانِ: حَقِيقَةُ الرَّجُلِ: مَا يَلْزَمُهُ حِفْظُهُ وَمَنْعُهُ، وَيَحِقُّ عَلَيْهِ الدَّفَاعُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَجَمَعُهَا: الْحَقَائِقُ.^(١)

ثانياً: مفهوم الحقيقة في الاصطلاح: الحقيقة اصطلاحاً هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في الاصطلاح الذي به التخاطب، وهذا الذي عليه جمهرة من الأصوليين.^(٢) شرح التعريف: اللفظ في أصل اللغة مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتاً وحرفاً وما هو حرف واحد وأكثر، مهملاً أو مستعملاً، صادراً من الفم أو لا، لكن خص في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج حرفاً واحداً أو أكثر، مهملاً أو مستعملاً، فلا يقال لفظ الله بل يقال كلمة الله.^(٣)

وفي اصطلاح النحاة: ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف واحداً أو أكثر أو يجري عليه أحكامه، كالعطف والإبدال، فيندرج فيه حينئذ كلمات الله وكذا الضمائر التي يجب استتارها، وهذا المعنى أعم عن الأول، وأحسن تعاريفه على ما قيل: صوت معتمد على مقطع حقيقة أو حكماً، فالأول: كزيد، والثاني: كالضمير المستتر في (قم) المقدر بأنت.^(٤)

(١) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٧١/٢٥، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ابن منظور، محمد بن مكرم لسان العرب، ٤٩/١٠، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت.

(٢) الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ٢٨/١، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٤هـ السمعي، أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة، ١٣٩/١. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق:

محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص ١٢٧٣.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

وقولهم (المستعمل) قيد يخرج به اللفظ الموضوع قبل الاستعمال؛ فإنه ليس بحقيقة ولا مجاز، ويصح هذا على قول من يقول إن الألفاظ العربية وضعت أولاً لمعانٍ، ثم بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال، وهذا إنما صحّ على من جعل اللغات اصطلاحية،^(١) وأن قوماً من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا وجعل هذا عاماً في جميع اللغات، ويخرج أيضاً به المهمل.

وقولهم (فيما وضع له) يخرج به المجاز؛ فإنه مستعمل في غير ما وضع له، ولك أن تقول المجاز موضوع فلا يخرج بهذا الفصل، وإنما يخرج لو قال وضعاً أولاً، ولا يمكن أن يزداد هذا القيد مخافة أن يعترض عليه بالحقيقة الشرعية والعرفية لأنهما من غير وضع أول.^(٢)

وقولهم (في اصطلاح التخاطب) يشمل أقسام الحقيقة الثلاثة، فكل ما حصل به التخاطب بحيث لا يفهم عند التخاطب غيره، سواء كان المخاطب به معني لغوياً؛ كلفظ الإنسان للحيوان الناطق، والأسد للحيوان الشجاع، عريض الأعالي، أو كان معني عرفياً لغوياً، وهو قسمان: الأول: أن يكون الاسم قد وضع لمعنى عام ثم يخصص بعرف استعمال أهل اللغة ببعض مسمياته، كاختصاص لفظ الدابة بذوات الأربع عرفاً، وإن كان في أصل اللغة لكل ما دب، وذلك إما لسرعة دبيبه، أو كثرة مشاهدته، أو كثرة استعماله، أو غير ذلك.^(٣)

(١) نسب ابن تيمية هذا القول لأبي هاشم بن الجبائي، وقال لم يعرفه أحد من المسلمين قبله، انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية ١١٠/٢ الناشر: المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) راجع: روضة الناظر لابن قدامة، ٢٣١/١ مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، شرح الكوكب المنير لابن النجار، ٧٧/١، تيسير التحرير لأمر بادشاه، ١/٢، طبعة دار الفكر، الإحكام للأمدى، ٥٢/١، الإجماع لابن السبكي، ٢٧٢/١.

(٣) راجع: المراجع السابقة نفس الجزء والصفحة.

والثاني: أن يكون الاسم في أصل اللغة بمعنى، ثم يشتهر في عرف استعمالهم بالمجاز الخارج عن الموضوع اللغوي، بحيث إنه لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره، كاسم الغائط: فإنه وإن كان في أصل اللغة للموضع المطمئن من الأرض، غير أنه قد اشتهر في عرفهم بالخارج المستقذر من الإنسان، حتى إنه لا يفهم من ذلك اللفظ عند إطلاقه غيره، ويمكن أن يكون شهرة استعمال لفظ الغائط من الخارج المستقذر من الإنسان لكثرة مباشرته، وغلبة التخاطب به، مع الاستكفاف من ذكر الاسم الخاص به، لنفرة الطباع عنه، فكنوا عنه بلازمه أو لمعنى آخر.^(١)

أو كان اللفظ المخاطب به حقيقة شرعية، وهي استعمال الاسم الشرعي فيما كان موضوعاً له أولاً في الشرع، وسواء كان الاسم الشرعي ومسماه لا يعرفهما أهل اللغة أو هما معروفان لهم، غير أنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو عرفوا المعنى كاسم الصلاة والحج والزكاة ونحوه، وكذلك اسم الإيمان والكفر لكن ربما خصت هذه بالأسماء الدينية.^(٢)

ثالثاً: اطراد الحقيقة: ومعنى اطراد الحقيقة صلاحية إطلاق اللفظ على كل فرد من أفراد المعنى المقصود منه مع عدم إمكان العدول في بعض الأفراد، ولقد ذكر الأصوليون أن الاطراد هو أحد الأوجه التي يفرق بها بين الحقيقة والمجاز، قال الرازي في ذلك: "وأما الفروق الضعيفة فقد ذكر منها الغزالي وجوهاً أربعة أحدها: أن الحقيقة جارية على الاطراد فقولنا عالم لما صدق على ذي علم واحد صدق على كل ذي علم والمجاز ليس كذلك فإنه لما صح وأسأل القرية، ما صح وأسأل البساط."^(٣)

وعلى لزوم اطرادها وقع الخلاف بين الأصوليين، قال الرازي: "دعوى اطراد الحقيقة ممنوعة؛ لأن الحقيقة لا تطرد في مواقع كثيرة:

(١) الإحكام للآمدي، ٥٢/١، الإجماع لابن السبكي، ٢٧٢/١.

(٢) الإحكام للآمدي، ٥٢/١، الإجماع لابن السبكي، ٢٧٢/١.

(٣) المحصول للرازي، ٤٨٣/١٠.

الأول: أن يمنع منه العقل كلفظ الدليل عند من يقول إنه حقيقة في فاعل الدلالة فإنه لما كثر استعماله في نفس الدلالة لا جرم، لم يحسن استعماله في حق الله تعالى إلا مقيداً.

والثاني: أن يمنع السمع، منه كتسمية الله تعالى بالفاضل والسخي فإنها ممنوعة شرعاً مع حصول الحقيقة فيه. الثالث: أن تمنع منه اللغة كاستماع استعمال الأبلق في غير الفرس. فإن اعتذروا عنه بأن الأبلق موضوع للمتلون بهذين اللونين بشرط كونه فرساً، فنقول جوّز في كل مجاز لا يطرد أن يكون سبب عدم أطراده ذلك، وحينئذ لا يمكن الاستدلال بعدم الأطراد على كونه مجازاً^١.

ولعلّ قصد الأصوليين باطراد الحقيقة الغالب عليها، والخارج عن ذلك خرج لمانع فلا يقدر، يقول صاحب المعتمد: "فأما المانع من أطراد الحقيقة فضريان: أحدهما: أن يكثر استعمالها في المجاز كثرة توهم المجاز ولا يجوز إطلاقها في موضع لا يحسن إيهام ذلك المجاز فيه نحو وصف الله عز و جل بأنه دليل عند من يقول إن قولنا الدليل حقيقة في فاعل الدلالة لأنه قد كثر استعماله في الدلالة فصار إطلاق ذلك يوهم المجاز، والضرب الآخر: السمع؛ فإنه منع من تسمية الله بأنه فاضل، وإن أفاد المدح^٢ ولأجل هذا الخارج جعل الأطراد من الأوجه الضعيفة في التفرقة بين الحقيقة والمجاز.

المسألة الثالثة: أطراد المجاز:

أولاً: مفهوم المجاز في اللغة: المجاز لغة: مأخوذ من جاز، يجوز، جوزاً، وجوازاً، يقال جاز المكان، إذا سار فيه، وأجازه: قطعه، يقال: جاز البحر: إذا سلكه وسار فيه حتى قطعه وتعداه. ويقال: أجاز الشيء: أي أنفذه، ومنه إجازة العقد: إذا جعل جائزاً نافذاً

(١) المحصول للرازي، ٤٨٣/١.

(٢) أبو الحسين البصري، المعتمد، ٣٠/١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٤٠٣ تحقيق: خليل الميس.

ماضياً على الصحة، وجاوزت الشيء وتجاوزته: تعديته، وتجاوزت عن الشيء: عفوت عنه وصفحته، وتجاوزت في الصلاة ترخصت فأتيت بأقل ما يكفي.^(١)

ثانياً: مفهوم المجاز في الاصطلاح: المجاز اصطلاحاً هو: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به التّخاطبُ لعلاقةٍ بينهما وقرينة مانعة من إرادة المُعنى الأصلي"،^(٢) قاله القرائي، وعرفه الرازي بقوله: "ما أُفيد به معنى مصطلح عليه غير ما اصطُح عليه في أصل تلك المواضع التي وقع التّخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول"،^(٣) وقيل هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أولاً على وجه يصح، وزيادة قيد: "على وجه يصح" لإخراج مثل استعمال لفظ الأرض في السماء.^(٤)

وكلّ التعريفات للمجاز لا تخرج عما أوردته، ولعلّ أشملها تعريف القرائي؛ لذا سوف أتناوله بالشرح:

فقوله: (اللفظ المستعمل) قد عرفت شرحهما فيما سبق،^(٥) وقوله: (في غير ما وضع له) أي أولاً؛ لأنّ المعنى المتبادر عند الإطلاق هو الحقيقي، ويعد وضعه وضعاً أولياً، والمعنى المستعمل في غير ما وضع له يعد وضعه وضعاً ثانياً (في اصطلاح به التّخاطب) ليشمل ذلك المجاز اللغوي كتسمية الرجل الجواد بالبحر، وتسمية البليد حماراً، والمجاز العرفي مثاله استعمال لفظ الدابة لذات الحافر والمجاز الشرعي كإطلاق لفظ الصلاة في الشرع لمطلق الدعاء انتقالاً من ذات الأركان للمعنى المتضمن لها من الخضوع والتذلل والسؤال.

(١) الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير، ١/١١٥، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، لسان العرب، ٥/٣٢٦، دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى

(٢) القرائي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواع الفروق، ٣/٧٩٩، طبعة دار السلام للعناية والنشر والتوزيع، تحقيق: أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. علي جمعة محمد

(٣) المحصول، ١/٣٩٧

(٤) إرشاد الفحول ١/٦٣.

(٥) راجع ص ١٠

وقوله: (لعلاقة بينهما)، أي بين المعني المجازي والمعني اللغوي، وهذا المعبر عنه بقيد (على وجه يصح) في بعض التعريفات كما مرّ.
وقوله: (وقرينة مانعة من إرادة المعني الأصلي)، أي علامة تجعل إرادة المعني الحقيقي من اللفظ المطلق غير ممكنة.

ثالثاً: أطراد المجاز: يرى بعض الأصوليين^(١) أنّ من أوجه الفرق الاستدلالية بين المجاز والحقيقة هو عدم أطراد المجاز^(٢) واعتراض: بأنّ عدم الاطّراد قد يوجد في الحقيقة كالسخي، والفاضل، فإنهما لا يطلقان على الله سبحانه مع وجودهما على وجه الكمال فيه، وكذا القارورة لا تطلق على غير الزجاجية، مما يوجد معنى الاستقرار فيه كالذن.

وأجيب عنه: بأنّ الأمانة عدم الاطّراد لا لمانع لغة أو شرعاً، ولم يتحقق فيما ذكرتم من الأمثلة فإنّ الشرع منع من إطلاق السخي، والفاضل على الله سبحانه، واللغة منعت من إطلاق القارورة على غير الزجاجية،^(٣) وقد ذكر نحو هذا القول صاحب المعتمد، نافياً أطراد المجاز ومحتجاً لذلك، قال: "ولو اطرد المجاز كأطراد الحقيقة لما كان بينهما فصل فإن قيل: الفصل بينهما أن الحقيقة أصلية والمجاز طارئ، قيل: قد أجيب عن ذلك: بأنّ الحقيقة قد تطرأ أيضاً على الحقيقة؛ فإن قيل الفصل بينهما أن المجاز يحتاج في حمله على ما هو مجاز فيه إلى دلالة، وليس كذلك الحقيقة، قيل: بل قد تحتاج الحقيقة إلى دليل إذا كان اللفظ مشتركاً بين حقيقتين، ولقائل أن يقول:

(١) هذا رأي الغزالي، راجع المستصفي ٢/٢٠٠، تح: محمد سليمان الأشقر، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م - ١٤١٧هـ.

(٢) المقصود بعدم اطّراد المجاز هو عدم استعماله في غير محله مع وجود السبب المسوّج لذلك، كالتجوز بالنخلة للإنسان الطويل دون غيره مما فيه طول.

(٣) إرشاد الفحول، ١/٧٣.

الفصل بينهما: أن المجاز لا يسبق إلى الفهم ما هو مجاز فيه ويسبق إلى الفهم ما اللفظ حقيقة فيه سواء كان حقيقة في معنى واحد أو أكثر.^(١)

ويمكن أن يحتج لنفي اطراد المجاز بأن المتجوز بالاسم في غير ما وضع له، إنما يرخص فيه لغرض لا يجب أن يوجد في غيره، نحو أن يكون قد اهتم بذلك الشيء فدعا به بشدة اهتمامه به إلى أن يبالي في وصفه فيشبهه بغيره، نحو تسميتهم الرجل الطويل بأنه نخلة، ولا يجب حصول هذا الغرض في غير الناس، ولكنه قائم في كل رجل وقع الاهتمام به؛ فإن قيل: فقد طردتم المجاز في نوعه، قيل إن أريد باطراده هذا؛ فذلك لا نأباه، فإن قيل: فلعلهم تجوزوا بالنخلة في الطويل بشرط كونه من الرجال فيطرد الاسم فيما وجد فيه شرطه دون ما عدم فيه شرطه، فيتساوى الحقيقة والمجاز في ذلك، قيل: هذا تسليم لما نريده من أن المجاز لا يتعدى نوعه وإن عللتموه بما ذكرتم، ولقائل أن يقول: إذا كانوا قد تجوزوا باسم النخلة في الرجل الطويل على طريق المبالغة في وصفه بالطول لاهتمامهم، فيجب إذا حصل هذا الغرض في غيره من الأجسام أن يتجوزوا بهذا الاسم فيه، وفي ذلك اطراد الاسم، والجواب أنه إذا كان الغرض قد لا يحصل في كل موضع فقد تم ما أردناه من نفي وجوب اطراد المجاز.^(٢)

المسألة الرابعة: اطراد العلة:

أولاً: مفهوم العلة في اللغة: العلة لغة: عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار ومنه يُسمى المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف وقيل هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه.^(٣)

قال القرافي: "العلة باعتبار اللغة مأخوذة من ثلاثة أشياء: العرض المؤثر: كعلة المرض، وهو الذي يؤثر فيه عادة، والداعي للأمر: من قولهم "علة إكرام زيد لعمرو،

(١) المعتمد، ٣١/١

(٢) المعتمد، ٣١/١

(٣) التعريفات للجرجاني، ص ٢٠١

علمه وإحسانه، وقيل: من الدوام والتكرار، ومنه العلل للشرب بعد الري، يقال: شرب عللاً بعد نهل^(١).

ثانياً: مفهوم العلة في الاصطلاح: قال الزركشي: "وأما في الاصطلاح: فاختلفوا فيها على خمسة أقوال: أحدها: أنها المعرف للحكم، أي جعلت علماً على الحكم، إن وجد المعنى وجد الحكم، أي ما دالة على وجود الحكم وليست مؤثرة لأن المؤثر هو الله، ولأن الحكم قديم فلا يؤثر فيه الحادث^(٢).

وقال الهندي^(٣): ليس المراد بكونها معرفة أنها تعرف حكم الأصل، فإن ذلك يعرف بالنص بل حكم الفرع، لكن يخدمه قول أصحابنا: "إن حكم الأصل معلل بالعلة المشتركة بينه وبين الفرع مع أنه غير معرف بها"^(٤).

واعترض صدر الشريعة على هذا التعريف بأنه غير مانع لشموله العلامة، ولكن بينهما فرقاً: فإن العلامة ما يعرف بها وجود الحكم من غير أن يتعلق بها وجوده ولا وجوبه، وقال التفتازاني: وغير مانع أيضاً لخروج المستتبطة عنه؛ لأنها عرفت بالحكم؛ لأن معرفة عليية الوصف متأخرة عن طلب علته المتأخرة عن معرفة الحكم؛ فلو عرف الحكم بها لكان العلم بها سابقاً عن معرفة الحكم فيلزم الدور^(٥)، وجواب هذا الاعتراض: أن المعرف للعلة المتقدم عليها هو حكم الأصل، والمعرف للعلة المتأخر عنها هو حكم الفرع؛ فلا دور؛ فإن قيل هما مثلاً يشتركان في الماهية ولوازمها، قلنا لا ينافي كون أحدهما أجلى من الآخر بعارض^(٦).

(١) القرافي، شهاب الدين أحمد بن ادریس، نفائس الأصول في شرح المحصول، ٣٢١٧/٧، مكتبة نزار مصطفى، الطبعة

الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، تحقيق: عادل محمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض

(٢) البحر المحیط ١٠٢/٤

(٣) هو الفقيه الأصولي محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأموي، أبو عبد الله، صفي الدين الهندي: فقيه أصولي. ولد بالهند، وخرج

من دهلي سنة ٦٦٧ هـ، فرار اليمن، وحج، ودخل مصر والروم. واستوطن دمشق (سنة ٦٨٥) وتوفي بها.

ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية. له مصنفات، منها (نهاية الوصول إلى علم الأصول. أنظر: الأعلام

للزركلي ٢٠٦/٣، طبعة دار الكتب العلمية

(٤) البحر المحیط ١٠٢/٤

(٥) مسعود بن عمر التفتازاني، التلويح على التوضيح، ١١٤/٢، طبعة دار الكتب العلمية، منشورات: محمد على بيضون

(٦) حاشية العطار ٤١/٥

الثاني: أنها الموجب للحكم على معنى أن الشارع جعلها موجبة لذاتها، وهو قول الغزالي وسليم، قال الهندي: وهو قريب لا بأس به، فالعلة في تحريم النبيذ هي الشدة المطربة كانت موجودة قبل تعلق التحريم بها، ولكنها علة بجعل الشارع.

الثالث: أنها الموجبة للحكم بذاتها لا بجعل الله، وهو قول المعتزلة بناء على قاعدتهم في التحسين والتقبيح العقلي، والعلة وصف ذاتي لا يوقف على جعل جاعل، ويعبرون عنه تارة بالمؤثر.

الرابع: أنها الموجبة بالعادة، واختاره الإمام فخر الدين الرازي في "الرسالة البهائية" في القياس وهو غير الثاني.

الخامس: الباعث على التشريع بمعنى أنه لا بد أن يكون الوصف مشتملاً على مصلحة صالحة أن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم.^(١)

ومنهم من عبر عنها بالتي يعلم الله صلاح المتعبدين في التعبد بالحكم لأجلها، وهو اختيار الأمدى^(٢) وابن الحاجب^(٣)، وهو نزعة القائلين بأن الرب تعالى يعلل أفعاله بالأغراض، والشافعية يشددون في النكير على من جعل العلة هي الباعث على التشريع؛ لأن الرب لا يبعثه شيء على شيء، ومن عبر عنها من الفقهاء بذلك، أراد أنها باعثة للمكلف على الامتثال.^(٤)

وقال ابن الحاجب في شروط العلة: ومنها أن تكون بمعنى الباعث، أي مشتملة على حكمة مقصودة للشارع^(٥)، وذلك من شرع الحكم يقيناً أو ظناً، وإذا كان هذا المراد بالباعث لم يلزم التشنيع المذكور^(٦)،

(١) البحر المحيط ٤/١٠٢

(٢) الإحكام للأمدى، ٣/٢٢٤

(٣) رفع الحاجب لابن السبكي، ٤/١٧٣

(٤) حاشية العطار، ٥/٤٣

(٥) رفع الحاجب لابن السبكي، ٤/١٧٣

(٦) حاشية العطار، ٥/٤٣

وقال محمد بن أمير حاج: "هي "ما" أي وصف "شرع الحكم عنده" أي عند وجوده لا به "لحصول الحكمة جلب مصلحة" أي ما يكون لذة أو وسيلة إليها "أو تكميلها أو دفع مفسدة" أي ما يكون ألماً أو وسيلة إليه "أو تقليلها" سواءً كان ذلك نفسياً أو بدنياً، دنيوياً أو أخروياً وحاصله ما يكون مقصوداً للعقلاء إذ العاقل إذا خيّر اختار حصول المصلحة ودفع المفسدة وما هو كذلك يصلح مقصوداً قطعاً".^(١)

وقال ابن النجار في الكوكب: "العلة التي هي أحد أركان القياس عند أهل السنة من أصحابنا وغيرهم: مُجَرَّدُ أَمَارَةٍ وَعَلَامَةٍ نَصَبَهَا الشَّارِعُ دَلِيلًا يَسْتَدَلُّ بِهَا الْمُجْتَهِدُ عَلَى وَجْدَانِ الْحُكْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَارِفًا بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَخَلَّفَ، كَأَنْفِئِمٍ هُوَ أَمَارَةٌ عَلَى الْمَطَرِ، وَقَدْ يَتَخَلَّفُ وَهَذَا لَا يَخْرُجُ الْأَمَارَةَ عَنْ كَوْنِهَا أَمَارَةً"^(٢)

ثالثاً: اشتراط الاطراد في العلة: المقصود باطراد العلة: استمرار حكمها في جميع محالها، أي متى وجدت العلة التي نيطة الحكم بها وجد حكم الأصل، وهو المعبر عنه بسلامتها عن النقض؛ إذ أن تخلف الحكم عنها يعد قاذحاً من القوادح، قال ابن النجار: "وعدم اطراد العلة بأن توجد العلة بلا حكم"،^(٣) وقال ابن قدامة المقدسي معرفاً لاطراد العلة، وهو استمرار حكمها في جميع محالها".^(٤)

وفي اشتراط الاطراد لصحتها وقع الخلاف بين الأصوليين، فذهبوا في ذلك إلى

قولين:

(١) محمد بن محمد بن أمير الحاج الحنبلي، التقرير والتحيز، ٣٧٥/٥، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى

١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دراسة وتحقيق: عبد الله محمود محمد.

(٢) شرح الكوكب المنير، ٣٩/٤

(٣) شرح الكوكب المنير، ٥٦/٤

(٤) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد، روضة الناظر وحنة المناظر، ص ٣٢٣، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض

الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد

القول الأول: إن الاطراد دليل على كون الوصف علة، وهو قول كثير من قدماء فقهاء الشافعية، قال الرازي: "وهذا قول كثير من قدماء فقهاءنا ومنهم من بالغ فقال مهما رأينا الحكم حاصلًا مع الوصف في صورة واحدة حصل ظن العلية"^(١)

القول الثاني: ليس الاطراد بدليل على كون الوصف علة، قال ابن السمعاني: "اعلم أن الطرد ليس بحجة والتمسك به باطل، وهو الذي لا يناسب الحكم ولا يشعر به، وكذلك الاطراد لا يكون دليل صحة العلة، وبالغ القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في التخليط على من يعتقد ربط حكم الله تعالى به، وقال: "وسمى أبو زيد الذين يجعلون الطرد حجة والاطراد دليلاً على صحة العلة حشوية"^(٢) أهل القياس، قال ولا يعد هؤلاء من جملة الفقهاء"^(٣)

وقال البزدوي: "اعلم بأن الاحتجاج بالطرد احتجاج بما ليس بدليل ولا حجة ومن عدل عن طريق الفقه إلى الصورة أفضى به تقصيره إلى أن قال لا دليل على الحكم يصلح دليل وكفى به فساداً"^(٤)

قال الجويني في البرهان: "وقد ذهب المعتبرون من النظائر إلى أن التمسك به باطل وتناهى القاضي في التخليط على من يعتقد ربط حكم الله تعالى به"^(٥)

قال ابن العربي المالكي في المحصول: "وقد زعم بعض الناس أنه دليل على صحة العلة وهو قول فاسد"^(٦)

(١) المحصول ٣٠٥/٥

(٢) هو مصطلح يتقصد به العامة الذين هم حشو، وأول من أطلقه عمرو بن عبيد المعتزلي، ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ١٦ / ٢٠٧، طبعة مجمع الملك فهد، تح: عبد الرحمن بن محمد بن حاتم . و منهاج السنة النبوية ، ٥٢٠/٢ ، طبعة مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ تح: محمد رشاد سالم، وعلل المعنى المقصود هنا هم من ليس لهم معرفة بالقياس وطرائقه.

(٣) قواطع الأدلة في الأصول، لابن السمعاني، ١٤١/٢

(٤) أصول البزدوي، ص ٢٦٨

(٥) البرهان ٣٥/٢

(٦) المحصول لابن العربي ص ١٢٧

وقد احتج أصحاب القول الأول بالآتي:

الدليل الأول: إن استقراء الشرع يدلّ على أن النادر في كل باب ملحق بالغالب فإذا رأينا الوصف في جميع الصور المغايرة بمحل النزاع مقارناً للحكم ثم رأينا الوصف حاصلًا في الفرع وجب أن يستدل به على ثبوت الحكم إلحاقاً لتلك الصورة الواحدة بسائر الصور.

الدليل الثاني: أنا إذا رأينا فرس القاضي واقفاً على باب الأمير، غلب على ظننا كون القاضي في دار الأمير وما ذاك إلا لأن مقارنتهما في سائر الصور أفاد ظن مقارنتهما في هذه الصورة المعينة.^(١)

الدليل الثالث: إن الأدلة التي دلت على أن القياس حجة، أنّها لم تخص وصفاً دون وصف، وهذا لأنّ علل الشرع أمارات على الأحكام وليست من قبل العلل العقلية، فصحّ تعليقها بالصور، وتصير تلك الصور أمارات على الأحكام، كالنصوص التي ترد في أحكام ولا يعقل معانيها فهذه العلل مثل تلك النصوص في الأحكام.

الدليل الرابع: إنّ عدم الاطراد دليل على فساد العلة فالاطراد دليل صحة العلة؛ ولأنّ الاطراد والجريان هو الاستمرار على الأصول من غير أن يردّها أصل، وهذا شهادة من الأصول في غير أن يردّها أصل، وهذا شهادة من الأصول لها بالصحة، فوجب أن نحكم بصحتها ببينة أنها إذا أطردت فقد عدم ما يوجب فسادها، فوجب أن نحكم بصحتها؛ لأنّه ليس بين الصحة والفساد واسطة.^(٢)

واحتج أصحاب القول الثاني:

الدليل الأول: أنّ الاطراد عبارة عن كون الوصف بحيث لا يوجد إلا ويوجد معه الحكم، وهذا لا يثبت إلا إذا ثبت أن الحكم حاصل معه في الفرع، فإذا أثبت حصول الحكم في الفرع بكون ذلك الوصف علة وبينتم عليته بكونه مطرداً لزم الدور وهو باطل.

(١) المحصول للرازي، ٣٠٦/٥

(٢) قواطع الأدلة ١٤١/٢

الدليل الثاني: أن الحد مع المحدود، والجوهر مع العرض، وذات الله تعالى مع صفاته، حصلت المقارنة فيها مع عدم العلية^(١).

الدليل الثالث: قاله ابن السمعاني: "حصول الاتفاق على أن الاحتكام على الشرع باطل، ألا ترى أنه لو احتكم المحتكم من غير ذكر علة أصلاً فيكون قوله باطلاً، وصفة المحتكم على الشرع أن لا يكون لقوله الذي يقوله طريق معلوم ولا مظنون ونحن نعلم قطعاً أن أحكام الشرع مرتبطة إما بطريق علمي أو ظني، ويستند إلى سبب، وإذا خلا عن هذين الطريقين يصير مجرد احتكام على الشرع من قائله، والدليل على أن الظن لا بد له من إشارة إلى سبب حتى يعمل به، وأن العلميات في الشرع لا بد من استنادها إلى طريق يوجب العلم، فالظنيات لا بد من استنادها إلى سبب يفيد الظن؛ ولأن من ادعى يظن أن وراء هذا الجبل المطل علينا جيشاً عظيماً أو بحراً أو سباعاً أو غير ذلك من الأشياء؛ فإنه لا بد من استنادها إلى أسباب؛ فإنه إذا لم يربط بسبب كان فيما ظنه مهووساً وفي قوله هاذياً، ثبت أن الظن لا بد له من سبب ليعمل عليه، والطرْد لا يفيد علماً ولا ظناً لأن الحكم الذي ربط به إثباتاً لو ربط به نفياً لم يترجح في مسلك الظن أحدهما على صاحبه، فبطل التعلق به؛ فإن قيل سلامته عن النقض يفيد علية الظن كونه علماً على الحكم، قلنا هذا الذي قلت هو طرد الطارد وهذا الطارد مطالب بتصحيح علة وطرده لعلة لا يكون دليلاً على صحة علة فإن فعله لا يكون دليل صحة قوله، ثم هذا المعترض يقول: إن الاطّراد في محل النزاع، وعندني أنه لا اطّراد؛ فإن قال المعلل قد طرد في غير محل النزاع، يقال له جريانه في غير محل النزاع لا يوجب اطّراده في هذا الموضع الذي وقع فيه النزاع، وهذا؛ لأن الطارد منازع في طرده فكيف يستدل باطّراده، وإثماً غاية دعواه أنه يقول إن الدليل على صحة طرد دعوي باطّراده في صورة النزاع، قال القاضي أبو بكر: "لو جاز التمسك بالطرد لما عجز عنه أحد من طبقات الخلق، ولما كان من اشتراط استجماع أوصاف المجتهدين معنى، ثم قال فإن زعم زاعم أن شرط الطرد أن يسلم عن العوارض والمبطلات ولا

(١) المحصول للرازي ٣٠٧/٥

يهتدي إلى ذلك إنّا عالم، فقال كيف لا يهتدي بأن يذكر علة ويطردها أين وجدت قال وإذا انتهى التصرف في الشرع إلى هذا المنتهى كان ذلك استهزاء بقواعد الدين واستهانة بضبطها وتطريقاً لكل قائل أن يقول ما يريد ويحكم بما شاء، ولهذا صرف علماء الشرع تبعثهم إلى البحث عن المعاني المختلفة المؤثرة، ببينة أنا جعلنا إجماع الصحابة هو الدليل الأقوى في صحة القياس، ولم يرو عن احد منهم أنه تعلق بطرد لا يناسب الحكم ولا يؤثر فيه، وإنما نظروا إلى الأقيسة من حيث المعاني وسلكوا طريق المرشد والمصالح التي تشير إلى محاسن الشريعة، ولو كان الطرد قياساً صحيحاً لما عطلوه ولما أهملوه ولما تركوا الاعتلال به، وكذلك سائر الأئمة المقتدى بهم من بعدهم.^(١)

وضرب الحليمي لذلك مثلاً: فقال من رأى دخاناً نائراً فظن أن وراءه حريقاً كان مصيباً في ظنه، ومن رأى غباراً ثم ظن أن وراءه حريقاً كان مختلاً في ظنه، نعم لو ظن أن وراءه عسكرياً أو سرحاً كان مصيباً، ونقول أيضاً أننا قد بينا أنّ العلة هي الصفة الجالبة للحكم، ويجوز أن يقال إنّ العلة هي المقتضية للحكم، فأما إذا لم نعتبر وجود ما يقتضى الحكم أو وجود ما يجلب الحكم في الصفة التي جعلت علة لم تكن هذه الصفة بأن يجعله علة بأولى من غيرها من الصفات، فإنّ للأصل صفات كثيرة وقد جعل أحدهما علة، فلا بد أن يكون لها اختصاص أو مناسبة بالحكم الذي جعلت الصفة علة له، حتى تكون جالبة له أو مقتضية إياه؛ وهذا لأنّ التغييرات الاتفاقية قد تقع كثيراً فلا يقع الفرق بين التغيير الاتفاقي وبين التغيير بالعلة إلا بما ذكرناه من وجود اختصاص ومناسبة بين العلة والحكم".^(٢)

وقد أجاب أصحاب القول الأول عن اعتراضهم: "بأنه يلزم من الاطراد الدور":
 أنّا لا نستدل بالمصاحبة في كل الصور على العلية حتى يلزم الدور، بل نستدل بالمصاحبة في كل صورة غير الفرع على العلية وحينئذ لا يلزم الدور، هذا عن الاعتراض

(١) قواطع الأدلة، ٣/١٧٦

(٢) قواطع الأدلة، ٢/١٤٢ بتصريف يسير

الأول، وعن الثاني: "أن غاية كلامكم حصول الطرد في بعض الصور منفكاً عن العلية" وهذا لا يقدر في دلالاته على العلية ظاهراً، كما أن الغيم الرطب دليل المطر ثم عدم نزول المطر في بعض الصور لا يقدر في كونه دليلاً^(١)

وأما عن دليلهم "بأدلة وجوب العمل بالقياس، وبما أن علل الشرع أمارات"، قال ابن السمعاني: "أما تعلقهم بالأدلة التي دلت على صحة القياس قلنا هذا الكلام دليل عليكم لأن الأدلة التي دلت على صحة القياس على الأصول وهذا القياس يوجد ببعض الأوصاف ثم البعض عن البعض لا يمتاز إلا بدلالة أخرى، إلا ترى أن نصوص القرآن دلت أن الأمة شهداء في الأصل ولم يدل أن كل لفظ منهم شهادة، بل دلت أنه يوجد منهم الشهادة، وذلك يحصل ببعض الألفاظ ولا يتميز ذلك عن غيره إلا بدليل؛ ولأن كل وصف لو صلح علة والأوصاف محسوسة مسموعة لشرك السامعون وأهل اللغة كلهم الفقهاء في المناسبات، ولما اختص القياس بالفقهاء، علمنا أن المقايسة مبنية على معان تفقه، لا على أوصاف وأسامي تسمع، وقد ذكرنا هذا من قبل بلفظ آخر.

وأما قولهم: "إن علل الشرع أمارات وليست بموجبات" قلنا: لا يسلم هذا الأصل على الإطلاق، فإن الفقهاء وإن كانوا يطلقون هذا ولكن معنى ذلك أنها لا توجب بذواتها شيئاً بل تجعل الشارع إياها موجبة ولم تكن بنفسها موجبة بل صارت موجبة بالشرع، لا يمنع أن يقوم الدليل على أن القياس إذا احتاجت صحته إلى علة فلا بد أن تكون العلة مناسبة للحكم مؤثرة فيه مقتضية إياه، وقد دللنا أنه لا بد من ذلك، فإن قيل: ما قولكم في الشرع إذا نصب الطرد علماً هل يجوز أم لا؟ قلنا: يجوز، قالوا: إذا جاز من الشارع جاز من المعلن، قلنا: وإن جاز من الشارع لكنه لا يكون علة، لكنه تعريف للحكم أو تجديد له، ولو ذكر الشرع الحكم من غير علة له قوبل بالقبول فإذا ذكره وذكر علماً عليه قبل وصدق أيضاً، وهذا لأن الشرع له التحكم علينا كما يشاء ولكن ليس لنا التحكم على الشرع كما شئنا فتبين الفرق قطعاً، وباقى ما ذكره ليس بشيء ينبغي الاشتغال به، وفيما ذكرناه من قبل جواب عنه.

(١) المحصول للرازي ٥/٣٠٧

وقد ذكر القاضي أبو الطيب أنّ الأطرّاد زيادة دعوى، والدعوى لا تثبت بزيادة الدعوى، قال: "ولأنّ القياس الفاسد قد يطرد ولو كان الأطرّاد دليل صحة العلة لم يقم هذا الدليل إلّا على الأقيسة الفاسدة"^(١)

المطلب الثاني: الأطرّاد عند الفقهاء:

المسألة الأولى: أطرّاد العادات

أولاً: مفهوم العادة في اللغة :

العادة في اللغة: معروفة و الجمع (عَادٌ) و (عَادَاتٌ) و (عَوَائِدٌ) سميت بذلك لأن صاحبها يعاودها أي يرجع إليها مرة بعد أخرى و (عَوَّدْتُهُ) كذا (فَأَعْتَادَهُ) و (تَعَوَّدَهُ) أي صيرته له (عَادَةً) و (اسْتَعَدْتُ) الرجل سألته أن يعود و (اسْتَعَدَّتُهُ) الشيء سألته أن يفعله ثانياً و (أَعَدْتُ) الشيء رددته ثانياً ومنه (إِعَادَةٌ) الصلاة وهو (مُعِيدٌ) للأمر أي مطبق لأنه اعتاده.^(٢)

ثانياً: مفهوم العادة في الاصطلاح: قال الجرجاني: " وكذا العادة هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعاودوا إليه مرة أخرى"^(٣)، وقال زكريا الأنصاري: "العادة ما استقرت الناس فيه على حكم العقول وعاودوا إليه مرة بعد أخرى"^(٤)، وقال البركتي "العادة ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعاودوا له مرة بعد أخرى"^(٥)، وكل من عرّف العادة اصطلاحاً ما خرج عن حد هذه التعريفات.

ثالثاً: أطرّاد العادة: حصل الاتفاق من الفقهاء على أن العادة لا تعتبر إلّا إذا كانت مطردة، - أي غالبية وعامة - لا نادرة، وقد عبروا عن ذلك صراحة أو بما يحمل معناه فمن ذلك:

(٥) قواطع الأدلة، ١٤٣/٢،

(٦) المصباح المنير للفيومي، ٤٣٦/٢،

(٧) التعريفات للجرجاني ١٩٣،

(٨) الحدود الأنيقة، ص ٧٢،

(٩) البركتي، محمد عديم الإحسان، قواعد الفقه، ١٤٨، دار النشر: الصدف، ببشرز

قال ابن نجيم إنما تعتبر العادة إذا اضطردت؛ فإن اضطربت فلا^(١).
وقال السيوطي: "إنما تعتبر العادة إذا اضطردت، فإن اضطربت فلا"^(٢).
وقال صاحب المبسوط: "وإنما تعتبر العادة عند عدم التصريح بخلافها فأما مع التصريح
بخلاف العادة فلا"^(٣)

وقال الشاطبي منبهاً لما للاطراد من أهمية في العادات: "أنه لولا أن اطراد العادات
معلوم، لما عرف الدين من أصله، فضلاً عن تعرف فروعها؛ لأن الدين لا يعرف إلا عند
الاعتراف بالنبوة، ولا سبيل إلى الاعتراف بها إلا بواسطة..."^(٤)

وقال الرملي "ولو اطرَد العُرْفُ بخلاف مَا نَصُّوا عليه عَمِلَ به فِيمَا يظهر بناءً على أَنَّ
الاصطلاح الخاص يرفع الاصطلاح العام"^(٥)

المسألة الثانية: اطراد القواعد:

أولاً: مفهوم القاعدة في اللغة:

القاعدة في اللغة تعني الأساس وقواعد البيت أساسه، قال تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ
إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ"^(٦) وقوله تعالى: "فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ"^(٧)
قال الزجاج القواعد أساطين البناء التي تَعْمِدُهُ وَقَوَاعِدُ الْهُدُجِ خشبات أربع معترضة في
أسفله تُرَكَّبُ عيدانُ الْهُدُجِ فيها قال أبو عبيد قواعد السحاب أصولها المعترضة في
آفاق السماء شبهت بقواعد البناء، قال ذلك في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الأشباه والنظائر، ص، ٩٤

(٢) الأشباه والنظائر، ص، ١٧١

(٣) السرخسي، المبسوط، ، نشر: محمد أفندي مغربي ٣٢١/٧

(٤) الشاطبي، الموافقات، ٢/٢٨٠، طبعة دار المعرفة. بيروت، تحقيق: الشيخ عبد الله دراز

(٥) الرملي، محمد بن احمد، تحاية المحتاج، ٣٠١/٥، الناشر دار الفكر للطباعة سنة النشر ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م. مكان النشر

بيروت

(٦) البقرة ١٢٧

(٧) النحل ٢٦

حين سأل عن سحابة مرّت فقال كيف تروُن قواعدها وبواسيقها^(١) ؟ وقال ابن الأثير أراد بالقواعد ما اعترض منها وسئل تشبيهاً بقواعد البناء.^(٢)

ثانياً: مفهوم القاعدة في الاصطلاح:

قال ابن النجار: "القواعد جمع قاعدة وهي هنا عبارة عن صورة كلية تنطبق

كل منها على جميع جزئياتها التي تحتاجها"^(٣) ، وقال أبو على الرجرجاني: "مفرد

القواعد قاعدة، وهي صورة كلية تتبين بها جميع جزئياتها"^(٤)

قال الجرجاني: "هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"^(٥) ، قال الفيومي: "القاعدة

في الاصطلاح بمعنى الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته"^(٦)

المسألة الثالثة: اطراد القواعد:

إن مفهوم القاعدة ومقوماتها الأساسية يفيدان اضطرادها وسريان حكمها، فهي في اللغة مأخوذة من مادة قعد، والقاف والعين والذال أصل مطرد لا يُخلف^(٧)، وفي الاصطلاح هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، والمقصود بالكلية عندهم المحكوم بها على سائر الأفراد، لا كلية موضوعها، قال العطار في حاشيته: "متى قيل

(١) البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسن، شعب الإيمان ١٥٨/٢، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني

(٢) أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ١٣٧/١، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ٣٥٧/٣، الطبعة الأولى، دار صادر

بيروت

(٣) شرح الكوكب المنير، ٤٤/١

(٤) أبي على حسين بن على، رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، ٨٧/١، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، تح: د. أحمد بن محمد السراج، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين.

(٥) التعريفات، ص ٢١٩

(٦) المصباح المنير، ص ٢٦٢، الناشر: المكتبة العصرية، تح: يوسف الشيخ محمد

(٧) ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة ١٠٨/٥، الناشر دار الفكر للطباعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تح: عبد

السلام محمد هارون

قضية كلية لا يفهم منه إلا ما هو متعارف عندهم من أن الحكم فيها على سائر الأفراد لا ما موضوعها كلي^(١)، هذا من حيث المفهوم ، أما من حيث المقومات فالعموم والشمول يفيدان الاطراد من جهة الاستفراق، والتجريد يفيد من جهة عدم ارتباط القاعدة بأعيان المسائل والوقائع المعينة^٢.

ولا يقدح في كلية القاعدة وسريانها على جزئياتها الشواذ المستثنيات، يقول الشاطبي في ذلك "إن الأمر الكلي إذا ثبت فتخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي، لا تخرجه عن كونه كلياً، وأيضاً فإن الغالب الأكثرى معتبر في الشريعة اعتبار العام القطعي، لأن المتخلفات الجزئية لا ينتظم منها كلي يعارض هذا الكلي الثابت. وقال أيضاً " فإذا كان كذلك فالكلية في الاستقرائيات صحيحة وإن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات

وأيضاً فالجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي فلا تكون داخلة تحته أصلاً أو تكون داخلة لكن لم يظهر لنا دخولها أو داخلة عندنا لكن عارضها على الخصوص ما هي به أولى" .. "فعلى كل تقدير لا اعتبار بمعارضة الجزئيات في صحة وضع الكليات للمصالح"^(٣)

(١) حاشية العطار، ٣١/١

(٢) راجع مقومات القاعدة في كتاب القواعد الفقهية للدكتور يقوب بن عبد الوهاب الباحسين ص ١٧٠ وما بعدها، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

(٣) الشاطبي، الموافقات، ٥٣/٢، ٥٤.

المبحث الثالث

الأثر الفقهي لقاعدة الاطراد

المطلب الأول: الأثر الفقهي لأطراد الحد:

إن لأطراد الحد أثراً بالغاً في الفقه الإسلامي، ولا يمكن حصره في مطلب؛ ولكن سنشير إلى ما يبرهن عنه، فمن ذلك:

- طهارة الذميمة لزوجها هل يصدق عليها حد الطهارة الشرعية المطلقة، وذلك إذا أسلمت فتصح الصلاة منها بتلك الطهارة أم لا يصدق عليها حد الطهارة الشرعية وتؤمر بطهارة جديدة لإقامة الصلاة؟^(١)
- الاستخلاف في الصلاة هو تقديم إمام بدل آخر لإتمام صلاة، ويصدق هذا الحد على من قدم نفسه لإتمام صلاة وان لم يقدمه الإمام ولا الجماعة، وذلك إذا قدم الإمام رجلاً وتقدم غيره.^(٢)
- حد الرهن عند الفقهاء هو: شيء متموّل يؤخذ من مالكه، توثقاً به، في دين لازم، أو صار إلى اللزوم، فإذا اشترى سلعة وحبسها في الثمن أو ما شابه ذلك من الصناعات إذا أمسكوا ما وقعت فيه الصنعة للثمن، فهل يسمى رهناً؟^(٣)
- الغاصب من الغاصب يضمن، لأنه غاصب، أو ولد المغصوب مضمون، لأنه معصوب، لأن حد الغاصب: "من وضع يده بغير حق". وهذا وضع يده بغير حق، فيكون غاصباً.^(٤)

(١) ابن عرفة، الحدود ص ٧٧، طبعة دار الغرب الإسلامي، تحقيق: محمد أبو الأحضان، الطاهر المعمرى.

(٢) الحدود لابن عرفة ص ١٣٢

(٣) الحدود لابن عرفة ٤٠٩ وما بعدها، الصاوي، أحمد بن محمد، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨/١، طبعة دار

المعارف

(٤) شرح الكوكب المنير ٩٦/١

المطلب الثاني: الأثر الفقهي لأطراد الحقيقة:

وبما أن اطراد الحقيقة هو صلاحية إطلاق اللفظ على كل فرد من أفرادها، فإن الأثر الفقهي لهذا الأصل لا يحصر وما هذا إلا لأن معنى اللفظة عند الإطلاق لا يعدل به عن المعنى الحقيقي إلى غيره إلا إذا تعذر المعنى الحقيقي لها، وثمة أمر أشير إليه وهو أن الحقيقة ليست بقاصرة على الحقيقة اللغوية فقط، فقد تكون حقيقة شرعية وقد تكون حقيقة عرفية عامة أو عرفية خاصة، فمما يُظهر أثر اطراد الحقيقة:

- قول الحق تبارك وتعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) البقرة: [٢٧٥]، فإن لفظة البيع تعني (مقابلة مال بمال على وجه مخصوص^(١)) ويرى الباحث أنه متى وجدت هذه المقابلة المخصوصة سمي العقد بيعاً، وهذا من قبيل الحقائق الشرعية، وكذلك متى وجدت الزيادة في أشياء مخصوصة فهو الربا شرعاً، فلفظ البيع ولفظ الربا حقيقتان شرعيتان مطردتان على مساهما شرعاً.
 - الكفالة هي ضم ذمة إلى ذمة في المطالبة^(٢)، قلت: متى وجد هذا الضم سمي المصطلح كفالة ويظهر ذلك عند من لم يشترط القبول في صحة الكفالة، حيث اعتبر الإيجاب كافياً في إنشاء العقد.
 - الإجارة هي بيع المنفعة^(٣)، فمتى وجد بيع المنافع سمي العقد إجارة .
- ولعل هناك تداخل ما بين الحقيقة والحد يظهر عند حد اللفظ الحقيقي، وثمة فرق وهو تعدد المعاني لألفاظ متحدة المبنى، بينما لا نجد هذا عند حد تلك الألفاظ كما سبق.

(١) الشريبي، محمد الخطيب مغني الحاج، ٢/٢، طبعة دار الفكر، النووي، محي الدين، روضة الطالبين ٣/٣، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) ابن النجيم الحنفي، البحر الرائق، ٦/٢٢١، دار المعرفة، بيروت.

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٤/١٧٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

إن لاطراد القواعد أثر ظاهر يدل عليه حد القاعدة نفسها حيث أن القاعدة هي: "قضية كلية مندرج تحتها جزئيات كثيرة لتأخذ أحكامها منها"، والجزئيات التي تحت القاعدة هي في الأصل مجموعة لفروع فقهية من أبواب شتى، لذلك كان من مزايا القواعد أنها تجمع شتات الفقه لمن أحاط بها، وهذا هو عين الاطراد، مع الإشارة إلى عدم الاعتراض بالخارج المستثناة - لأن خروجه بقاعدة هي به أولى، فمن الشواهد على ذلك:

١/ قاعدة الأمور بمقاصدها: المعنى الإجمالي لهذه القاعدة هو أن مدار أحكام الأمور وترتب آثارها عليها مرجعه إلى النيات والمقاصد وهذا المعنى مطرد في سائر الأبواب إلا ما خرج بدليل، وسأورد لك بعضاً مما يظهر ذلك ومما هو معروف ومشتهر:

- وجوب النية في سائر القربات لله سبحانه وتعالى لا سيما غير معقولة المعنى.
- التفرقة في العقاب عند الجناية مرده إلى النية، فليس عقوبة من جنى عمداً كعقوبة من جنى خطأ
- وجوب الكفارات مرجعه للنية وذلك حيث تحصل التفرقة بين الشارب في نهار رمضان ناسياً والشارب متعمداً والحالف بيمين لاغياً مع الحالف بيمين منعقدة والمظاهر مخطئاً، والمظاهر متعمداً.
- وفي باب المعاملات تحصل التفرقة بين العاقد مازحاً وهازلاً والعاقد حقيقة، وبين من باع ببيع تلجئة ممن باع ناجزاً^(١).

٢/ قاعدة اليقين لا يزول بالشك: المعنى الإجمالي لهذه القاعدة هو أن ما ثبت في الذمة بيقين لا يتغير بمجرد طرؤ الشك عليه، وهذه القاعدة نجدها مطردة في سائر الأبواب إلا ما استثني بدليل، ومن ذلك:

(١) يراجع في ذلك قاعدة الأمور بمقاصدها في كل من: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٦، عبد الوهاب بن السبكي، الأشباه والنظائر، ص ٦٩، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، الأشباه والنظائر لابن نجيم، ص ٢٧

- أن الذمة مشغولة بأداء العبادات مطالبة بها فلا تبرأ إلا بالأداء يقيناً ، فكل عبادة تيقن المرء عدم أدائها وشك في وفائه بها لزمته ، عملاً بالقاعدة وأخذاً بالأحوط.
- وأن الذمة مشغولة بأداء الحقوق فلا تبرأ إلا بالوفاء ، فمن ثبت بذمته ديناً ثبوتاً يقينياً وشك في الوفاء لزمه.
- ومن تيقن الطهارة وشك في الحدث فهو متطهر.
- ومن أكل مع الشك في طلوع الفجر فلا قضاء عليه ، لأن الأصل بقاء الليل^(١)
- ومن لزمته نفقة لامرأة وادعت عدم وصولها لها منه لزمه الوفاء لثبوتها يقيناً بذمته^(٢).

٣/ قاعدة الضرريزال: معنى القاعدة الإجمالي: تعني هذه القاعدة أن كل ضرر واجب الإزالة^٣ وقد اطردت في فروع شتى، ومن ذلك:

- الردُّ بالعيب
- جميع أنواع الخيارات
- الحجر بسائر أنواعه على المُفْتَى به
- الشُّفْعَةُ فَإِنَّهَا لِلشَّرِيكِ ؛ لدفع ضرر القِسْمَةِ^(٤)

(١) ينظر تفصيل المسألة في البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ٨٠/٣، طبعة دار المعرفة، المجموع شرح المهذب للنووي ٣٧٨/٤، طبعة دار الفكر، والفروع لابن مفلح ٥٣٤/٣، طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي

(٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٥٨.

(٣) عبد الرحمن صالح العبد اللطيف، القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، ٢٨٠/١، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

(٤) ابن نجيم، الأشباه والنظائر ص ٨٥، دار الكتب العلمية.

٤ / قاعدة المشقة تجلب التيسير: تعني هذه القاعدة أن كل مشقة غير معتادة جالبة للترخيص والتيسير، ويتأتى اضطراد هذه القاعدة في جميع رخص الشرع وتخفيفاته، ومن ذلك: قصر الصلاة وجمعها والتقديم والتأخير فيها وتغيير هيئتها، والفتور في رمضان للمريض والمسافر وأكل الميتة للمضطر، والنطق بكلمة الكفر عند الإكراه، وإباحة المعاملات^(١).

٥ / العادة محكمة: تعني هذه القاعدة أن ما اعتاده الناس وجرى عليه عملهم سواء كان عاماً أو خاصاً ولم يكن مخالفاً لشرع فإنه يحكم فيهم عند غياب النص.

وتتطرد هذه القاعدة في جميع أبواب الفقه ومن ذلك:

- وقوع البعر الكثير في البئر؛ الأصح أن الكثير ما يستكثره الناظر.
- حد الماء الكثير الملحق بالجاري، الأصح تفويضه إلى رأي المبتلى به، لا التقدير بشيء من العشر ونحوه.
- الحيض والنفاس، قالوا لو زاد الدم على أكثر الحيض والنفاس يرد إلى أيام عاداتها.
- العمل المفسد للصلاة مفوض إلى العرف لو كان بحيث لو رآه يظن أنه خارج الصلاة.
- تناول الثمار الساقطة.
- إجارة الظئر.
- ما لا نص فيه من الأموال الربوية يعتبر فيه العرف في كونه كيلياً أو وزنياً^(٢).

١. راجع الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٧٥، الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٤٧

٢. راجع للفروع المخرجة على قاعدة العادة محكمة: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٩٣

المطلب الرابع: الأثر الفقهي لاطراد العلة:

- حرمة بيع سائر المقتاتات نسيئة وتفاضلاً عند الشافعية، لأن العلة في الأصل هي الطعمية، فاطردت في سائر المأكولات^(١)
- وجوب النفقة على الغني المحترف على من تلزمه نفقته سواء كان ولداً على والده وإن علا، أو والداً على مولوده وإن سفل، إن كانا غير محترفين، قياساً على وجوب نفقة الوالد على مولوده الصغير، ونفقة الولد على والده الكبير؛ إذ العلة عدم مقدرته على صلاحه في الحال؛ فألحق بهما وجوب النفقة على الغني المحترف على المحتاج منهما غير المحترف^(٢)
- القتل العمد العدوان بأي وسيلة موجب للقصاص، نسبة إلى القتل بالمحدد عمداً وعدواناً.
- تحريم كل فعل من شأنه إلحاق الأذى بالوالدين، نسبة إلى تحريم التأفيف.
- تحريم سائر المسكرات نسبة إلى تحريم الخمر.
- حرمة القضاء حال شغل بال القاضي بشاغل كجوع وعطش ونحوهما، نسبة إلى حرمة قضائه وهو غضبان.^(٣)

(١) راجع: الحاوي للماوردي، ١٦٣/٥، دار الفكر، بيروت، المجموع للنووي، ٣٨٠/٩، دار الفكر ١٩٩٧م

(٢) راجع البحر المحيط للزركشي، ٢٢٥/٤، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

(٣) راجع تيسير التحرير، ٤، للأمر بادشاه ٧٠/٤ وما بعدها، طبعة دار الفكر

الخاتمة

الحمد لله على عظيم إحسانه وتوفيقه، أهل الثناء والمجد، واهب النعم ومزيل النقم، والصلاة والسلام على خير خلقه صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً...وبعد:

فهذه سياحة حول قاعدة أصولية رسمها الاطراد وقفت على عظيم خطرها في الفقه والأصول، وحاشا أن أدعي الإحاطة بها أو بأثرها؛ إذ ليس الغرض من هذه الدراسة الاستقصاء، وإذن لضاق بنا المقام، ولكن حسبي أني قد نبهت بالكليات على الجزئيات، فإليكم ماتوصلت إليه من نتائج ومن ثم التوصيات:

أولاً: النتائج:

١. إن اشتراط الاطراد في بعض القواعد له خطره وأهميته، إذ به استقرار بعض الأحكام.

٢. إن اشتراط الاطراد في بعض القواعد الأصولية والفقهية له آثاره في تخريج بعض الفروع على تلك القواعد.

٣. إن إلحاق الفروع بأصولها يتوقف إلى حد ما على اطراد العلل.

٤. ليس قاعدة الاطراد محل اتفاق بين العلماء، لا سيما اطراد العلة.

ثانياً: التوصيات:

الذي أوصي به في هذا المقام ضرورة استقصاء القواعد الأصولية وإبرازها في بحوث مستقلة؛ فبه مزيد عناية كما هو ممكن لطلبة العلم والباحثين من إلقاء النظر على القواعد بصورة أشمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري، مطبعة العاصمة، القاهرة
 ٢. إرشاد الفحول، لمحمد على الشوكاني، طبعة دار الكتاب العربي، تحقيق: أحمد عزو عناية
 ٣. الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
 ٤. الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت
 ٥. الأشباه والنظائر لعبد الوهاب بن السبكي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
 ٦. أصول الفقه لابن مفلح الحنبلي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: الدكتور قهد بن محمد الصدحان.
 ٧. أنوار البروق في أنواع الفروق، لشهاب الدين القرافي، طبعة دار السلام، تحقيق: أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. على جمعة محمد
 ٨. الإيمان لابن تيمية، الناشر: المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
 ٩. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم، الناشر: دار المعرفة
 ١٠. البحر المحيط، بدر الدين لزركشي، طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد محمد تامر
 ١١. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني، طبعة: دار الكتاب العربي
 ١٢. البرهان، لإمام الحرمين الجويني، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: صلاح محمد عويضة
 ١٣. التعريفات لأبي عبد الله الجرجاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري،

١٤. التقرير والتحبير، لابن أمير حاج الحنبلي، دراسة وتحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م
١٥. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.
١٦. تيسير التحرير، للأمير باد شاه طبعة دار الفكر
١٧. حاشية الصاوي على الشرح الصغير، طبعة دار المعارف
١٨. حاشية العطار، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون.
١٩. الحاوي في فقه الشافعي، للماوردي، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م
٢٠. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لذكريا الأنصاري، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، تحقيق: د.مازن المبارك
٢١. الحدود لابن عرفة، طبعة مكتب الغرب الإسلامي، تحقيق: محمد أبو الأجنان، الطاهر العموري
٢٢. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لتاج الدين ابن السبكي، دار النشر: عالم الكتب - لبنان / بيروت، ١٩٩٩م - ١٤١٩هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.
٢٣. روضة الطالبين، للنووي، طبعة دار الكتب العلمية.
٢٤. روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
٢٥. شرح التلويح على التوضيح، لمتن النقيح، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون.
٢٦. شرح الكوكب المنير طبعة مكتبة العبيكان، ١٤١٨. ١٩٩٧، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد.
٢٧. شعب الإيمان، أبوبكر البيهقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ

- ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني.
٢٨. الصحاح للجوهري ، طبعة: دار العلم للملايين
٢٩. غريب الحديث لابن قتيبة، مطبعة العاني ، بغداد، الطبعة الأولى، ١٢٩٧هـ ، تحقيق: عبد الله الجبوري .
٣٠. الفروع لابن مفلح الحنبلي، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، طبعة دار الكتب العلمية
٣١. قواطع الأدلة في الأصول، لابن السمعاني دراسة وتحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م
٣٢. قواعد الفقه، للبركتي ، دار النشر: الصدف، بيلشرز
٣٣. القواعد الفقهية ، يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض
٣٤. القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، لعبد الرحمن صالح العبد اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
٣٥. الكليات لأبي البقاء الكفوي ، طبعة مؤسسة الرسالة.
٣٦. لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت. الطبعة الأولى
٣٧. المبسوط ، للسرخسي، نشر: محمد أفندي مغربي
٣٨. مجموع الفتاوى لابن تيمية، طباعة: مجمع الملك فهد للطباعة والنشر، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن جاسم
٣٩. المجموع شرح المهذب ، للنووي، الناشر: دار الفكر
٤٠. المجموع للنووي، الناشر: دار الفكر

٤١. المحصول لابن عربي، طبعة دار البيارق - الاردن، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
٤٢. المحصول للرازي الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة النشر: ١٤٠٠، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني
٤٣. المخصص لابن سيده الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
٤٤. المستقصى في علم الأصول، لأبي حامد الغزلي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ
٤٥. المسودة لآل تيمية، الناشر: طبعة المدني، القاهرة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد)
٤٦. المصباح المنير، للفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت
٤٧. المطلع على أبواب الفقه، لابن أبي الفتح البجلي الحنبلي، طبعة المكتب الإسلامي، تحقيق: محمد بشير الادلبي.
٤٨. المعتمد، لأبي الحسين البصري الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ تحقيق خليل الميس.
٤٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، طبعة دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون
٥٠. مغني المحتاج للشرييني، طبعة دار الفكر،
٥١. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة، تحقيق: محمد رشاد سالم
٥٢. الموافقات لإبراهيم بن موسى الشاطبي، الناشر دار المعرفة، تحقيق: عبد الله دراز.
٥٣. نفائس الأصول في شرح المحصول، للقراي في، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض
٥٤. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، للإمام جمال الدين الإسنوي الناشر: دار الكتب

العلمية - بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤٢هـ - ١٩٩٩م)

٥٥. نهاية المحتاج، للرملي، الناشر دار الفكر للطباعة سنة النشر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

مكان النشر بيروت.

الفاعل بين الإحداث والإسناد
دراسة في الوظيفة والمعنى

الدكتور محمد أحمد إدريس*

* - أستاذ النحو والصرف المساعد - كلية اللغة العربية - جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة الفاعل مبيناً أحكامه، وبدأ البحث بتعريف الفاعل في اللغة والاصطلاح موضحاً الفرق بين التعريفين، وحاول تتبع أحوال النحاة ورصدها في التفريق بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي وفي هذا المنحى وقف الباحث على مذهبين للنحاة، مذهب يفرّق أصحابه بين المفهومين محكّمين في الفاعل الاصطلاحي الإسناد والعلامة، ومذهب لم يفرّق أصحابه بينهما بل خلطوا بين المفهومين واشترطوا وقوع الفعل من الفاعل وقيامه به على الحقيقة.

كما يتناول البحث مذاهب النحاة في التفريق بين الفاعل ونائبه ويؤكد وجود خلاف بينهم في هذه المسألة، إذ ذهب جلهم إلى التفريق بينهما؛ لأن نائب الفاعل هو مفعول في الأساس وإسناد الفعل إليه يأتي من جهة وقوعه عليه لا وقوعه منه، بينما ذهب فريق منهم إلى المساواة بينهما، لاشتراكهما في العلامة والإسناد، ولوجود بعض الجمل التي يكون الفاعل فيها مفعولاً في المعنى.

Abstract

This research study the subject and its functions, the research started with the linguistical and terminological definition and made a distinction between them, and try to follow the Arabic grammarian methods in differentiating between the real subject of the predicate, and on this trend there are two doctrines of grammarian, the one who differentiate between the two conceptions of the subject and it's sign, and those who mix the two conceptions under the condition of the subject to be the real doer of the action.

The research also studies the Arabic grammarian method in differentiating between the subject ((principle)) and the subject

of predicate, and emphasized that there is a disagreement between them that the subject is already the object otherwise there a group of them doing with the equality to the two conception for their co-operative and some sentences the subject be the object in meaning.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
فهذه دراسة تتناول الفاعل بين الإحداث والإسناد وقد هدفت إلى تحقيق الآتي:

١. معرفة الفرق بين الفاعل في اللغة والفاعل في الاصطلاح.
٢. الوقوف على تعريفات الفاعل في اللغة والاصطلاح والموازنة بينها.
٣. تتبع مذاهب النحاة في التفريق بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي.
٤. معرفة الفرق بين الفاعل ونائبه والوقوف على مذاهب النحاة في ذلك.
٥. تبين خطورة إهمال المعنى في تأليف الجملة.

أهمية الدراسة: تتبع أهمية هذه الدراسة من كونها تناقش تعريفات الفاعل في اللغة والاصطلاح وتتبع مذاهب النحاة في التفريق بينهما كما تقف على الفرق بين الفاعل ونائبه مبينة آراء النحاة ومنطلقاتهم في هذا الجانب.

أسئلة الدراسة: تحاول الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما الفرق بين الفاعل في اللغة و الاصطلاح؟
٢. هل يشترط في الفاعل أن يحدث الفعل حقيقة؟
٣. ما دور العلامة والإسناد في تحديد الفاعلية؟
٤. ما الفرق بين الفاعل ونائبه؟

هيكل الدراسة: تتكون هذه الدراسة من ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة
تناول المبحث الأول تعريف الفاعل وحكمه ورتبته وتأنيثه، وتناول المبحث الثاني الفرق
بين الفاعل في اللغة والاصطلاح وأما المبحث الثالث فقد تناول الفرق بين الفاعل ونائبه.
منهج البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي.

المبحث الأول

الفاعل تعريفه وحكمه ورتبته وتأنيثه

عرّف ابن منظور الفعل في اللغة بأنه: "كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد"^١ وعرّفه ابن هشام بأنه: "نفس الحدث الذي يحدثه الفاعل"^٢.
وأما الفاعل في اللغة فهو من أوجد الفعل^٣ وأحدث الحدث الذي هو الفعل أو شبهه.

وفي الاصطلاح عرّفه ابن السراج بقوله: "هو الذي بنيته على الفعل الذي بني للفاعل، ويجعل الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله كان فاعلاً في الحقيقة أو لم يكن، كقولك جاء زيد ومات عمرو".^٤

هذا التعريف شمل جملة من أحكام الفاعل منها أن الفاعل رتبته التأخير عن الفعل، ومنها أن صورة الفعل المسند إلى الفاعل تختلف عن صورة الفعل المسند إلي نائب الفاعل كما فرّق التعريف بين الفاعل في الحقيقة والاصطلاح ومثّل للأول بـ(جاء زيد) وللتاني بـ(مات عمرو)، وتظهر من خلال التعريف بصرية ابن السراج في منعه تقدّم الفاعل على فعله؛ لأن الكوفيين يجيزون ذلك وبهذا أخرج التعريف المبتدأ المخبر عنه بجملة فعلية، ونائب الفاعل من الدخول في حد الفاعل.

(١) لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور - تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله (دار المعارف القاهرة) ٥ /

٣٤٣٨

(٢) شرح شذور الذهب، ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الطلائع -

القاهرة ٢٠٠٩ م) - ص ٣٥

(٣) ينظر الباب في علل البناء والإعراب - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري - تحقيق غازي مختار (دار الفكر دمشق -

١ ط - ١٩٩٥ م) ١ / ١٤٨

(٤) الأصول في النحو - محمد بن السراج - تحقيق عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)

٧٢ / ١

وقريب منه تعريف المرادي الذي عرّف الفاعل بقوله: "هو الاسم المسند إليه فعلٌ تام مقدّم غير مصوغ للمفعول أو جار مجراه"^١. وهذا التعريف فيه مزيد بيان للفاعل؛ لأنه منع مرفوع كان وأخواتها وكاد وأخواتها من الدخول في حد الفاعل، فمرفوعهما أسند إليه فعلٌ ناقص وليس بتمام، كما أدخل التعريف اسم الفعل والصفات والمصادر والظروف فيما يرفع الفاعل وهو ما عبّر عنه بقوله: (أو جار مجراه).

وكما تنبه المرادي إلى دخول فاعل اسم الفاعل والمصدر والصفة المشبهة واسم الفعل في تعريف الفاعل - تنبه إليها أيضاً ابن عقيل حين عرّف الفاعل بقوله: "هو الاسم المسند إليه فعلٌ على طريقة فعل أو شبهه"^٢ والمراد بشبهه الفعل هذه المشتقات سائلة الذكر، وهذه المسألة أغفلها ابن السراج في تعريفه المتقدم.

وأما ابن هشام فقد عرّف الفاعل بقوله: "الفاعل عبارة عن اسم صريح أو مؤول به أسند إليه فعلٌ أو مؤول به، مقدّم عليه بالأصالة، واقعاً منه، أو قائماً به"^٣.

وهذا التعريف أضاف شيئاً مهماً لم يرد في التعريفات السابقة وهو أن الفاعل يكون اسماً صريحاً كما يكون مؤولاً به، ومثّل للمؤول به بقوله تعالى (الْمُرِيَانُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) (سورة الحديد: ١٦)، إن وما دخل عليها في تأويل مصدر فاعل، فإنه فاعل مع أنه ليس باسم، ولكنه في تأويل الاسم وهو الخشوع.

أشارت التعريفات أعلاه إلى أن الفاعل اسم أو مؤول به وذلك تأكيد لعدم وقوع الفاعل جملة، وهو ما صرح به ابن هشام حين قال - متحدثاً عن الفاعل ونائبه -: "أنهما

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك - المرادي بدر الدين أبو محمد الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم -

تحقيق عبد الرحمن علي سليمان (دار الفكر العربي - ط ١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ٥٨٣/٢

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - بهاء الدين عبد الله بن عقيل - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار التراث

القاهرة - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ٧٤، ٧٦/٢

(٣) شرح قطر الندى وبل الصدى - أبو محمد عبد الله بن هشام - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية

الكبرى - ط ١١ - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) - ص ١٨٠

لا يكونان جملة، هذا هو المذهب الصحيح، وزعم قوم أن ذلك جائزٌ واستدلوا بقوله تعالى: (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا مَرَّأُوا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ) (سورة يوسف: ٣٥)، وقوله: (وَبَيِّنْ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ) (سورة إبراهيم: ٤٥)... فجعلوا جملة (ليسجننه) فاعلاً لـ (بدا)، وجملة (كيف فعلنا بهم) فاعلاً لـ (تبيّن)... ولا حجة لهم في ذلك " ١

ويعد ابن هشام من المفرقين بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي وذلك بقوله: "ليس معنى كون الاسم فاعلاً أن مسماه أحدث شيئاً، بل كونه مسنداً على الوجه المذكور " ٢.

حكمه: حكم الفاعل الرفع لكنه قد ينصب شذوذاً للتقارض إذا أمن اللبس كما في قول العرب (كسر الزجاج الحجر)، و(خرق الثوب المسمار) وقد يجرب بحرف جر زائد (من والباء) وذلك في حالات يعرب فيها مرفوعاً بضمه مقدره على الراجح ٣ ، وهذا الخرق في إعراب الفاعل لا يؤثر في أصل الحكم ؛ لإمكانية تحويل المجرور إلى فاعل مرفوع بعد حذف الجار الزائد.

حذف الفاعل: الفاعل هو أحد شقي الإسناد في الجملة الفعلية، ولذلك يمتنع حذفه ؛ وذلك لأن الفعل حدث ولا بد له من محدث، والفعل منشغل ومرتببط به والغالب في الفاعل إذا حذف أن يقدر ليكون في حكم المظهر، ولا يقدر في هذا وجود جمل لا فاعل لها لا لفظاً ولا تقديراً؛ وذلك لأنها حالات قليلة نادرة، وهذا التشبث بالفاعل ناتج من ضرورة اكتمال طريق الإسناد في الجملة، وإلا عدت جملة ناقصة.

(١) شرح شذور الذهب _ ص ١٩٨

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى _ ص ١٨٢.

(٣) ينظر شرح ابن عقيل _ ٧٥،٧٤/٢ من الهامش.

(٤) شرح شذور الذهب _ هامش ص ١٩٧

رتبته: رتبة الفاعل: أن يقع بعد الفعل؛ لأنه كالجاء منه، فكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله، ولذلك سکن له آخر الفعل في نحو (ضربت) حتى لا تجتمع أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة^١.

تشبيته الفاعل جمعه: إذا كان الفاعل مثنى أو جمعاً ظاهراً جرد الفعل من علامة التثنية والجمع، وذلك في مذهب جمهور العرب فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد، ومذهب بعض العرب وهم بنو الحارث بن كعب أن تلحق به هذه العلامة جوازاً، وعرفت هذه اللغة بين النحويين بلغة أكلوني البراغيث^٢، وابن هشام ينسبها إلى طيء أو أزدشنوء، أو بالحارث^٣، وهي مما لا يقاس عليه لمخالفتها مذهب الجمهور.

تأنيث الفاعل: إذا أسند الفعل إلى فاعل مؤنث تأنيثاً حقيقياً لحقته علامة التأنيث بشروط ذكرها النحاة قال أبو حيان: "فمن ذلك التاء الساكنة تلحق وجوباً الماضي المسند إلى المرفوع الذي تأنيثه حقيقي إذا لم يفصل بينهما، ومثاه وجمعه بالألف والتاء نحو (قامت هند)... وقولهم: قال فلانة قيل لغيّة، وقيل شاذ لا يقاس عليه... فإن فصل بينهما بـ(إلا) لم تلحق التاء فتقول: (ما قام إلا هند، وما قام إلا الهندات)... وإن فصل بغير إلا كالفصل بالظروف والجار والمجرور، والمفعول، وما يجوز أن يفصل به، جاز لحاق التاء وهو أحسن وأن لا تلحق... وإن كان المسند إليه الماضي جمع تكسير لمذكر أو مؤنث نحو الزيود والهنود عاقلاً أو غير عاقل، أو جمعاً لمذكر بالألف والتاء نحو (الطلحات والدريهمات والحسامات) أو اسم جنس لمؤنث نحو: المرأة في باب نعم... جاز

(١) المقتصد في شرح الإيضاح - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق كاظم بحر المرجان (العراق دار الرشيد ١٩٨٢ م)

٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢/١ - وينظر ابن عقيل ٧٧/٢

(٢) ينظر ابن عقيل ٨٥/٢.

(٣) معني اللبيب عن كتب الأعراب - عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري - تحقيق سعيد الأفغاني وآخرين (دار الفكر -

بيروت) ص ٤٧٩.

إلحاق التاء وأن لا تلحق... وإن كان التأنيث مجازياً، والاسم ظاهراً جاز إلحاق التاء

وجاز أن لا تلحق تقول: طلعت الشمس، وطلع الشمس، فصلت أو لم تفصل^(١).

علة رفع الفاعل: ذكر ابن الأنباري علة رفع الفاعل وبيّن أنه للفرق بينه وبين المفعول، وأن الفاعل أقل من المفعول، والرفع أثقل من الفتح، والفاعل يشبه المبتدأ والمبتدأ مرفوع، وأن الفاعل أقوى من المفعول فأعطي الأقوى من الحركات وهو الرفع، وأعطي المفعول الذي هو الأضعف الأضعف من الحركات وهو النصب، وأن الفاعل أول والرفع أول، والمفعول آخر والنصب آخر فأعطي الأول الأول والآخر الآخر^(٢).

وهذا التعليل تعليل استحقاق؛ لأنه يؤدي إلى إيجاب حكم الرفع للفاعل وهو أمرٌ ثابت بالسمع عن العرب، والعرب ترفع الفاعل وتنصب المفعول في الكثير الغالب كما تقدم، وهذا النوع من العلل ينظر أصحابه إلى ما وراء النحو؛ لاستثارة القرائح والتعمق في الحكم، ومعرفة أسرار اللغة وسبر أغوارها والغوص في أعماقها.

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب - أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف - تحقيق رجب عثمان محمد (مكتبة الخانجي -

القاهرة - ط ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ٢ / ٧٣٤،٧٣٨.

(٢) ينظر أسرار العربية - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري - تحقيق محمد بحجة البيطار (مطبوعات الجمع العلمي

العربي - دمشق) ص ١٧٤،٧٨،٧٩.

المبحث الثاني

الفاعل بين الحقيقة والاصطلاح

بالنظر إلى تعريف الفاعل المتقدم يتضح أن الفاعل في اللغة قد يختلف عن الفاعل في الاصطلاح؛ لأن الفاعل في اللغة هو من أوجد الفعل، وهذا يدخل فيه المبتدأ المخبر عنه بجملة فعلية نحو (زيد قام)، والنحاة لا يعدونه فاعلاً لخروجه عن حدّ الفاعل بتقدمه على الفعل كما تقدمت الإشارة.

والتعريف الاصطلاحي يمثل اجتهادات النحويين في التبويب والتفصيل، وأما اللغوي فيمثل حقيقة اللغة في دلالة مفرداتها، ومنطلق النحاة في تعريفاتهم صادر من نظرية العامل التي أطبقوا على الأخذ بها.

وانطلاقاً من هذا الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الاصطلاحي تباينت مذاهب النحاة إذ جنح فريق منهم إلى التفريق بينهما، بينما خلط فريق منهم بين المفهومين مشترطين في الفاعل أن يقوم بالفعل أو يحدثه، وفيما يلي عرض لمواقف المفرقين وأقوالهم، وذلك بالإضافة إلى التعريفات السالفة الذكر، والتي تضمنت إشارات إلى الفرق بين الفاعل في الحقيقة والفاعل في الاصطلاح

يقول المبرد: "إذا قلت لم يقم زيد ولم ينطلق عبد الله وسيقوم أخوك فإن قال قائل إنما رفعت زيداً أولاً لأنه فاعل فإذا قلت لم يقم فقد نصبت عنه الفعل فكيف رفعت، قيل له إن الفعل إنما يكون على جهة ما كان موجباً فإنما أعلمت السامع من الذي نصبت عنه أن يكون فاعلاً، فكذلك إذا قلت لم يضرب عبد الله زيداً علم بهذا اللفظ من ذكرنا أنه ليس بفاعل ومن ذكرنا أنه ليس بمفعول... فإن قولك يضرب زيد يضرب هي الرافعة فإذا قلت لم يضرب زيد (فيضرب) التي كانت رافعة لزيد قد رددتها قبله (ولم) إنما عملت في يضرب ولم تعمل في زيد، وإنما وجب العمل بالفعل

فهذا كقولك سيضرب زيد إذا أخبرت، وكاستفهامك إذا قلت أضرب زيد إنما استفهمت فجئت بالآلة التي من شأنها أن ترفع وإن لم يكن وقع منه فعل".^١

فالمبرد هنا يحكم العلامة التي هي الرفع والإسناد في تحديد الفاعلية، ولذلك أعرب المرفوع بعد الفعل فاعلاً في كل الجمل المتقدمة غير مفرق بين الموجب والمنفي والمستفهم عنه، لأن العامل في كل ذلك واحد، ويفترض وجود معترض على هذه التسمية لأن الحدث لم يقع في حالة النفي، ومنتظر في حالة الاستفهام وحالة الاستقبال، وهذا المعترض ينطلق من مفهوم الفاعل في اللغة، ورد عليه المبرد من منطلق الفاعل الاصطلاحي.

والمبرد في حال نفي الحدث نظر إلى أصل الجملة وهو الإيجاب لا النفي وقد جاء الفاعل للحدث حسب الأصل، ثم جاء حرف النفي بعد ذلك ليسلب ذلك الإيجاب الذي فهم من الجملة فيكون الفاعل قائماً بالحدث على الأصل، وجاء النفي ليعم أجزاء الجملة كلها، وعلى هذا فالأصل الإيجاب والنفي فرع عنه، فكأن المتكلم في حال النفي أرجع الأصل وزيادة عليه.

وهناك توجيه آخر لهذه المسألة وهو أن الفاعل في هذه الجمل المنفية ليس حقيقياً، وإنما اتصف بالحدث فقط، وذلك مثل قولك: (مات زيد) فزيد فاعل مع أنه لم يُمت نفسه وإنما أماته الله فهو في الحقيقة مفعول؛ لأن الموت وقع عليه من فاعل آخر، ولكنه في الاصطلاح فاعل لإسناد الفعل إليه على سبيل الاتصاف لا الإحداث.^٢

ويلاحظ في موقف النحاة المحافظة على المصطلح النحوي حتى مع تغير المعنى وذلك لوجود المسند والمسند إليه بعد التغير، وهما عمداً الكلام وأساسه.

إذن يجب البحث عن الفاعل إذا وجد حدث وقع أو لم يقع، وكذلك عند توقع حدوثه في المستقبل، وقد يكون الحدث منفيًا على جهة التأييد وذلك عند استعمال

(١) المقتضب _ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق (عالم الكتب) ١/٨-٩.

(٢) الحدث النحوي في الجملة العربية _ دكتور أحمد عفيفي (مكتبة الأنجلو المصرية _ القاهرة) ص ١٠٠، ١٠١.

الحرف (لن) نحو: (لن نفعل الشر) فالحدث لا ينتظر وقوعه، وعلى هذا يكون المنفي كما ثبت في الإعراب.

ومن النحاة المفرقين بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي أبي علي الفارسي الذي يقول: "وبهذا المعنى الذي ذكرت ارتفع الفاعل لا بأنه أحدث شيئاً على الحقيقة ولهذا يرتفع في النفي إذا قلت: لم يخرج زيد كما يرتفع في الإيجاب، وكذلك أيقوم زيد"^١.

والمعنى الذي أشار إليه هو الإسناد أي: أن يتقدم فعل ويتأخر اسم وقد أسند الفعل إلى الاسم على طريقة فعل ونحوها، فخصوصية الفاعل في إسناد الفعل إليه مقدماً ومنهم ابن جني الذي يقول: "أعلم أن المفعول يرتفع من حيث يرتفع الفاعل؛ لأن الفعل قبل كل واحد منهما حديث عنه، ومسند إليه"^٢.

ويقول: "إن الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلاً في المعنى، وإن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم وأن الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء"^٣.

وكلامه في التفريق بينهما أوضح من كلام غيره؛ لأن قوله: (عند أهل العربية) نص على الفاعل الاصطلاحي، واشتمل قوله على إشارة إلى عدم اعتبار المعنى في كل الأحوال وإنما في بعضها.

ومنهم ابن الأنباري الذي يقول في تعريفه له: "اسم ذكرته، وأسندت ذلك الفعل إليه"^٤.

وكما عرف السابقون الفرق بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي - عرفه المتأخرون، ومنهم صاحب دقائق العربية، الذي سمى الحقيقي بالفاعل المختار، وغير الحقيقي بالفاعل غير المختار، والمختار عنده هو الذي يصح أن يصدر الفعل عنه

(١) المقتصد، عبد القاهر الجرجاني ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦

(٢) اللع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق سميح أبو مغلي (عمان - دار مجدولاي ١٩٨٨ م) ص ٣٥.

(٣) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار - (طبعة دار الكتب المصرية - ط ٢ ١٩٥٢ م) ١/ ١٨٥.

(٤) أسرار العربية - ص ٧٧.

مع قصد وإرادة نحو (قام سعيد) ، وغير المختار نحو (مرض زيد) و(نزل المطر) لأن زيدا لم يمرض بقصد وإرادة والمطر لم ينزل بقصد وإرادة^١.

وهذه التسمية لم ترض الدكتور أحمد عفيفي الذي فند مصطلح المختار قائلاً: "والحق إن صدق على النوع الثاني تسمية (الفاعل غير المختار) لعدم قيامه بالحدث على سبيل الحقيقة، فإنه لا يصدق على النوع الأول تسمية (الفاعل المختار) وذلك إذا ما كانت الجملة تحتوي على عنصر من المكملات، يؤكد أن الفاعل قام بالحدث عن طريق الإيجار دون رغبة أو إرادة مثل جاء الطالب إلى المحاضرة مكرهاً... لو أطلق على هذا الفاعل أنه (مختار) لم يكن لكلمة مكرهاً فائدة في السياق، وهذا غير منطقي... والفاعل هنا قاصد لكنه بدون إرادة"^٢.

وعفيفي هذا من المحدثين المفرقين بين الفاعل الحقيقي وغير الحقيقي ويسمي غير الحقيقي الفاعل المتصف بالحدث نحو: مات صديقي، وفني القوم، وأمطرت السماء، وذكر لهذا النوع من الفاعلين حالتين:

الأولي: الفاعل الذي يفعل الحدث أصلاً بقصد وإرادة ، ولكنه وقع في جملة ليس له يد في وقوع حدثها ، مثل: مات ، فني. مرض... الخ ، فهذه الأحداث فوق إرادته. الثانية: الفاعل الذي ليس له إرادة أو قصد ؛ لأنه لا يعقل فهو جماد أو شيء دلالي ، وليس ذاتاً من الذوات مثل (الجدار ، السماء ، الربيع ، النجوم) فهذه الكلمات تدل على شيء يمكن أن يتصف بالحدث ولا يقوم به على سبيل الحقيقة^٣.

وأما النحاة الذين لم يفرقوا بين الفاعل الحقيقي والفاعل غير الحقيقي فيأتي في مقدمتهم رموز من معربي القرآن منهم أبو عبيدة الذي يقول: "ليس للحائط إرادة ولا للموات ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادته"^٤ وذلك تعليقاً على قوله

(١) دقائق العربية ، أمين آل ناسر ، (ط ١٩٥٣م ، مطبعة الإتحاد بيروت) ص ١١

(٢) الحدث النحوي _ص ٩٢

(٣) ينظر الحدث النحوي، ص ٩١

(٤) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن التيمي ، تحقيق أحمد فريد الزبيدي (دار الكتب العلمية . بيروت ٢٠٠٦ م) ص ١٥٥.

تعالى: (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) (سورة الكهف: ٧٧) ووقف عند قول تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) (سورة الأعراف: ١٥٤) وحول معنى (سكت) إلى سكن ليلئلا فاعله^١.

ومثله الفراء الذي تحدث عن الفاعل الحقيقي والفاعل غير الحقيقي في عدد من الآيات إذ قال عن الآية أعلاه: يقال: كيف يريد الجدار أن ينقض؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا الجدار يريد أن يسقط. ومثله قول الله تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) (سورة الأعراف: ١٥)، ولما سكت عن موسى الغضب، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه وإنما معناه سكن، وقوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) (سورة محمد: ٢١) وإنما يعزم الأمر أهله^٢.

والفراء هنا يوحد بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي، ولهذا يجعل الغضب لا يسكت وإنما يسكن؛ لأن الفاعل عنده لا بد أن يقوم بالفعل واقتضى أثرهما الزجاج حين قال: "والإرادة إنما تكون في الحيوان المبين، والجدار لا يريد إرادة حقيقية، إلا أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما تظهر أفعال المريرين القاصدين"^٣.

ويقول الفخر الرازي: "فإن قيل كيف يجوز وصف الجدار بالإرادة مع أن الإرادة من صفات الأحياء قلنا هذا اللفظ ورد على سبيل الاستعارة"^٤.

(١) نفس المصدر - ص ٩٢.

(٢) معاني القرآن، الفراء. أبو زكريا يحيى زياد - تحقيق محمد علي النجار. (الدار المصرية للتأليف والترجمة. د.ت) ١٥٥/٢، ١٥٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه - أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلي (دار الحديث. القاهرة) ٢٥٠/٣.

(٤) تفسير الفخر الرازي - أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (دار إحياء التراث العربي) ٤٨٩/٢١.

ومن النحاة الذين لم يفرقوا بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي ابن الحاجب الذي اشترط في الفاعل قيامه بالفعل حين عرّف الفاعل بأنه: "ما أسند إليه الفعل أو شبهه، وقدم على جهة قيامه به".^(١)

مما سبق يتضح أن بعض النحاة فرقوا بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي وحكموا الإسناد والعلامة الإعرابية في تحديد الفاعلية ، بينما لم يفرق بعضهم بين المفهومين فاشتروا في الفاعل أن يقوم بالفعل ؛ وذلك لأنهم لاحظوا عدم تآلف بين الفاعلين والأفعال التي أسندت إليهم كما في الفعل المسند إلى الجماد ، والفعل في هذه الحالة ليس مما يقع من الفاعل في الظاهر ، وهو ما أحدث نوعاً من التناظر، ورأوا أن هذا التناظر لا يزيله إلا تحويل معنى الفعل إلى معنى آخر يناسب الفاعل - كما رأينا عند الفراء وأبي عبيدة، وذهب آخرون في معالجة هذا الإشكال إلى القول بالاستعارة والمجاز كما فعل الرازي، وذلك حتى تستقيم هذه التراكيب التي احتوت معانيها شيئاً من عدم التناغم بين الأفعال و فاعليها. ولو تنبه هؤلاء إلى ما تنبه إليه الفريق الآخر لما احتاجوا إلى تحويل معنى الأفعال أو القول بالاستعارة والمجاز لأن خصوصية الفاعل ليست في إحداثه الفعل بل في إسناده إليه مقدماً عليه كما مر.

وتجب الإشارة إلى أن إسناد الفعل إلى الفاعل لا بد أن يراعى فيه القبول المنطقي فالنحو لا يسعى إلى الاستقامة الشكلية فحسب بل لا بد معها من الاستقامة المعنوية بحيث يصح إسناد الفعل إلى الفاعل بالإحداث أو الاتصاف فإن كان الفاعل غير صالح لأحدهما كان الكلام ضرباً من الهذيان لا يحمل معنى ولا يفيد حكماً وإن استقام في شكله وتركيبه ، إذن لا بد من القبول العقلي لمعنى الإسناد بحيث لا تحمل الجملة حدثاً يستحيل على الفاعل القيام به أو الاتصاف به، وهذا ما دفع سيوييه إلى تقسيم الكلام تقسيماً دلالياً خاصاً حين قال: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن، فقولك: أتيتك

(١) الكافية في النحو - ابن الحاجب أبو عمر عثمان بن عمر ، تحقيق طارق بنجم عبد الله (دار الوفاء - جدة ١٩٨٦م - ط ١)

أمس، و سأتيك غداً، وأما المحال، فأنت تتقضى أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، سأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح، فأنت تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكى زيداً رأيت، وأشبه هذا، وأما المحال الكذب، فأنت تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس^١.

فسيبويه ركز على أجزاء الجملة بأن يكون الفاعل صالحاً للقيام أو الاتصاف بالفعل وأن يكون المفعول صالحاً لوقوع الفعل عليه، كما ركز على عنصر الزمن الذي هو من مكملات الجملة فالظرف الدال على الماضي (أمس) لا بد أن يصاحب الفعل الماضي والظرف الدال على المستقبل (غداً) لا بد أن يصاحب الفعل الدال على الاستقبال، وما يختص بالدخول على الأفعال لا يصح دخوله على الأسماء (قد، كي)، والخلل دخل بعض هذه الجمل من جهة الزمن، وبعضها من جهة التركيب (قد زيداً رأيت)، وبعضها من جهة التركيب والمعنى (سوف أشرب ماء البحر أمس)، وبعضها من جهة المعنى فقط (حملت الجبل، شربت ماء البحر) وكل هذا الخلل ناشئ من إهمال مراعاة القبول المنطقي في تركيب الجمل، ولذلك لم تفد الجمل معنى مقبولاً لدى المتلقي، يشير إلى أهمية هذا الأمر الدكتور محمد حماسة بقوله: "فالفاعل مصنف في العقل تحت أنماط كثيرة بعضها يخضع للصيغة، وبعضها يخضع للمعنى أي الدلالة الأولية للمفرد، وكذلك الاسم مصنف في العقل - أي عقل أبناء اللغة المتكلمين بها - تحت أنماط متعددة قد تتلاقى وتتشابك، وقد تختلف وتتأخر وقد تتقاطع أو تتوازي، وكل مجموعة دلالية معينة صالحة للاستجابة لكلمات مجموعة أخرى أو أكثر في علاقات نحوية معينة. فإذا قلنا مثلاً (شرب الطفل اللبن) لا يمكن وضع (أكل مكان شرب) ولا يمكن وضع الخبز مكان اللبن ولا يمكن وضع الحائط مكان الطفل فإذا

(١) الكتاب - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي . القاهرة - ط ٢ .

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) / ٢٦٢٥.

قلنا: (أكل الطفل الخبز) صارت هذه جملة أخرى ذات كلمات أخرى واستجابات أخرى^١.

وعلى هذا فإن سلامة الإعراب يجب أن تصاحبها سلامة المعنى واستقامته وشبيهه بقول سيبويه السابق ما صرّح به نعوم تشومسكي حين قال مجسداً الجملة التي استقامت في تركيبها النحوي لكن مع اختلال في الدلالة: الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بعنف^٢ هذه الجملة من الناحية الإعرابية سليمة لكنها فاسدة المعنى متناقضة الدلالة لا يقبلها المنطق، ولا يجيزها العقل.

المبحث الثالث

الفرق بين الفاعل ونائبه

يحذف الفاعل لغرض لفظي أو معنوي فمن الأغراض اللفظية ما يلي:

١. رغبة المتكلم في الإيجاز والاختصار كقوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) (سورة النحل: ١٢٦).

٢. المحافظة على السجع في الكلام المنشور نحو (من طابت سريرته حمدت سيرته) فلو بني الفعل (حمد) للمعلوم لتغيرت السجعة.

٣. المحافظة على الوزن في الشعر نحو قول الأعشى:

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً ❖❖❖ غيري وعلق أخرى غيرها الرجل^٣

(١) النحو والدلالة _ د. محمد حماسة عبد اللطيف (مكتبة المدينة بالقاهرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. ط ١) ص ٧٢.

(٢) جوانب من نظرية النحو _ نعوم تشومسكي _ ترجمة مرتضى جواد باقر (منشورات جامعة البصرة. العراق ١٩٨٥ م) ص ١٨٦.

(٣) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس _ تحقيق د. محمد حسين (مكتبة الآداب بالجماميز) _ ص ٥٧.

ومن الأغراض المعنوية:

١. أن يكون الفاعل معلوماً كقوله تعالى: (خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ) (الأنبياء: ٣٦).
 ٢. أن يكون الفاعل مجهولاً نحو (سُرِقَ المتاع) إذا لم يعلم السارق.
 ٣. أن يقصد المتكلم تعظيم الفاعل بصون اسمه عن الاقتران بالمفعول نحو (خلق الخنزير) وغيرها من الأغراض التي عددها النحاة^١.
- وإذا حذف الفاعل لواحد من الأغراض المذكورة آنفاً أو غيرها حل محله المفعول أو الظرف أو المصدر أو الجار والمجرور، ووجب لما ناب عنه ما كان يجب له من وجوب التأخير ووجوب الرفع ووجوب تأنيث الفعل أو جوازه، ويصير عمدة بعد أن كان فضلة، وتتغير له صورة الفعل إلى فُعِلَ ويُفَعَلُ ونحوها.
- وإن كان للفعل أكثر من مفعول ناب الأول منها عن الفاعل، ونصب ما عداه على المفعولية، وإن كان الفعل من باب كسى ومنح مما ينصب مفعولين ليس أصلها المبتدأ والخبر جاز إنابة الأول أو الثاني إذا أمن اللبس^٢.
- وتتأول سببويه نائب الفاعل وسماه المفعول الذي لم يتعد إليه فعل، وذلك بقوله المفعول الذي لم يتعد إليه فعل ولم يتعداه فعله على مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل^٣.

(١) شرح بن عقيل - ١١١/٢ من الهامش، وشرح شذور الذهب - بن هشام - هامش ص ١٩٠، ١٩١

(٢) ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ابن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجيل

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - بيروت) ١٤٩/٢، ١٤٨، والأصول في النحو - ابن السراج ١/٨١، ٧٦

(٣) الكتاب لسببويه ١/٣٣.

وبهذا يعد سببويه من السابقين إلى التفريق بين الفاعل ونائب الفاعل، فنائب الفاعل هو مفعول لم يتعد إليه فعل فاعل، أي مفعول لم يذكر قبله فاعل. ومثل سببويه ابن السراج^١، وأما المبرد فقد سماه المفعول الذي لا يذكر فاعله^٢.
ومما سبق يتضح أن نائب الفاعل يختلف عن الفاعل، لأنه أسند إليه الفعل على جهة الوقوع عليه لا الوقوع منه، ولأنه في الأصل مفعول به، وإنما ارتفع لغياب الفاعل، وحاجة الفعل إلى اسم مرفوع يسند إليه.

وهناك فريق من النحاة لم يفرّقوا بين الفاعل ونائبه وجعلوا معنى الجملة واحداً إذا عبر فيها بالبناء للفاعل أو البناء للمفعول، ويأتي في مقدمة هؤلاء الفراء حيث يقول في قوله تعالى: (يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) (سورة ق: ٤٤) وتَشَقَّقُ، والمعنى واحد مثل: (مات الرجل وأميت)^٣، وهو هنا سوّى بين الفاعل ونائب الفاعل، ويلجأ في مواضع أخرى إلى القلب لتفسير هذه الظاهرة حيث يقول معلقاً على قوله تعالى: (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) (سورة هود: ٢٨) قرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة، وهي قراءة أبي (فعمماها عليكم) وسمعت العرب تقول: (قد عُمِّيَّ عليَّ الخبر، وعَمِّيَّ عليَّ بمعنى واحد، وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أن الرجل الذي يَعْمَى عن الخبر أو يُعْمَى عنه، ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي، وأنت تعلم أن الرَّجُلُ تُدخِلُ في الخف والإصبع في الخاتم... فاستجازوا ذلك لهذا)^٤.

ومن النحاة الذين لم يفرّقوا بين الفاعل ونائبه عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: "لا فصل بين ضُرب زيد وضرب زيد في جواز تسمية كل واحد منهما فاعلاً وإذا جاز أن يسمى نحو مات زيد فاعلاً، مع أنه عارٍ من الفعل ومفعول في المعنى من حيث أن الله

(١) الأصول ١/ ٧٦، ٧٧.

(٢) المقتضب ٤/ ٥٠.

(٣) معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلي (دار السورور) ٨١/٣.

(٤) معاني القرآن - ١٢/٢.

أماته، جاز أن يسمى زيد في قولك (ضُرب زيد) فاعلاً وذلك لما ذكرنا من أن الاعتبار بأن يكون الفعل مسنداً إليه مقدماً عليه^١.

وهذه التسوية بين الفاعل ونائبه عند عبد القاهر منشؤها قياس نائب الفاعل على الفاعل غير الحقيقي، ومعتمدها الإسناد والعلامة لا المعنى ومنهم الزمخشري الذي يقول: "الفعل إذا أسند إلى المفعول نحو: ضُرب زيد، وأُكرم بكر صار ارتفاعه من جهة ارتفاع الفاعل إذ ليس من شرط الفاعل أن يكون موجداً للفعل أو مؤثراً فيه"^٢، ومثلهم ابن جني^٣ وهذه الآراء أغفلت التغيير الذي يطراً في صورة الفعل عند بنائه للمجهول إذا أن من الثابت في العربية تغيير صورة الفعل في حالة بناء الفعل للمفعول - وهو في تقديري - أبرز علامة للتفريق بين الفاعل ونائبه، وذلك إلى جانب اختلاف المعنى في الغالب الأعم.

تجدد الإشارة هنا إلى مجيء أفعال في العربية على صورة المبني للمفعول ابتداءً أي أنها لم يتم فيها تغيير الصورة وإنما نُطقت هكذا من أول وهلة وعنهما يقول ابن السراج: "وقد نطق بما لم يسم فاعله في أحرف ولم ينطق فيها بتسمية الفاعل، فقالوا: أنيخت، ووُضع زيد في تجارته، ووُكس، وأُغري به، وأُولع به، وما كان من نحو هذا مما أخذ عنهم سماعاً وليس بباب يقاس عليه"^٤.

وما ذكره أمثلة لهذا النوع من الأفعال وليس حصراً لها، لكن هذا يبقي في دائرة المسموع المحفوظ ولا يتعداها إلى القياس، لأن القياس لا يكون إلا على الكثير المطرد من كلام العرب، والكثير أن يكون للفعل صورتان، صورة في حالة بنائه للمعلوم وأخرى في حالة بنائه للمجهول.

وساق الدكتور أحمد عفيفي جملة من الأفعال بعضها مبني للمعلوم وبعضها مبني للمجهول ومعناها واحد من ذلك: مات صديقي، وتوفي صديقي، ومعني الجملتين

(١) المقتصد في شرح الإيضاح - عبد القاهر الجرجاني - ٣٤٦/١.

(٢) شرح المفصل - موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (إدارة الطباعة المنيرية - د.ت) ٧٤/١.

(٣) الخصائص ٩٩/٣.

(٤) الأصول في النحو - ٨١/١.

واحد، والفاعل الحقيقي في الجملتين واحد وهو المولى عزّ وجلّ؛ واتحد معنى الجملتين مع اختلاف تركيبهما ومن ذلك مرض زيد، وسُل زيد فالفاعل في الجملة الأولى متصف بالحدث مع الفعل المبني للمعلوم، ونائب الفاعل في الجملة الثانية مثله تماماً، والفاعل الحقيقي واحد، والحدث في الجملتين هو المرض غير أنه في المثال الأول عام، وفي المثال الثاني خاص^١.

وخلاصة القول أن المساوين بين الفاعل ونائبه أغضوا مسألتين:

الأولى: معنوية وهي اختلاف المعنى، فالفاعل ونائبه وإن اشتركا في تقدم الفعل عليهما وإسناده إليهما، إلا أن الفاعل يسند إليه على جهة وقوعه منه، أو اتصافه به، ونائب الفاعل يسند إليه على جهة وقوعه عليه.

الثانية: شكلية وهي اختلاف صورة الفعل بين الفاعل ونائبه كما تقدمت الإشارة.

عليه الأرجح - في تقديري - مذهب المفرّقين بين الحالتين؛ لوجود هذه الفروق الواضحة في اللفظ والمعنى.

(١) الحدث النحوي - ص ٩٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين... وبعد:

فهذه خاتمة بحث الفاعل بين الإسناد والإحداث وقد توصل البحث إلى عدة نتائج أبرزها:

١. خطورة إهمال المعنى في عملية الإعراب وضرورة أن يفهم المعرب معنى ما يعربه.
٢. المصطلحات النحوية ومنها الفاعل غير بعيدة عن معناها اللغوي إلا أن ذلك لا يطرد في كل الأحوال.
٣. المعنى اللغوي للكلمة قد يتسع عن معناها الاصطلاحي وبالتالي لا يكون دقيقاً في دلالاته على ماهيتها.
٤. فرّق بعض النحاة بين الفاعل الحقيقي والفاعل الاصطلاحي، وذهب فريق منهم إلى المساواة بينهما.
٥. انقسم النحاة إلى فريقين في التفريق بين الفاعل ونائبه ففرق بينهما الجمهور بينما وحدّ بينهما فريق منهم.

التوصيات:

- أوصي الدارسين في حقل الدراسات اللغوية والنحوية بالآتي:
١. حمل المسائل النحوية على تعريفاتها الاصطلاحية المحددة لا اللغوية الواسعة.
 ٢. مراعاة المعنى وأهمية استقامته في عملية الإعراب.
 ٣. القراءة المتأنية في التراث اللغوي وفهم أساليب ومصطلحات علمائه.
 ٤. ربط الدراسات النحوية واللغوية بالقرآن الكريم والسنة النبوية لأنهما المعين الذي لا ينضب.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
١. ارتشاف الضرب من لسان العرب _ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف _ تحقيق رجب عثمان محمد (مكتبة الخانجي _ القاهرة _ ط١ _ ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م).
 ٢. أسرار العربية _ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري _ تحقيق محمد بهجة البيطار (مطبوعات المجمع العلمي العربي _ دمشق).
 ٣. الأصول في النحو _ محمد بن السراج _ تحقيق عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة _ بيروت _ ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م).
 ٤. أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك _ ابن هشام الأنصاري _ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجيل ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م _ بيروت).
 ٥. تفسير الفخر الرازي _ أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (دار إحياء التراث العربي).
 ٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك _ المرادي بدر الدين أبو محمد الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم _ تحقيق عبد الرحمن علي سليمان (دار الفكر العربي _ ط١ _ ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م).
 ٧. جوانب من نظرية النحو _ نعوم تشومسكي _ ترجمة مرتضى جواد باقر (منشورات جامعة البصرة - العراق ١٩٨٥م).
 ٨. الحدث النحوي في الجملة العربية _ دكتور أحمد عفيفي (مكتبة الأنجلو المصرية _ القاهرة).
 ٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار _ (طبعة دار الكتب المصرية _ ط٢ ١٩٥٢م)
 ١٠. دقائق العربية ، أمين آل ناصر ، (ط١ ١٩٥٣م ، مطبعة الإتحاد بيروت)

١١. ديوان الأعشي الكبير ميمون بن قيس _ تحقيق د. محمد حسين (مكتبة الآداب بالجماميز) .
١٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك _ بهاء الدين عبد الله بن عقيل _ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار التراث القاهرة _ ١٤٢٠هـ _ ١٩٩٩م) .
١٣. شرح المفصل _ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (إدارة الطباعة المنيرية _ د.ت) .
١٤. شرح شذور الذهب، ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين _ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الطلائع _ القاهرة ٢٠٠٩م) .
١٥. شرح قطر الندى وبل الصدى _ أبو محمد عبد الله بن هشام _ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (المكتبة التجارية الكبرى _ ط ١١ _ ١٣٨٣هـ _ ١٩٦٣م) .
١٦. الكافية في النحو _ ابن الحاجب أبو عمر عثمان بن عمر ، تحقيق طارق نجم عبد الله (دار الوفاء - جدة ١٩٨٦م _ ط ١) .
١٧. الكتاب _ سيوييه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر _ تحقيق عبد السلام محمد هارون (مكتبة الخانجي - القاهرة _ ط ٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
١٨. اللباب في علل البناء والإعراب _ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري _ تحقيق غازي مختار (دار الفكر دمشق _ ط ١ _ ١٩٩٥م) .
١٩. لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور _ تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله (دار المعارف القاهرة) .
٢٠. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق سميح أبو مغلي (عمان _ دار مجدولاي ١٩٨٨م) .
٢١. مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن التيمي ، تحقيق أحمد فريد المزيدي (دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٦م) .

٢٢. معاني القرآن ، الفراء. أبو زكريا يحيى زياد _ تحقيق محمد علي النجار -
(الدار المصرية للتأليف والترجمة.د.ت).
٢٣. معاني القرآن _ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء _ تحقيق عبد الفتاح إسماعيل
شليبي (دار السرور).
٢٤. معاني القرآن وإعرابه _ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق عبد
الجليل عبده شليبي (دار الحديث - القاهرة).
٢٥. مغني اللبيب عن كتب الأعراب _ عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري _
تحقيق سعيد الأفغاني وآخرين (دار الفكر _ بيروت).
٢٦. المقتصد في شرح الإيضاح _ عبد القاهر الجرجاني _ تحقيق كاظم بحر
المرجان (العراق دار الرشيد ١٩٨٢م).
٢٧. المقتضب _ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق
عضيمة (عالم الكتب).
٢٨. النحو والدلالة _ د. محمد حماسة عبد اللطيف (مكتبة المدينة بالقاهرة ،
١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م - ط ١).

تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المستوى الأول
بجامعة كتسينا نيجيريا

د. هاجر خامس هارون*

* - أستاذ اللغة العربية المساعد بجامعة كتسينا - نيجيريا

تناولت هذه الدراسة خمسة مباحث؛ الأول: نشأة التعليم العربي الإسلامي وتطوره في نيجيريا والثاني: التعريف بجامعة كتسينا نيجيريا. والثالث: تحليل الأخطاء وأهميته في تدريس اللغة الأجنبية. الرابع: إجراء الدراسة الميدانية. الخامس: الأخطاء الإملائية لدى طلاب المستوى الأول بجامعة كتسينا نيجيريا، ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

This research discussed on five topics. The first is founding of the Arabic Language in Nigeria and its development, the second Introduction to the University of Katsina in Nigeria. Third: Error analyzing and its importance in teaching foreign language, fourth: The study field measure. Fifth: Spelling error for first year student of Katsina University.

المقدمة

برز منهج تحليل الأخطاء في أوائل السبعينات من القرن العشرين وقد عمل على تلافي القصور الذي صاحب التحليل التقابلي. حيث يرى أنصار هذا المنهج أنه يمكن التعرف على حقيقة المشكلات التي تواجه الدارسين أثناء تعلّمهم عن طريق تحليل الأخطاء، وأنه يمكن التعرف على المشكلات ومداها من حيث الصعوبة والسهولة عن طريق نسبة ورود الأخطاء.^١ يختلف تحليل الأخطاء عن التحليل التقابلي في أنه يدرس الأخطاء التي تُعزى إلى كل المصادر الممكنة، وقد حلّ تحليل الأخطاء محلّ التحليل التقابلي بسهولة حيث تبين أن بعض الأخطاء، مردّها تأثير اللغة الأم، وأن المتعلّم لا يقع في كل الأخطاء التي يتوقّعها التحليل التقابلي، وأن الدارسين الذين ينتمون إلى خلفيات لغوية مختلفة يقعون في أخطاء متشابهة عند تعلّمهم لغة أجنبية واحدة.^٢

ومن أهداف هذه الدراسة أنها تسعى إلى الأهداف التالية:

١. الكشف عن الأخطاء اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية بالمستوى الأول في قسم اللغة العربية بجامعة كتسينا النيجيرية.
٢. تحديد الأسباب المؤدية إلى ارتكاب هذه الأخطاء ومصادرها من قبل الطلاب؛ ثم القيام بمعالجتها عن طريق تفسيرها وتحليلها، ومن ثم إبرازها من أجل تجاوزها في إعداد المواد والمناهج الدراسية.
٣. بيان جوانب القصور في عناصر المنهج ومكوناته.

(١) محمود إسماعيل صيني وإسحاق محمد الأمين: تعريب وتحرير: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ط١، المملكة العربية السعودية،

الرياض، عسادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م، ص/ ٩٧

(٢) عمر الصديق عبد الله، تحليل الأخطاء اللغوية التحريرية لدى طلاب معهد الخرطوم الدولي للغة العربي الناطقين باللغات

الأخرى، الخرطوم:معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ٢٠٠٠م ص/ ٥ ، نقلا عن دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة د. عبده يروت. ١٩٩٤م.

٤. العمل على معالجة مواطن الضعف لدى الطلاب، عن طريق تحديد الأخطاء وتصنيفها وتفسيرها. من خلال المادة التعليمية المقدّمة للطلاب.
 ٥. ومن أهم النتائج التي حصلت عليها الباحثة :
 ٦. تداخل اللغة الأم مع اللغة العربية أدى إلى وجود أخطاء في كتابات الطلاب في الإملاء العربي.
 ٧. صعوبة اللغة العربية لدى الطلاب المستهدفين أدّى إلى وقوعهم في الأخطاء الكتابية.
 ٨. عدم الاهتمام بتدريب معلمي اللغة العربية أدى إلى وقوع الطلاب في أخطاء الكتابة.
- استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي وكذلك المنهج التطبيقي.

نشأة التعليم العربي الإسلامي وتطوره في نيجيريا

إن الإسلام قد أرسى دعائم العلم والمعرفة، بحيث أعطى التعليم اهتماماً خاصاً في عناصره، فأول ما نزل من القرآن الكريم؛ كان أمراً بالقراءة وذلك قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾^١، فشجّع ذلك على التعليم وجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين، وأعطى العلماء في مجتمعه منزلة لا تساويها منزلة وذلك في قوله تعالى ﴿أَمْنْ هُوَ قَائِلٌ أَنَّى اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾^٢ وهذا ما جعل العالم في المجتمع النيجيري في القرون الماضية، يتمتع بتبجيل وإجلال يكاد يبلغ حدّ التقديس، وذلك لما يمتاز به من ثقافة دينية راقية، فيلتف حوله عدد من الناس ليتعلموا ويتثقفوا، وبذلك تبتدئ الفصول الدراسية بالتدرج وترعرع وتزدهر، ولا يزال العلماء يتمتعون بهذه المكانة إلى يومنا هذا^٣.

وإن نشأة التعليم الإسلامي العربي في نيجيريا ترجع إلى بداية توغل الإسلام إلى هذه البلاد، وذلك قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي بعدة قرون، وقد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام، لذلك كانت لهذه البداية نتائج بعيدة المدى، وأصبح تعليم اللغة العربية مفتاحاً للعلم والمعرفة والمكانة، ولارتباط ذلك بالإسلام الذي حث على طلب العلم، انتشر التعليم العربي الإسلامي.

(١) العلق: ١-٥.

(٢) الزمر الآية: ٩.

(٣) شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة ص:

وكان أول ما ظهر في النظام التعليمي في نيجيريا المدارس القرآنية، والتي تُعرف بالكاتيب أو الخلوات، وكان المجتمع النيجيري كغيره من المجتمعات الإسلامية يهتم بتلك المدارس القرآنية، ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها، فيتعلمون شيئاً من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ من الدين الإسلامي.

أما المدارس النظامية فقد بدأت مع بدء التعليم، ولم تزل ترتقي مع رُقي الإنسان، وهي تتطور مع تطوراتها إلى أن صارت تتشكل إلى هذه الصورة في أوروبا قبل القرن التاسع عشر، ولم تكن هذه الأنظمة معلومةً بهذه الصورة في أوروبا قبل القرن السادس عشر، وإنما بدأت بالتدرج منذ أواخر القرن السابع عشر ولم تكتمل أجزاءها إلا في القرن العشرين، ومنذ القرن التاسع عشر فقد عرفها العرب ولم يأخذوا بها إلا في القرن العشرين، بل كان العرب على نظام المدرسة النظامية الأولى، التي تمثلت في القرن الخامس الهجري^١.

بدأت المدارس النظامية كغيرها من الأنظمة التعليمية الحديثة في نيجيريا تنتشر من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأول من جمع الأولاد على المقاعد والسبورة في نيجيريا عام ١٨٩٠م هو الشيخ عبد الكريم الطرابلسي الرحالة المغربي، الذي طاف بأقطار أوروبا وآسيا، كما طاف بكثير من بلاد أفريقيا إلى أن توجّه بمدينة كنو (١٩٢٦م) في نيجيريا.

ثم جاء بعده الأستاذ محمد مصطفى الشامي نزيل لاغوس (١٩٠٤م) أسس بها مدرسة عربية، وألّف كتابه المسمى مفتاح اللغة العربية للتعليم بأفريقيا الغربية، طُبِعَ مراراً على نفقة الحاج علي الفاهم الكتبي الكبير، ثم الحاج عيسى شتتا وهما من الأثرياء بلاغوس^٢.

وكان العلماء يمتنعون استعمال الكتب المصورة بحجة تحريم التصوير، كما يمتنعون الجلوس على المقاعد، والكتابة بالطباشير على اللوح الخشبي لأنها بدعة؛ ولكن بعض العلماء أجازوا ذلك اقتداءً بالعلماء المصريين وغيرهم.

(١) آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية، بيروت لبنان، ط: ٣، ص: ٥٦.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

وأول كتاب مصور استعمل في نيجيريا هو كتاب التمرين العباسي، وكتاب دروس الأشياء ثم سائر الكتب المقررة في المدارس المصرية^١. وفي الأخير بدأت المدارس النظامية الحديثة تظهر لكي تستوعب خريجي المدارس القرآنية، وأدت دوراً فعالاً في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وأول مدرسة عربية منظمة في نيجيريا - كما سبق أن ذكرنا - هي مدرسة الشريعة الكبرى بمدينة كنو (١٩٣٤م)^٢، وقد أنشأها الأمير عبد الله بايرو - أمير كنو - لاستيعاب المتخرجين في المدارس القرآنية، وتخريج قضاة شرعيين، وكانت أول مدرسة من نوعها في غرب إفريقيا، وأوفدوا إليها علماء من مصر والسودان، وأنجبت النواة الأولى من النخبة الممتازة، وأصبحت قبله يغشاها الطلبة من كل المحافظات في نيجيريا ومن البلاد الإفريقية المجاورة.

ظهر بعد ذلك في كل من (كنو) و(صكتو) و(برنو) مدارس مماثلة كثيرة، وفتح مركز التعليم العربي في (أغيني) بولاية (لاغوس)، عام ١٩٥٢م وسعى لإصلاح منهاج التعليم في جنوب نيجيريا، ثم ظهر بعده في (إبادن) وما جاورها معاهد ومدارس عربية عديدة. ومنذ عام ١٩٦٠م صار يحضر عدد من المبعوثين الأزهريين والسعوديين والسودانيين إلى كل قطر من نيجيريا، فانتسح نفوذ التعليم العربي والحمد لله على ذلك^٣.

وبعد الاستقلال بسنة، أُدخلت اللغة العربية في جامعة (إبادن)، وذلك في عام ١٩٦١م، وتم فتح جامعة أحمد بيلو زاريا سنة ١٩٦٢م، وأدخلت اللغة العربية كذلك ضمن موادها. وفي مطلع السبعينات من القرن العشرين تفجرت ثورة كبرى أدت إلى إدخال المواد العربية والدراسات الإسلامية في المدارس الحكومية الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم تبع ذلك إنشاء المؤسسات التعليمية الحكومية وغير الحكومية.

(١) المرجع السابق، ص: ٥٧-٥٨.

(٢) محمد جلال عباس. اللغة العربية في إفريقيا. الدارة، ع: ١، س/ ٩ (١٤٠٣هـ)، ص: ١٩٢. بتصريف

(٣) آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه، مرجع سابق، ص: ٥٨.

المبحث الثاني

التعريف بجامعة (كتسينا) نيجيريا

تُعد جامعة (كتسينا) إحدى الجامعات النيجيرية العريقة، تقع في ولاية كتسينا بشمال نيجيريا، وقد تم إنشاؤها عام ٢٠٠٥م من قبل المؤسسة الإسلامية بالولاية، وتعتبر أول جامعة إسلامية في نيجيريا. وعند تأسيسها، كان فيها أربعة أقسام هي: قسم اللغة العربية، وقسم الدراسات الإسلامية، وقسم اللغة الإنجليزية، وقسم العلوم الإنسانية.

أما من حيث تأسيسها، فقد منحت حكومة الولاية قطعة أرض مساحته ٦٠٨ فداناً، لبناء الجامعة، وذلك في الثالث من شهر نوفمبر ١٩٩٩م.

تم قبول الدفعة الأولى في الجامعة وهم ٢٠٠ طالب، وأما الدفعة الثانية؛ فقد بلغ عدد المقبولين ٥٠٠ طالب. وحينذاك قامت إدارة المؤسسة الإسلامية - وهي مجلس الأمان للجامعة - بالتنسيق مع المجلس القومي للجامعات ب (أبوجا)^١، عاصمة نيجيريا الفدرالية، وقدمت طلباً لتسجيل الجامعة ضمن الجامعات المعترف بها في البلاد، وقد قُبِل الطلاب وسُجِّلَت الجامعة لدى المجلس القومي للجامعات.

المنهج الجامعي:

حُصِصَت الجامعة لتدريس المواد الإسلامية والعلوم، وبدأت الدراسة بالأقسام التالية:- قسم الدراسات الإسلامية، وقسم الشريعة، قسم دراسات علوم الكمبيوتر، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية.

وقد قابلت الجامعة تحديات كثيرة من أجل الاسم الذي تحمله، (الجامعة الإسلامية كتسينا) حتى تم تغييره حالياً في هذه السنة (٢٠١٤م) إلى (جامعة القلم كتسينا)، ولكن ما زال اسمها القديم يُستخدم في المجتمع، لشهرته وانتشاره في

¹ABUJA هي عاصمة دولة نيجيريا

أوساطه، وله أثر كبير في المجتمع وبقي الاسم الجديد رمزاً في الأوراق الرسمية، وظلت تنادى باسم الجامعة الإسلامية في المجتمع.

تم الاعتراف بالجامعة واعتمدت في نظام الجامعات الحكومية من أجل تقييمها كسائر الجامعات النيجيرية، ولكن ما زالت تدير شؤونها الخاصة كجامعات خاصة، واعتمادها في هذا النظام؛ هو الذي أدى إلى تغيير الاسم لأن الحكومة لا تلتفت إلى الجامعات التي تحمل شعار الإسلام نظراً للمشاكل السياسية والدينية التي تواجهها الدولة، وهذا لا ينقص من شأن الجامعة، ولم يؤثر في أداء دورها الإسلامي في المجتمع. وقد صُوِّغَ للجامعة أهداف كثيرة من أجل تحقيق رسالتها المرموقة، وبالطبع فإن هذا يحقق الأهداف الخاصة لقسم اللغة العربية لأنه جزء لا يتجزأ من الجامعة.

أهداف الجامعة

١. تعليم اللغة العربية والعلوم التطبيقية.
 ٢. تمكين الدارسين من مهارات اللغة العربية للأغراض العامة والخاصة.
 ٣. نشر الثقافة الإسلامية من خلال تدريس اللغة العربية.
 ٤. إعداد مواد تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتربية.
 ٥. تدريب المعلمين في التخصصات المختلفة.
- ومن أميز ما تتمتع به الجامعة، انتشارها في الآفاق، وتعلق المجتمع النيجيري بها، حيث صار لها صيت في جميع الولايات النيجيرية، حتى التحق بها كثير من الطلاب من مختلف الولايات النيجيرية، مما أدى إلى ازدهار الجامعة وتطورها، وأفضى ذلك إلى قبول رغبات المجتمع وآماله ففتحت أقساماً جديدةً على النحو التالي:

١. كلية العلوم الطبيعية والتطبيقية وفيها ثلاثة أقسام:
- أ. قسم العلوم الرياضيات، ب. قسم الفيزياء، ج. قسم الكيمياء.
٢. كلية العلوم الصحية والدراسات البيئية،
٣. كلية العلوم الإنسانية. وفيها أربعة أقسام:

أ. قسم اللغة العربية. ب. قسم الدراسات الإسلامية. ج. قسم اللغة الانجليزية.

د. قسم اللغة الهوسا.

٤. كلية العلوم الاجتماعية والإدارية.

أ. قسم العلوم الإدارية. ب- قسم العلوم السياسية. ج- قسم علوم الاجتماع.

٥. كلية التربية.

ويبلغ عدد الطلاب والطالبات في الجامعة حالياً أربعة آلاف طالب. وكل هذه الأقسام الآن موجودة في الجامعة، وتقوم عملية الدراسة فيها والحمد لله. أما عن قسم اللغة العربية^١ ففيه مواد عربية متخصصة، يتم تدريسها خلال أربع سنوات، وكل سنة دراسية منقسمة إلى فترتين دراسيتين، وهناك مواد مشتركة بين قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في السنة الأولى والثانية، ثم يبدأ التخصص لكل منهما، ويدرس قسم اللغة العربية مواد حسب تخصص اللغة العربية.

^١ / أضافت الجامعة وحدة اللغة المحلية (Hausa unit) في هذا القسم، فأصبح ينادى بـ (وحدة اللغة العربية واللغة المحلية) ويشارك جميع الطلاب في القاعة الدراسية من بداية الدراسة حتى عام التخصص، ثم يتخصص الطلاب في قسم اللغة العربية والآخرين في اللغة المحلية.

المبحث الثالث

أهمية تحليل الأخطاء في تدريس اللغة الأجنبية.

تحليل الأخطاء ثمرة من ثمرات التحليل التقابلي، لكنه يختلف عنه وعن المقارنة الداخلية، وأنهما يدرسان "اللغة". أما هو فيدرس لغة المتعلم نفسه، لا يقصد هنا اللغة الأولى، وإنما يقصد لغته التي ينتجها وهو يتعلم.

والذي لاشك فيه أننا جميعاً "نخطئ" عند تعلمنا لغة وعند استعمالنا لها، ومن ثم فإن درس "الخطأ" درس أصيل في ذاته، وله أهمية وفوائد كثيرة في تدريس اللغة الأجنبية ومن أبرز مجالات الاستفادة من تحليل الأخطاء ما يلي^١:-

١. إن دراسة الأخطاء تزوّد الباحث بأدلة عن كيفية تعلم اللغة أو اكتسابها، وكذلك الاستراتيجيات والأساليب التي يستخدمها الفرد لاكتساب اللغة.
٢. إن دراسة الأخطاء تفيد في إعداد المواد التعليمية إذ يمكن تصميم المواد التعليمية المناسبة للناطقين بكل لغة في ضوء ما تنتهي إليه دراسات الأخطاء الخاصة بهم.
٣. إن دراسة الأخطاء تساعد في وضع المناهج المناسبة للدارسين سواء من حيث تحديد الأهداف أو اختيار المحتوى أو طرق التدريس أو أساليب التقويم.
٤. إن دراسة الأخطاء تفتح الباب لدراسات أخرى، تكشف من خلالها أسباب ضعف الدارسين في برامج تعلم اللغة الثانية، واقتراح أساليب العلاج المناسبة.
٥. الكشف عن استراتيجيات التعلم عند الطلاب.
٦. يساعد في كشف الخصائص العامة المشتركة بين اللغات.

وتسمى دراسة الأخطاء في أحاديث الطلاب أي كتاباتهم بالتحليل البعدي، إذ أنها تصف ما حدث وليس ما يتوقع حدوثه.

(١) عبد الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ص/ ٥٧.

ولقد شهد ميدان تعلم العربية كلغة ثانية دراسات كثيرة حول الأخطاء اللغوية الشائعة وليس على الأخطاء الفردية اعتبارات منها:-

١. أن الأخطاء الشائعة هي التي تعبر عن ظاهرة تستحق الدراسة.
٢. أنها هي التي تلقى الضوء بسهولة على أسباب الأخطاء.

فإذا كانت الأخطاء عند مجموعة متجانسة من الدارسين، دل ذلك على وجود سبب مشترك تعزى إليه اللغة القومية عن الدارسين، أو إلى المستوى الدراسي الواحد الذي يخطرطن فيه، أو إلى المهنة التي ينتمون إليها، أو إلى المرحلة المرثية التي يشتركون فيها، أو إلى البرامج الدراسي الواحد الذي ينظمون فيه وهكذا. كما أن الأخطاء الشائعة هي التي تستحق أن تبنى المناهج على أساسها وتستاهل الجهد الذي يبذل في سبيل ذلك^١.

ومهما يكن من أمر فإن تحليل الأخطاء له فوائد نظرية وأخرى عملية؛ فعلى الجانب النظري يختبر تحليل الأخطاء نظرية علم اللغة النفسي في تأثير النقل من اللغة الأم، فتثبت صحتها أو خطأها، وهو يعد عنصراً مهماً في دراسة تعلم اللغة، ثم إن تحليل الأخطاء يقدم إسهاماً طيباً عن الخصائص الكلية المشتركة في تعليم اللغة الأجنبية، وهو يكشف عن كثير من الكليات اللغوية.

وعلى الجانب العملي يعد تحليل الأخطاء عملاً مهماً جداً للمدرس، وهو عمل متواصل، يساعده على تغيير طريقته أو تطوير المادة، أو تعديل المحيط الذي يدرس فيه. ولكن أهميته الكبرى تكمن على المستوى الأعلى في التخطيط في المقررات الدراسية، والمقررات العلاجية، وإعادة التعليم، وتدريب المعلمين أثناء العمل^٢.

(١) د.حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ط ٣، الدار المصرفية اللبنانية للنشر، ص/ ٣٠٨ .

(٢) عبد الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية . ص/ ٥٧

المبحث الرابع

الإملاء ماهيته وطرق تدريسه

مفهوم الإملاء: هو عملية التدريب على الكتابة الصحيحة لتصبح عادة يعتادها المتعلم، ويتمكن بواسطتها من نقل آرائه ومشاعره وحاجاته وما يُطلب إليه نقله إلى الآخرين بطريقة صحيحة^١.
أهداف تدريس الإملاء

لعلنا نلمح من تعريف الإملاء أنه وسيلة من وسائل التعبير الكتابي، وأن صحة التعبير، وأدائه كما أراد صاحبه أن يؤدي، يعتمدان على صحة رسم الكلمات التي يؤدي بها، وأن الخطأ في صورة كتابة الكلمات إملائياً يؤدي إلى تشويش في فهم معانيها أو غموضها. ومن هذه الأهداف:

١. يعوّد التلميذ على دقة الملاحظة .
٢. يعوّد التلميذ على الاستماع والانتباه .
٣. يعوّد التلميذ على النظافة والترتيب فيما يكتب .
٤. ينمّي حصيلة التلميذ اللغوية، من خلال المفردات الجديدة والأنماط اللغوية المختلفة التي تتضمنها المادة الإملائية .
٥. يجنب إتقانه مواقف الإحراج في حياته المدرسية والعامة ويشعره بشيء من القدرة والثقة .

(١) مسعد محمد إبراهيم حليبة، المحاضرة الثانية عشرة في مفهوم الإملاء، Uqu.edu.sa/page/a/121409

وسائل التدريب على الكتابة الصحيحة:

نظراً لكون الإملاء عملية يتدرب من خلالها التلاميذ على الكتابة الصحيحة، فإن من واجب المعلم أن يتيح المجال واسعاً أمامهم للتدرب على المادة الإملائية قبل أن يطالبهم بكتابتها على شكل إملاء .

إن من شأن هذا التدريب أن يقود إلى تجنب المتعلم الوقوع في الخطأ ابتداء ووقايته من عواقبه.

ويرى المربون أنه كلما ازدادت استشارة التدريب لوسائل التذكر لدى التلاميذ فإن درجة إتقانهم للإملاء تكون أكبر .

ومن وسائل التذكر التي تساهم في ترسيخ صورة المادة الإملائية في أذهان التلاميذ :

- التذكر البصري: إذ عندما تُتاح لهم رؤية المادة مكتوبة أمامهم فإن ذلك يساعدهم على تذكر صورتها عند الكتابة^١.
 - التذكر السمعي : وكذلك فإن الإستماع إلى نطق الكلمات التي تضمنتها المادة الإملائية نطقاً صحيحاً يقود إلى تذكر شكلها ، والابتعاد عن الخلط بين كتابة الكلمات المتقاربة والمتشابهة في اللفظ^٢.
 - التذكر النطقي : وعندما يتاح للتلاميذ أن يقرأوا المادة الإملائية فإن ذلك يساعدهم على تذكر رسمها عند كتابتها .
 - التذكر الحركي : فالتدريب على كتابة المادة الإملائية قبل أن يملئها المعلم من شأنه أن يقود إلى الإتقان والذي هو الهدف الرئيس من الإملاء .
- ما يراعى في اختيار موضوعات الإملاء (صفات المادة الإملائية الجيدة):
- أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في المادة الإملائية :
- أن تناسب المستوى اللغوي والعقلي للتلاميذ ، بمعنى أن تتدرج موضوعاتها من

(١) أ. وليد جابر، مفهوم الإملاء ، المدرسة العربية www.schoolarabia.net

(٢) نفس المرجع.

- حيث السهولة والصعوبة والطول والقصر وفق قدرات التلاميذ العقلية واللغوية.
- أن يكون موضوع القطعة متصلاً بحياة التلاميذ اليومية، مشتملاً على مواد طريفة ومشوقة لهم.
 - أن تكون القطعة طبيعية في تأليفها، خالية من مظاهر التكلف التي يسببها ولع المعلم باصطياد الكلمات الغريبة الصعبة.
 - يفضل أن تختار القطع في المرحلة الابتدائية الدنيا وحتى الرابع الابتدائي، من كتب اللغة العربية.
 - يفضل في المرحلة الابتدائية العليا أن تختار القطع أحياناً من الموضوعات الدراسية الأخرى من التاريخ والجغرافيا والعلوم والدين.
 - أن يُختار لكل حصة إملائية مادة تتناسب مع وقت الحصة الزمني، من حيث التدريب ، وتوزيع الدفاتر وتسطيرها وكتابة رقم القطعة وتاريخ الإملاء، ثم كتابة القطعة.
 - أن يُركّز في كل قطعة على معالجة قضية إملائية معينة أو أكثر وتدريب التلاميذ عليها.
- الإملاء المنظور : وفيه تعرض قطعة الإملاء على التلاميذ لقراءتها وفهمها والتدرب على كتابة أشكال كلماتها ، ثم تحجب عنهم ومن ثم تملى عليهم. وهذا النوع من الإملاء يناسب التلاميذ في الصف الثالث والرابع.
- الإملاء الاختباري وله مستويان :
- أ- إملاء يطلب إلى التلاميذ إعداده والتدرب عليه في البيت، من الكتاب المدرسي، ومن درس سبق أن قرأه التلاميذ، وفهموا معناه ، لكتابته دون تدريب في حصة الإملاء.
 - ب- إملاء يقصد به إختبار قدرة التلاميذ في كتابة مفردات سبق وتدريبوا عليها وتشخيص مواطن الضعف لمعالجتها.
- يناسب الإملاء الاختباري تلاميذ المرحلة الابتدائية العليا فصاعداً.

طرق تدريس الإملاء :

- أ - الإملاء المنقول:
- تهيئة التلاميذ بمقدمة مناسبة .
 - قراءة المعلم للموضوع، وهو الدرس جميعه، أو فقرة منه .
 - قراءة التلاميذ للموضوع وتذكير التلاميذ بالمعاني التي وردت فيه .
 - تشبيه التلاميذ إلى أشكال الكلمات الصعبة، وتدريبهم على قراءتها وهجائها.
 - نقل القطعة في الدفاتر، وأثناء عملية النقل يراقب المعلم أداء التلاميذ، ومراعاتهم للدقة والنظافة، ويساعد التلاميذ ويرشدهم ويقوم عملهم مباشرة.
- ب- الإملاء المنظور:
- التمهيد .
 - قراءة المعلم للقطعة قراءة واضحة.
 - قراءة التلاميذ للقطعة، وتفسير المفردات الصعبة، ومناقشة المعاني الجزئية والكلية. (إذا كانت القطعة جزءاً من درس من الدروس التي قرأها التلاميذ في الصف ونوقشوا في معناها، فلا حاجة حينئذ إلى مثل هذه الخطوة).
 - تدريب التلاميذ عملياً على اللوح أو على أوراق إضافية على كتابة الكلمات الصعبة في القطعة تدريباً كافياً^١.
 - التهيؤ لكتابة القطعة.
 - إملاء القطعة بعد قراءتها، ومحو اللوح.

(١) نريا حسن محمد صالح: المشكلات الكتابية لدى الناطقين بغير العربية. ص/ ١٩-٢٣ (بتصرف)

تصحيح الدفاتر بإحدى الوسائل التالية:

١. تصحيح الطالب دفتره .

٢. تصحيح الطالب دفتر غيره .

٣. تصحيح المعلم .

ج- الإملاء الاختباري :

- المستوى الأول : اختبار التلاميذ في قطعة إملائية من كتاب اللغة، تدريبوا عليها في البيت لا حاجة إلى التقدمة، ويستبدل بها تهيئة التلاميذ للإملاء، تسطير الدفاتر، كتابة التاريخ ورقم قطعة الإملاء يبدأ المعلم في إملاء القطعة فقرة فقرة بهدوء . يعيد قراءة القطعة ليتسنى لمن فاتته سماع بعض الكلمات أن يكتبها. تجمع الدفاتر، وتصحح .

- المستوى الثاني : إختبار قدرة التلاميذ في كتابة مفردات تدريبوا عليها من قبل تهيئة التلاميذ . قراءة القطعة على التلاميذ. اختبار ما فهموه من معنى القطعة بطرح أسئلة عامة على مضمونها . إملاء القطعة بصوت واضح . إعادة قراءتها ثانية . جمع الدفاتر وتصحيحها .

طرق تصحيح الأخطاء الإملائية:

هنالك ثلاث طرق لتصحيح الأخطاء الإملائية :

الطريقة الأولى : وفيها يصحح التلميذ دفتره بنفسه، فإذا كانت القطعة موجودة في الكتاب يخرج كتابه، ويقارن بين كتابته وبين ما ورد في الكتاب، ويضع خطأً تحت أخطائه ويدون عددها^١ وإذا كانت القطعة من خارج الكتاب، فعلى المعلم أن يكتبها على اللوح أو على لوحة إضافية، ليصحح التلميذ دفتره بالطريقة السابقة. ومن حسنات هذه الطريقة أنها تشعر التلميذ بشيء من الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية.

(١) وليد جابر، المدرسة العربية www.schoolarabia.net

وقد يأخذ البعض عليها أن التلميذ قد لا تقع عينه على خطئه، أو أنه يصحح الأخطاء التي وقع فيها.

الطريقة الثانية : أن يصحح التلميذ دفتر غيره من التلاميذ ، ويسير فيها التلاميذ على خطى الطريقة الأولى ذاتها.

ومن مزايا هذه الطريقة أنها تشعر التلميذ بتحمل المسؤولية وأنه موضع ثقة من معلمه.

ويمكن أن يؤخذ على هذه الطريقة، ما أخذ على الأولى من حيث عدم قدرة بعضهم على رؤية الخطأ، أو لجوء بعضهم إلى تخطئه منافس له بزيادة حرف أو إنقاصه، ولكن الفوائد تظل فيها أكثر من المآخذ.

الطريقة الثالثة : تصحيح المعلم للدفاتر:

والمعلم مطالب بالمشاركة في تصحيح الدفاتر، كما وأنه لا يعفى من المشاركة في الطريقتين الأولىين، إذ يجب أن يطلع على بعض الدفاتر في كل مرة يصحح فيها الطلاب الدفاتر .

علامات الترقيم في الإملاء : ويقصد بها تلك الإشارات التي ترد أثناء الكتابة، وأهم هذه الإشارات: الفاصلة، النقطة والشرطة (.) وعلامتا الاعتراض [...] وإشارة التنصيص " ... " والقوسان (...) وعلامة السؤال والتعجب، والنقطتان بعد القول أو التفصيل .

وكذلك الضوابط وهي الحركات الثلاث والتونين، وهمزتا الوصل والقطع والشدة والسكون .

هذا ويجب أن يتدرج المعلم في تدريب تلاميذه منذ المرحلة الابتدائية على استعمال ما يستطيعون استعماله منها أثناء النسخ والإملاء ، ثم يدرّبهم في المرحلة الابتدائية العليا على علامات أخرى بحيث يكون التلاميذ في نهاية هذه المرحلة قادرين على استعمال الضوابط، واستعمال النقطة والفاصلة وعلامتي السؤال والتعجب^١.

(١) وليد حابر، المرجع السابق

وفي المرحلة الإعدادية والثانوية يركز المعلم على استعمال الضوابط والعلامات السابقة بالإضافة إلى إشارة التنصيص، والقول، والشرطة، وإشارتي الجملة المعترضة، وإشارة الحذف وغيرها .

الضعف في الإملاء وبعض طرق علاجه :

يحسن بمعلم اللغة أن يجري في بداية العام الدراسي اختباراً تحصيلياً لكل نشاط من الأنشطة اللغوية، يستطيع من خلاله الوقوف على مستوى تلاميذه، كما يساعده هذا الاختبار في وضع خطة لعلاج التلاميذ الذين يحتاجون إلى علاج .

ونلاحظ أن بعض طلاب وطالبات كليات المعلمين يخطئون أخطاء عجيبة في رسم بعض الكلمات أذكر منها : طريقة رسم الهمزة في مواقعها المختلفة من الكلمة، الخلط بين كتابة الألف القائمة والألف التي على صورة الياء، والتاء المربوطة والمفتوحة، وهمزتا الوصل والقطع وكتابة واو الجماعة، وزيادة الهمزة على الألف (أل) التعريف المتصلة بحرف (الباء) وغير ذلك كثير . وكثيراً ما يكون مثل هذا الضعف مجلوباً من المرحلة الابتدائية، حيث لم يلتفت إليه المعلم وقد يتراكم من بعد في المرحلة التالية ليصبح علاجه غير يسير .

وهناك وسائل يمكن أن تتبع مع التلاميذ في المرحلة الابتدائية ليعالج بها مثل

هذا الضعف في هذه المرحلة

الوسيلة الأولى : وتعتمد على حب التلميذ للجمع والاقتناء في هذه المرحلة، وتسمى "طريقة الجمع" حيث يطلب المعلم إليهم جمع مفردات على أشكال مخصوصة من مثل: جمع مفردات تنتهي بتتوين الفتح أو الكسر أو الضم، أو كلمات تنتهي بالهمزة أو تبدأ بها، أو كلمات تنتهي بالتاء المربوطة أو المفتوحة. ثم يطلب منهم قراءتها والتدرب على كتابتها. وقد يطلب إليهم جمع جمل تحتوي على مثل

القضايا الإملائية السابقة، ويدربهم من خلالها على القراءة الصامتة والهجيرية والتعبير بالإضافة إلى الإملاء والخط.^١

الوسيلة الثانية : البطاقات الهجائية وهي نوعان:

١. بطاقات يكتب عليها عدد كبير من الكلمات الهجائية التي تعالج كلها قاعدة إملائية واحدة، كأن تشمل بطاقة منها على عدد كبير من الكلمات التي تكتب فيها الهمزة على نبرة ، وبطاقة أخرى تشمل عدداً كبيراً من الكلمات التي تنتهي بهمزة مكتوبة فوق آخرها مباشرة ، وبطاقة ثالثة فيها كلمات عديدة تحتوي على المدة وطريقة رسمها .

٢. بطاقات تحتوي على قصة قصيرة، أو موضوع ظريف، تحذف بعض كلماته التي تشكل صعوبة إملائية ويترك فارغاً، وتوضع الكلمات في مكان تحت القصة أو فوقها، ويطلب إلى التلميذ أن يقرأ القصة أو الموضوع، بحيث يتمم المعنى بالمفردات الموجودة في ركن معين . ومن ثم يطلب إليه أن يكتب القصة على دفتره بالطريقة ذاتها التي قرأها بها.

ويحسن بالمعلم أن يتثبت من مستوى أداء تلاميذه في الإملاء في فترات زمنية غير متباعدة كثيراً بقصد تشخيص أخطائهم ووضع خطة علاجية لمن يحتاجون إليها. كما أنه يستطيع أن يفيد من التلاميذ الأقوياء في تدريب الضعفاء على الإملاء خارج الصف ، مع ضرورة إشراف وإرشاد المعلم .

ويستطيع كذلك أن يتصل بأولياء أمور التلاميذ الضعاف، ليرشد أولياء الأمور إلى طرائق الاستفادة . من الأخوة الكبار أو الأقارب في حل المشكلة.^٢

(١) المرجع السابق

(٢) أ. وليد جابر، المدرسة العربية www.schoolarabia.net

المبحث الخامس

إجراءات الدراسة الميدانية

أولاً: منهج الدراسة: استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع البيانات حول ظاهرة معينة، وبيان إمكانية توضيح موضوع الدراسة وتصنيفها وتحليلها ثم تفسيرها.

ثانياً: وصف مجتمع الدراسة:

التعريف به: يشمل مجتمع الدراسة طلاب المستوى الأول بجامعة كتسينا نيجيريا وهؤلاء الطلاب يتخصصون في اللغة العربية .

ثالثاً: عينة الدراسة: شملت عينة الدراسة ثلاثين مفعوصاً.

وصف أدوات البحث:

• أدوات الدراسة. قطعة إملائية : النصّ بعنوان: الصبي الفصيح.

التطبيق الإجرائي للاختبار: لقد حصلت الباحثة على هذه المادة من خلال قطعة

إملائية كتبها للطلاب بعنوان: الصبي الفصيح .حيث قامت بتحليل الأخطاء

الواردة في كراساتهم التي تشتمل على الأخطاء الإملائية.

تحليل الأخطاء الإملائية لدى الطلاب المستوى الأول

بجامعة كتسينا نيجيريا

تناولت هذه الدراسة في هذا القسم الأخطاء الإملائية التي وقع بها طلاب المستوى الأول بجامعة كتسينا نيجيريا.

جداول الأخطاء المشتركة بين الطلاب:

أولاً: الأخطاء الصوتية التي وردت في كتابات الطلاب:

أ- الصوائت

الخطأ	تصويب الخطأ	توصيف الخطأ
قحطت	قحطت	إطالة صائت قصير
ولقد شرفاني	ولقد شرفني	" " "
فعلاما	فعلام	" " "
فعلاما	فعلام	" " "
فعلم	فعلام	قصر صائت طويل
فعلم	فعلام	" " "
فدخلو	فدخل	" " "
أحجمو دونه	أحجموا دونه	" " "
فدخلو عليه	فدخلوا عليه	" " "
أصبتنا	أصابتنا	" " "
أذبت الشحم	أذابت الشحم	" " "
سنة أذبت	سنة أذابت	" " "
سنة أذبت الشحم	سنة أذابت الشحم	" " "
سنة أذبت الشحم	سنة أذابت الشحم	" " "
سنة أذبت الشحم	سنة أذابت الشحم	" " "
تحبسناها	تحبسونها	" " "

ب- الصوامت :

الخطأ	تصويب الخطأ	توصيف الخطأ
فعلام تحبسوها	فعلام تحبسونها	حذف الصامت / ن /
إنّ دخول	إنّ دخولي	حذف الصامت / ي /
انشر	فانشر	" " / ف /
إلا نشره	إلا بنشره	" " / ب /
قحط	قحطت	" " / ت /
فأجبه	فأعجبه	" " / ع /
وأجبه كلامه	وأعجبه كلامه	" " "
الصبيات	الصبيان	استعمال الصامت / ت / بدلاً عن / ن /
لم يخل نك	لم يخل بك	" " / ن / بدلاً عن / ب /
الصبي العصيح	الصبي الفصيح	" " / ع / بدلاً عن / ف /
وفي أيديكم فضول أموال	وفي أيديكم فضول أموال	" / ص / بدلاً عن / ض /
فقال لحاجمه	فقال لحاجبه	" / م / " / ب /
إباد الله	عباد الله	إبدال الصامت / ع / بالصامت / ا /
إباد الله المستحقين	عباد الله المستحقين	" " "
أربع أشرة سنة	أربع عشرة سنة	" " / ع / " / ا /
وسنة دقت الأظم	وسنة دقت العظم	" " "
فألام	فعلام	" " "
فألام	فعلام	" " "
سنة عذابت الشحم	سنة أذابت الشحم	إبدال الصامت / أ /

بالصامت / ع /		
سنة دقت الأزم	وسنة دقت العظم	" " /ظ/ " /ز/
سنة أذابت الشهم	سنة أذابت الشحم	إبدال الصامت /ح/ بالصامت /ه/
عباد الله المستحقين	عباد الله المستحقين	" /س/ " /ص/
لرعضائهم	لرؤسائهم	" /ؤ/ " /ع/
سلاث سنين	ثلاث سنين	" /ث/ " /س/
في أيام هشام	في أيام هشام	" /ح/ " /ه/
فجلس هشام	فجلس هشام	" " "
أهجموا	أحجموا	" " "
فجلس هشام	فجلس هشام	إبدال الصامت /ح/ بالصامت /ه/
فقال لهاجبه	فقال لحاجبه	" " "
أن يسلم إليّ	أن يصل إليّ	إبدال الصامت /ص/ بالصامت /س/
إلاّ وسل	إلاّ وصل	" " "
السبي الفصيح	الصبي الفصيح	" " "
والصكوت طي	والسكوت طي	" " "
ولا يضيع أجر المحسنين	ولا يضيع أجر المحسنين	" /ر/ " /ز/
والسكوت طي	والسكوت طي	" /ي/ " /اي/
عصابتا	أصابتا	" /أ/ " /ع/
حد الصبيان	حتى الصبيان	توهم صوت غير موجود
ولا يطيع أجر	ولا يضيع أجر المحسنين	" " "

		المحسنين
" "	قطحت البادية	قطة البادية
" "	لم يخل	لم يكفل
" "	أذابت الشحم	أذابت الشحن
" "	قطحت البادية	قفت البادية
" "	لا أبا لك	لا أبارك
" "	فضول أموال	كحول أموال
" "	فعلام تحبسونها	فعلام تحسدونها
" "	فعلام تحبسونها	فعلام تخصمونها
" "	والسكوت طي	والسكوت طير
" "	الصبي الفصيح	الصبي البسيط

ثانياً: الأخطاء في همزتي الوصل والقطع التي وردت في كتابة الطلاب:

توصيف الخطأ	تصويب الخطأ	الخطأ
إهمال همزة القطع	من أحياء القبائل	من احياء القبائل
" "	من أحياء القبائل	من احياء القبائل
" "	في أيام هشام	في ايام هشام
" "	وان الكلام	وان الكلام
" "	وأعجبه كلامه	واعجبه كلامه
" "	وسنة أكلت اللحم	وسنة اكلت اللحم

ثالثاً: الأخطاء النحوية التي وردت في كتابات الطلاب:

الخطأ	تصويب الخطأ	توصيف الخطأ
لم يخل بك شيئاً	لم يخل بك شيئاً	خطأ في كتابة التتوين النصب
لم يخل بك شيئ	لم يخل بك شيئاً	" " "
لم يخل بك شيئ	لم يخل بك شيئاً	" " "
لم يخل بك شيئ	لم يخل بك شيئاً	" " "
لم يخل بك شيئ	لم يخل بك شيئاً	" " "
لم يخل بك شيئ	لم يخل بك شيئاً	" " "
لم يخل بك شيئاً	لم يخل بك شيئاً	" " "

رابعاً: الأخطاء النحوية في التعريف والتنكير التي وردت في كتابات الطلاب:

الخطأ	تصويب الخطأ	توصيف الخطأ
يا أمير مؤمنين	يا أمير المؤمنين	تتكبير ما يقتضي السياق تعريفه
يا أمير مؤمنين	يا أمير المؤمنين	" " "
يا أمير مؤمنين	يا أمير المؤمنين	" " "
حتى صبيان	حتى الصبيان	" " "
وسكوت طي	والسكوت طي	" " "
في أيام الهشام بن عبد الملك	في أيام هشام بن عبد الملك	تعريف ما يقتضي السياق تتكبيره
وأعجبه الكلامه	وأعجبه كلامه	" " "
أيام الهشام	أيام هشام	" " "
قطحت بادية	قطحت البادية	" " "

خامساً: الأخطاء في الهمزات التي وردت في كتابات الطلاب:

الخطأ	تصويب الخطأ	توصيف الخطأ
لرئسائهم	لرؤسائهم	كتابة الهمزة على النبرة بدلا من الواو
لرئسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرئسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرئسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	كتابة الهمزة على الألف بدلا من الواو
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "
لرأسائهم	لرؤسائهم	" " "

تصنيف الأخطاء اللغوية لدى الطلاب:

جدول يوضح تكرارات الأخطاء الإملائية المرصودة من خلال تصحيح أوراق الإملاء:

النسبة المئوية	التكرار	نوع الأخطاء
٪٦٠	٦٠	الأخطاء الصوتية
٪١٤	١٤	الأخطاء في الهمزات
٪١٠	١٠	الأخطاء في التعريف والتكبير
٪٧	٧	الأخطاء في التتوين
٪٦	٦	الأخطاء في همزتي الوصل والقطع
٪٩٧	٩٧	المجموع

بالنظر إلى الجدول أعلاه نجد أن الأخطاء الصوتية أكثر شيوعاً، ثم الأخطاء في الهمزات ، يليها الأخطاء في التعريف والتكبير، والتتوين ، وأخيراً الأخطاء همزتا الوصل والقطع. وهذا مما يدل على الصعوبات التي يواجهها الطلاب عند كتابة الإملاء، وأرى هذا ناتج من الضعف في الأداء اللغوي للطلاب مردّه للتعليم الناقص.

تفسير الأخطاء الإملائية الواردة في كتابات الطلاب وعلاجها:

أولاً: الأخطاء الصوتية: لاحظت الباحثة أن الأخطاء الصوتية التي وقع فيها الطلاب كثيرة، وأكثر الأخطاء شيوعاً هي إبدال صامت بآخر، وهذا ناتج عن اختلاف اللغة الأم عن لغة المتعلم أو ما يسمّى بالتداخل اللغوي؛ إذ أن الكثير من أصوات اللغة العربية غير موجودة في اللغة الأم (الهوسا) التي يتحدث بها الطلاب مثل: ث /، ذ /، ح /، خ /، ص /، ض /، ظ /، ع /.

وهذا يجعل الطلاب يستبدلون هذه الأصوات بحروف مشابهة لها في اللغة الأم. وأيضاً ربما يرجع ذلك إلى طبيعة اللغة العربية ذاتها حيث تمتلك الأصوات الحلقية والمطبقة، وهذه الأصوات تكون صعبة بالنسبة لهم، فيلجأ الطالب إلى استعمال حروف أسهل في النطق، مثلاً: ينطقون هذه الأصوات.

أ - /ص /، /ث / سينا.

ب - وصوت /ع / همزة

ج - وصوت /خ / و /ح / هاء

د - وصوت /ذ / . / ز /

ويعالج هذا الأمر عن طريق العناية من قبل المعلمين وذلك بتكثيف دروس وتدريبات الاستماع ومراعاة النطق السليم لهذه الأصوات والتدريب عليها حتى يتقنها المتعلمون نطقاً وكتابة.

ثانياً: الأخطاء في الهمزات: كانت الأخطاء في الهمزات متنوعة، فبعض الطلاب كتبوا الهمزات على الألف بدلاً من الواو، أو على النبرة بدلاً من الألف.

وربما يرجع ذلك إلى أن معظم المعلمين لا يهتمون بتصحيح كتابات الطلاب بالطريقة الصحيحة التي تعلم الطالب أين الخطأ حتى يستطيع أن يتحاشاه المرات القادمة.

وأيضاً من الأسباب تدخل اللغة الأم وعدم استيعاب الطلاب لقاعدة كتابة الهمزات وعدم تدريبهم بشكل كاف على مثل هذه القواعد، وعدم التركيز على القواعد النحوية لأن الخطأ الإملائي غالباً ما يكون سببه الخطأ النحوي.^١ ويمكن معالجة هذه الأخطاء عن طريق تبسيط قاعدة الهمزات حتى يستطيع الطالب استيعابها جيداً، وأن يدرّبوا المعلمين حتى لا يقعوا في مثل هذه الأخطاء.

ثالثاً: الأخطاء النحوية: ومن الأخطاء التي وقع فيها الطلاب في التتوين، وربما يرجع السبب في ذلك أن الطلاب لم يستوعبوا قاعدة التتوين بشكل جيد. والمدرسين لا يركزون على هذه القاعدة و يحتاجون إلى وقت كاف وتدريب جيد لاستيعابها، وتعالج عن طريق:

١. الاهتمام عند تصحيح الإملاء .

٢. تعويد الطلاب على أن التتوين وهو شيء مهم .

٣. إعطاء التدريبات الكافية.

رابعاً: التعريف والتذكير: إن مشكلة التعريف والتذكير تشكل جانباً مهماً بالنسبة لمتعلمي اللغة العربية، وهذا الخطأ ناجم عن التدخل اللغوي من اللغة الأم في اللغة الهدف أو نقل الخبرة منها وإليها.

كما أن للمعلم دوراً كبيراً في هذه الأخطاء حين لا يركز على هذه القواعد بشكل جيد لأنها بالنسبة له أشياء بسيطة. وقد لا يعطيها المقرر حقها الكافي في التدريبات.

ويمكن علاج هذه الأخطاء عن طريق :

١. جمع أدوات التعريف في جدول مع الأمثلة ثم عرضها للطلاب.

٢. ربط كل حصة بهذه القاعدة وإعطاء التدريبات.

(١) نورقل كارهان، تحليل الأخطاء الإملائية لدى الطالبات التركيات في معهد اللغة بجامعة إفريقيا العالمية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد الخرطوم الدولي للغة العربية . ص / ١٧٧-١٧٩ (بتصرف)

خامساً: الأخطاء في همزتي الوصل والقطع: لاحظت الباحثة أن هناك أخطاء في همزتي الوصل والقطع، وهذه الظاهرة يقع فيها كثير من الطلاب وخاصة إهمال همزة القطع، وكان شائعاً جداً بين الطلاب. والسبب في ذلك عدم تدريب الطلاب هذه القاعدة بشكل جيد، والطلاب يكتب كما يسمع، والخلط بين همزتي الوصل والقطع بحيث لا يفرق بينهما في الكتابة. ويمكن معالجتها عن طريق:

1. التركيز على قاعدة همزتي الوصل والقطع واستعمال كل منها.
2. الاهتمام بكتابة الطلاب وتصحيحها بطريقة واضحة تجعل الطالب يدرك خطأه ويميزه، من خلال التصويب بين الهمزتين.
3. التركيز على القواعد النحوية لأن الخطأ الإملائي غالباً ما يكون سببه الخطأ النحوي.¹

(1) ورقل كارهان، تحليل الأخطاء الإملائية لدى الطالبات التركيات في معهد اللغة بجامعة إفريقيا العالمية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد الخرطوم الدولي للغة العربية . ص / ١٧٧-١٧٩ (بتصرف)

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

بعد أن قامت الباحثة بتحليل أخطاء الطلاب، وأضافت الأسباب الكامنة وراء شيوع هذه الأخطاء التي وردت في كتابات الفئة المستهدفة حصلت النتائج التالية:

١. تداخل اللغة الأم مع اللغة العربية أدى إلى وجود أخطاء في كتابات الطلاب في الإملاء العربي.

٢. صعوبة اللغة العربية لدى الطلاب المستهدفين أدت إلى وقوعهم في الأخطاء الكتابية.

٣. عدم الاهتمام بتدريب معلمي اللغة العربية أدى إلى وقوع الطلاب في الأخطاء في الكتابة.

٤. غياب الأنشطة غير الصفية التي تساعد على اكتساب وتثبيت مهارات اللغة التي تعينهم على تلافي الوقوع في الأخطاء الإملائية.

بناءً على ذلك تقدم الباحثة التوصيات التالية:

١. الاهتمام بإعداد المعلمين وتدريبهم على طرق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢. الاهتمام بتحسين بيئة قسم اللغة العربية في الجامعة وإعداد وسائل تعليمية حديثة التي تساعد المعلمين على إيصال هذه اللغة.

٣. عدم اقتصر التصحيح على درس الإملاء فقط ، ومراعاة الأخطاء الإملائية في جميع الدروس.

المراجع:

- القرآن الكريم
١. آدم عبد الله الإلوري. الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني طبعة الثالثة (١٩٧٨م).
 ٢. آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، دار العربية بيروت لبنان، ط:٣.
 ٣. ثريا حسن محمد صالح، المشكلات الكتابية لدى الناطقين بغير العربية، ب ط، ٢٠١٤م.
 ٤. عبد الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية.
 ٥. حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ط ٣، الدار المصرفية اللبنانية للنشر.
 ٦. عمر الصديق عبد الله، تحليل الأخطاء اللغوية التحريرية لدى طلاب معهد الخرطوم الدولي للغة العربية الناطقين باللغات الأخرى، الخرطوم:معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ٢٠٠٠م
 ٧. شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية(١٩٩٣م)
 ٨. رشدي أحمد طعيمة : تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مناهجه وأساليبه، ط١، منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة - إيسسكو - الرباط ، ١٩٨٩م
 ٩. محمد جلال عباس. اللغة العربية في إفريقيا. الدارة، ع:١، س/٩ (١٤٠٣م)

تحليل الأخطاء الإملائية لدى طلاب المستوى الأول بجامعة كتسينا نيجيريا

١٠. محمود إسماعيل صيني وإسحاق محمد الأمين: تعريب وتحرير: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، ط١، المملكة العربية السعودية، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م،
١١. نورقل كارهان، تحليل الأخطاء الإملائية لدى الطالبات التركيات في معهد اللغة بجامعة إفريقيا العالمية، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى معهد الخرطوم الدولي للغة العربية والثقافة. ٢٠٠٧م
١٢. مسعد محمد إبراهيم حليبة، المحاضرة الثانية عشرة في مفهوم الإملاء،
Uqu.edu.sa/page/ar/121409
١٣. وليد جابر، مفهوم الإملاء، المدرسة العربية www.schoolarabia.net

مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لمرضى اختلال وظائف الغدة الدرقية

(دراسة على المرضى المترددين على بعض المراكز العلاجية بولاية الجزيرة- السودان)

- د. سحر حسن علي حامد^(١) - أ.د. أحمد محمد الحسن شنان^(٢)
- أ.د. شمس الدين زين العابدين^(٣)

(١) - أستاذ مساعد، جامعة الجزيرة كلية التربية - حنتوب، قسم علم النفس التطبيقي.
(٢) - أستاذ جامعة الجزيرة كلية التربية - حنتوب، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.
(٣) - أستاذ، جامعة الخرطوم، كلية الآداب.

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لمرضى اختلال الغدة الدرقية، والتعرف على الفرق بين متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لكل من النوع والعمر للمرضى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في ولاية الجزيرة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (١٨٤) مريضاً؛ (١٥) من الذكور و(١٦٩) من الإناث أخذت عن طريق العينة المقصودة، من أدوات الدراسة: قياس وظائف الغدة الدرقية: قياس الثيروترونين (قياس تركيز الهرمون المحفز للغدة الدرقية) بالإضافة إلى قياسات ثلاثي أيودو الثيرونين والثيروكسين، ومقياس التوافق النفسي الاجتماعي له يوم بل نسخة معدلة مصغرة بواسطة الباحثين وتم تحليل البيانات إحصائياً باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)؛ كاختبار كآي، اختبار "ت"، أسلوب التباين الأحادي، متوسط أقل الفروق، كذلك استخدمت النسب المئوية. أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أنه توجد علاقة دالة إحصائياً بين مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي ومستويات الاختلال في هرمون الغدة الدرقية، كما بينت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في مستوى هرمون الغدة الدرقية في الفئات العمرية {لصالح الفئة العمرية من (٥٧-٦٧)} كما أن النتائج لم توضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في مستوى هرمون الغدة الدرقية تبعاً للنوع ولم توضح فروق في مستويات الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (الزيادة/ النقصان)، توصي الدراسة بالاهتمام بالجوانب النفسية لدى مرضى الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية.

Abstract

This study aims to investigate the relationship between thyroid gland disturbances and problems of psychosocial Adjustment. And to examine the average rate differences of psychosocial adjustment in terms of gender and age of the patients who have disturbances in the secretion of thyroid hormone in Gezira State. The descriptive method was adopted in this study. The study sample consisted of (184) patients (male and female) who were purposively selected. The measurement of thyroid functions were applied to collect data and a brief-modified copy of Hugh. M .Bell, Psychosocial Adjustment Scale, The data analyzed by (SPSS). The results showed that there was statistically significant correlation between the secretion of thyroid hormone disturbances and psychosocial adjustment. In addition, there were statistically significant differences in the average of psychosocial adjustment among the patients who have disturbances in the secretion of thyroid hormone for the variable of age {in favor of age category 57-76 years}, The study showed that there were no statistically significant differences in the average of psychosocial adjustment for the patients who have disturbances in the secretion of thyroid hormone as for gender and in the levels of thyroid secretion (hypo/hyper). The study recommend psychological care for the patients of thyroid Hormones secretion disturbances.

لقد تم الاعتراف بالعوامل النفسية على نحو متزايد كمحددات للنجاح في الإجراءات الصحية والاجتماعية ، وأصبح من المقبول أن البرامج التي تستهدف الوقاية من الأمراض وتعزيز الصحة يجب أن تعتمد على تفهم الحالة النفسية للأفراد. كما أن لضغوط الحياة دوراً مهماً في حدوث وزيادة حدة الأمراض بينما يمكن لعامل الشخصية أن يزيد أو يقلل القابلية لهذه الأمراض ويزيد من المضاعفات النفسية للأمراض العضوية (عبد الله، ٢٠٠٨: ٣٩). فالضغوط الحياتية المختلفة التي قد تواجه الفرد في مراحل حياته من مشكلات اقتصادية، دراسية، أسرية، نفسية، فكرية عقائدية أو غيرها من الضغوط التي تختلف في حجمها ونوعها وشدتها تؤثر في صحة الفرد الجسمية، فالمرض الجسيمي تتداخل فيه العوامل البيولوجية، والعوامل النفسية والعوامل الاجتماعية (اليعسوي، ٢٠٠٦: ٢٠٩). وقد أوضح عبد الخالق (٢٠٠٨: ٢٨) أن الحالة الجسدية الصحية تؤثر في توافق الشخص سلباً أو إيجاباً، فكثير من الأفراد يمرضون بشكل متكرر أكثر من غيرهم ويشفون من مرضهم بمعدل أبطأ من الآخرين، وهذه الفروق بينهم يمكن أن تنشأ عن أسباب طبية حيوية كالاختلافات الفسيولوجية، إلا أن العوامل النفسية والاجتماعية تلعب دوراً أيضاً، وتؤثر في الفرد بدرجة كبيرة. ومن الأمراض الجسمية التي تؤثر في الصحة النفسية للفرد اختلال هرمون الغدة الدرقية التي تتحكم في نشاط الجسم بصورة عامة بإفرازها لهرمون الثيروكسين (الدرقين) "Thyroxin - T4" المصنع بشكل أساسي من مادة اليود، ويزداد نشاط الغدة الدرقية لرفع نسبة الاحتراق العام بالجسم عند الانفعال، لذلك إذا زادت حدة الانفعال أو طالت مدته أصيبت الغدة الصماء النشطة باختلال في إفرازها بمضاعفته (دويدار، ٢٠٠٩: ٢٨٨). و أوضحت كثير من الدراسات انتشار اختلال الغدة الدرقية في السودان بصورة عامة وفي ولاية الجزيرة بصورة خاصة منها دراسة عثمان (٢٠٠٢) التي أكدت أن انتشار اختلال الغدة الدرقية بلغ (٧٧٪)، كما أكدت على انتشاره في كل الفئات العمرية.

تتحكم الغدة الدرقية في عمليات الاستقلاب (العمليات الكيميائية الحيوية)، فعندما تطلق هذه الهرمونات في تيار الدم فإن الخلايا تزيد من معدل سرعتها في تحويل الأكسجين والمواد الغذائية إلى طاقة وحرارة لازمتين للجسم، ولكن إذا زاد معدل الإفراز أو نقص عن المعدل الطبيعي فإنه يؤدي إلى اختلال في وظائف الجسم وتظهر أعراض فسيولوجية ونفسية، مما قاد الباحثين لإجراء دراسة لمعرفة أثر اختلال هرمون الغدة الدرقية في التوافق النفسي الاجتماعي للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة.

تتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي:

- هل هنالك علاقة بين اختلال إفراز هرمون الغدة الدرقية ومشكلات التوافق النفسي الاجتماعي للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة؟ وتتضرع منه الأسئلة التالية:

١. هل توجد فروق دالة إحصائية في مستويات الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة/ نقصان) للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة؟
٢. هل توجد فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير النوع (ذكر/ أنثى)؟
٣. هل توجد فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير العمر (١١-٢٢، ٢٣-٣٢، ٣٣-٤٣، ٤٤-٥٤، ٥٥-٦٦، ٦٥- فأكثر)؟

٣-١. أهمية الدراسة: تتبع أهمية الدراسة من أهمية الفئة المستهدفة وهم مرضى اختلال وظائف هرمون الغدة الدرقية، وتتلخص أهمية الدراسة في الآتي:

١-٣-١. اهتمت الدراسة بالنظرة الشمولية للفرد كوحدة (نفسية جسدية) اتساقاً على ما ذهب إليه العلوم الطبية النفسية الحديثة، وذلك بالبحث عن مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي ومعرفة العلاقة بينها وبين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية؛ مما يتيح للباحثين والعاملين في المجال من تضاوي هذه المشكلات.

١-٣-٢. تفتح الدراسة آفاقاً أوسع أمام الباحثين للقيام ببحوث مماثلة في المجال نفسه.

٤-١. أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى الآتي:

١-٤-١. التعرف على العلاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية ومشكلات التوافق النفسي الاجتماعي، والعلاقة بين مستويات الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة/ نقصان).

١-٤-٢. التعرف على الفرق بين متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لكل من: النوع، والعمر للمرضى المصابين باختلال في مستوى هرمون الغدة الدرقية.

٥-١. فرضيات الدراسة:

١-٥-١. توجد علاقة دالة إحصائية بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية ومشكلات التوافق النفسي الاجتماعي للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة.

١-٥-٢. توجد فروق دالة إحصائية في مستويات الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة/ نقصان) للمرضى المترددين على المراكز العلاجية

بولاية الجزيرة.

٣-٥-١. توجد فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير النوع (ذكر / أنثى).

٤-٥-١. توجد فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير العمر.

٦-١. حدود الدراسة: أجريت هذه الدراسة بولاية الجزيرة محلية مدني الكبرى حيث اقتصرت على المرضى المترددين على المراكز العلاجية والذين يعانون من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في الفترة من ٢٠١٠-٢٠١١ م.

٧-١. مصطلحات الدراسة:

مرضى الغدة الدرقية: هم المرضى الذين يعانون من اختلال في وظائف هرمون الغدة الدرقية، وهي إحدى الغدد المهمة في جسم الإنسان عبارة عن عضو صغير يشبه الفراشة تقع أسفل الجزء الأمامي للرقبة أمام القصبة الهوائية، وزنها حوالي ٢٠ جرام، وتفرز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر اختلاله في الجسم بصورة عامة ويؤدي إلى الكثير من المشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية.

يتبنى الباحثون التعريف الإجرائي في هذه الدراسة لمرضى الغدة الدرقية من خلال درجة الاختلال في مقاييس وظائف إفراز هرمون الغدة الدرقية الآتية: الثيروكسين و ثالث يود الثيرونين والهرمون المحفز للغدة الدرقية (الثيوترونين).

التوافق النفسي الاجتماعي: يعرفه زهران (٢٠٠١:٢٧) بأنه عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة (الطبيعية والاجتماعية) بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته، وهذا التوازن يتضمن إشباع حاجات الفرد وتحقيق متطلبات البيئة.

التعريف الإجرائي للتوافق النفسي الاجتماعي في الدراسة الحالية هو الدرجة التي يتحصل عليها الفرد في مقياس التوافق النفسي الاجتماعي؛ النسخة المصغرة والمعدلة بواسطة الباحثين.

المراكز العلاجية: يقصد بها المؤسسات التي يتلقى فيها المرضى العلاج، والمراكز العلاجية المعنية في الدراسة الحالية هي مركز الشهيد المشير الزبير محمد صالح ومعمل جامعة الجزيرة والمعهد القومي للسرطان (الطب النووي سابقاً)، ورغم وجود هذه المؤسسات بمحلية ود مدني الكبرى إلا أنها تخدم جميع محليات ولاية الجزيرة.

٢- الإطار النظري للدراسة

٢-١- التوافق النفسي: تدور دلالة التوافق (Adjustment) في اللغة حول عدة معاني متقاربة، فالأصل الثلاثي "وفق" كما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٩٩٩:٦٤٠) أن الواو والفاء والقاف كلمة تدل على ملاءمة الشئئين، منه الوفق، الموافقة، واتفق الشئان: تقاربا وتلاءما، ووافقت فلاناً صادقته، كأنهما اجتماعا متوافقين، وقد جاء في لسان العرب (٣٨٢) لأبي الفضل عدداً من مشتقات مادة "وفق" تدل على معنى الملاءمة والمصاحبة، قال: الإتفاق والتظاهر. وفق الشيء ما لاءمه، وقد وافقه موافقة ووافقاً واتفق معه توافقاً. ونقول هذا وفق ووافقه وفاقه وفاقه وسبه وعدله واحد.

و ذهبت معاجم اللغة الحديثة إلى ذات الدلالات والاشتقاقات لهذه المادة وزادت عليها بعض الاستعمالات الحديثة مما يتوافق مع المفهوم الذي نريده، فقد جاء في المعجم الوسيط: "التوافق في الفلسفة: أن يسلك المرء مسلك الجماعة ويتجنب ما عنده من شذوذ في الخلق والسلوك" وأشار إلى أن هذا المصطلح مما أجاز استعماله مجمع اللغة العربية في القاهرة، فالتوافق يعني تعديل الاتجاهات والسلوك لكي توفى بمطالب الحياة بشكل فعال مثل إقامة علاقات شخصية بناءة مع الآخرين والتعامل الكفاء مع المواقف الصعبة والضاغطة والتعامل مع المشكلات، وتحمل المسؤوليات وتحقيق الحاجات والأهداف الشخصية، كما عرف الخالدي (٢٠٠٢:٨٩) التوافق بأنه وسيلة الإنسان لتحقيق غاياته وإشباع دوافعه من خلال تفاعله المرن مع مطالب الحياة المتغيرة، كما يضع الإنسان نفسه في موضع أقرب إلى التوازن حتى يكفل لنفسه البقاء البيولوجي والنفسي المناسب حيث أن مجالات التوافق متعددة، كما يرى الخالدي أن التوافق الشخصي مجموعة من الاستجابات المختلفة التي تدل على تمتع الفرد وشعوره بالأمن الشخصي، كما يتمثل في اعتماده على نفسه وأحاسيسه بقيمته وشعوره بالجدية في توجيه السلوك.

و أكد طه (٢٠٠١:٦٧) أن مفهوم التوافق يشير إلى عملية التفاعل بين الفرد بما لديه من حاجات وإمكانيات وبين البيئة بما فيها من خصائص ومتطلبات، كما يستخدم ليشير إلى ما ينتهي إليه الفرد من حالة نفسية نتيجة قيامه بالاستجابات التكيفية المختلفة، ويضيف عبد الخالق (٢٠٠٠:٢٨) أن التوافق يقود الفرد إلى حالة السواء والصحة النفسية، والفشل في التوافق يقود إلى الأمراض النفسية والعقلية. أضاف حشمت وباهي (٢٠٠٦:٣٨) أن مفهوم التوافق النفسي لم يستقر بعد على تعريف محدد له فقد استخدم بمعان مختلفة كالتكيف في مجال العلوم البيولوجية أو التوافق في مجال الصحة النفسية أو العقلية، فالتعدد في مفهوم التوافق يرجع إلى تباين رؤية البعض له وكثرة استخدامه في كثير من ميادين الفكر الإنساني.

أضاف سفيان (٢٠٠٤) أن التوافق هو إشباع الفرد لحاجاته وتقبله لذاته واستمتاعه بحياة خالية من التوترات والصراعات والاضطرابات النفسية، واستمتاعه بعلاقات اجتماعية حميمة، ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية، وتقبله لعادات وتقاليد وقيم مجتمعه، كما أوضح الشرييني (٢٠٠١) أن اضطرابات التوافق تحدث نتيجة إلى التعرض للمواقف الضاغطة في الحياة، وتظهر علامات الاضطراب خلال ثلاثة أشهر من التعرض لهذه الضغوط في صورة اضطراب في الحياة الاجتماعية، العملية أو الدراسية، وتحدث في النساء أكثر من الرجال بنسبة ٢:١، وقد تكون مصحوبة بالقلق أو الاكتئاب، ويتضمن العلاج الوسائل النفسية.

و يعتقد الباحثون أن الإنسان دائماً يسعى من أجل إحداث التوافق الذي يعني القدرة على الاعتماد على النفس، وشعوره بقيمة ذاته، والخلو من الأمراض النفسية، والتحرر والانطواء وإقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين تتسم بقدرة الفرد على الحب والعطاء، وعلى القدرة على العمل المنتج الفعال الذي يجعل الفرد شخصاً نافعاً في محيطه الاجتماعي، ومواجهة جميع المواقف اليومية بمهارة وكفاءة، ومعالجتها بصورة إيجابية تتسجم مع قيم المجتمع السائدة وعاداته، مما يدل على أن التوافق مفهوم شامل

يرمز إلى حالة معينة من النضج يصل إليها الفرد، فالفرد وحدة جسمية نفسية اجتماعية لذا نلاحظ أن البناء البيولوجي يؤثر في الشخصية من ناحية تكوينها البيولوجي والاجتماعي.

اتجاهات التوافق: ينطوي مفهوم التوافق على عدة اتجاهات هي: الاتجاه النفسي "وهو القدرة على النظر إلى النفس بشكل واقعي وموضوعي، وتقبل نقاط القوة والضعف على حد سواء، والعمل على تنمية قدرات الفرد واستعداداته إلى أقصى حد يمكن من الوصول إليه وتحقيقه"، الاتجاه الاجتماعي "والذي ينظر إلى التوافق من خلال مظاهر السلوك الخارجي للفرد أو الجماعة، ويشير هذا الاتجاه إلى أن الفرد عادة يلجأ إلى الانقياد إلى الجماعة وإطاعة أوامرها لمقابلة متطلبات الحياة اليومية وتحقيق التوافق"، والاتجاه التكاملي الذي يجمع بين الاتجاهين السابقين "فهذا الاتجاه يؤكد تأزر المطالب البنائية الاجتماعية مع المطالب البنائية الشخصية، فالتوافق تفاعل مستمر بين الفرد والبيئة" بالإضافة إلى الاتجاه البيولوجي "الذي ينظر إلى الإنسان من خلال المفاهيم الفسيولوجية، ويُعرف التوافق من خلال هذا المنظور على أنه المحافظة على مستوى الاتزان الداخلي للجسم لدى الفرد عن طريق تعلم مجموعة من الأساليب التي تعمل على تخفيض حدة القلق واضطراب الجسم كلما زاد عن الحد المعلوم". (القذافي، ١١١-١١٢/١٩٩٨).

سوء التوافق: أوضح أحمد (١٩٩٩:٩) أن تحديد معنى السوي وغير السوي في المجال النفسي أو العقلي ينبني على الناحية الإحصائية؛ فالسوي يعني العادي بالنسبة إلى المعدل الإحصائي المثالي، أما غير السوي فهو غير المتوافق أو غير المتوازن نفسياً واجتماعياً في كافة النواحي، فالتعرف على السلوك غير السوي يتم من خلال المعايير الشائعة للسلوك على حسب المجتمع.

أورد المطيري (٢٠٠٥) أن سوء التوافق يرجع إلى عدم ملاءمة سلوك الفرد مع البيئة التي يحيا بها، وأن التكيف غير الناجح يطلق عليه سوء التوافق ويقصد به سوء التكيف مع البيئة المادية أو الوظيفية الاجتماعية وما يتبع ذلك من مضاعفات انفعالية

سلوكية، ويشير راجح (٢٠٠٢) إلى أن أسباب سوء التوافق ترجع إلى عوامل بيولوجية (كتلف في الجهاز العصبي أو الغددي) أو عوامل نفسية أو اجتماعية (كالصراعات الداخلية والخارجية التي تنجم عن الإحباط الشديد لحاجات الفرد الأساسية ودوافعه الحيوية)، فنتيجة لعجز الفرد عن إقامة هذا التوازن بينه وبين بيئته يحدث سوء التوافق أو اعتلال الصحة النفسية، وأكد عبد الغني (٢٠٠١) أن العوائق الجسدية التي تعيق الفرد عن المشاركة في نشاطاته اليومية تؤدي إلى سوء التوافق.

نظريات التوافق: تناولت النظريات المتعددة لعلم النفس مفهوم التوافق كأساس لتفسير علم النفس باعتبار أن علم النفس هو دراسة توافق الفرد أو عدم توافقه في جوانب شخصيته المختلفة، ونجد أن هذه النظريات تناولت هذا المفهوم بمختلف الرؤى، كل على حسب اتجاهه، من هذه النظريات:

- النظرية السلوكية: من مؤسسيها واطسون، تولمان، أسكندر وغيرهم ممن ساهموا في هذه المدرسة، ومن أهم تفسيراتها أن علم النفس يدرس السلوك الإنساني المتعلم، وأن التعلم هو الأساس في تفسير السلوك الإنساني، وأن أي سلوك يقع ما بين المثير والاستجابة، وأن سوء التوافق في المواقف الجديدة يحدث عند عدم قدرة الفرد على الاستجابة، وأن الانفعالات ما هي إلا استجابات جسمية لمثيرات معينة لمواقف بيئية، أن أصحاب المدرسة السلوكية يرون أن التوافق هو اكتساب الفرد مجموعة من العادات المناسبة والفعالة في معاملة الآخرين والتي سبق أن تعلمها الفرد وأدت إلى خفض التوتر لديه أو أشبعت دوافعه وحاجاته وبذلك أصبحت سلوكاً يستدعيه الفرد كلما وقف في ذات الموقف مرة أخرى؛ أي أن أنماط وصور التوافق لدى أصحاب هذه النظرية مكتسب من خلال الخبرات التي يتعرض لها الفرد، فالسلوك التوافقي هو الذي يؤدي إلى خفض التوتر الناتج من إحاح الدوافع، والفرد بتعلمه يميل إلى تكراره في المواقف التالية ويكون ثباته حسب عدد مرات التدعيم وقدرة الإثابة التي وفرها من خلال التعزيز، وأكد أسكندر أن عملية التوافق لا يمكن أن تنمو عن طريق الشعور ولكنها تشكل بطريقة آلية عن طريق البيئة.

- **نظرية التحليل النفسي:** من مؤسسيها سيجموند فرويد و كارل جوستاف يونج و ألفرد أدلر، ركزت هذه النظرية على دراسة السلوك اللاسوي، وأوضح سليمان والهواري (٢٠٠٧:٣٥) أن أصحاب هذه النظرية أكدوا على أهمية الرغبات والحاجات النفسية وما ينتابها من مقاومة وما ينشأ من ذلك من ضغط وكبت خاصة في أيام الطفولة حيث تنشأ الكثير من الدوافع اللاشعورية التي تؤثر في حياة الفرد المستقبلية؛ أي أنها ركزت على اللاشعور، ويرى أصحاب هذه النظرية أن عملية التوافق الشخصي تتبع من اللاشعور، كما فسّر فرويد وعالج الاضطرابات النفسية، ويرى أن العصاب يدل على عدم التوافق النفسي، كما قسم الشخصية إلى ثلاثة مكونات هي: الهو، الأنا، الأنا الأعلى، فالتوافق يعني تحقيق الاتزان والانسجام بين هذه المكونات الثلاث، وذكر فرويد أن الشخصية المتوافقة تتمثل في ثلاث سمات هي: قوة الأنا والقدرة على العمل والقدرة على الحب، كذلك قسم مراحل نمو الشخصية إلى عدة مراحل هي: الفمية (من الميلاد إلى عمر سنة)، الشرجية (من السنة الثانية إلى ثلاثة سنوات)، القضيبية ("من العام الرابع إلى الخامس أو السادس)، الكمون (من العام السادس وحتى المراهقة) والمرحلة التناسلية (تبدأ من المراهقة المبكرة)، ويعطي فرويد الأهمية القصوى للمراحل الثلاثة الأولى التي لها أهمية كبرى في تشكيل حياة الفرد وتوافق شخصيته فيما بعد، ويرى يونج أن نتائج التوافق والصحة النفسية تكمن في استمرار نمو النفس دون توقف أو تعطيل، كما أكد على أهمية اكتشاف الذات الحقيقية وأهمية التوازن في الشخصية السوية المتوافقة.

- **النظرية الوظيفية:** من مؤسسيها أنجل ودارون وجالتون اهتموا بدراسة وظائف الكائن الحي وتكيفه مع البيئة، كما ركزت على العلاقات النفسية والجسمية معاً (النفس جسمية) لأنهما ينتميان إلى نسق واحد هو الكائن الحي، فالإنسان عبارة عن وحدة تكاملية بين النفس والجسم تشكل توافق وتكامل في شخصيته ككل، كما تؤكد هذه النظرية أن جميع أشكال الفشل في التوافق نتيجة إلى الأمراض التي تصيب أنسجة الجسم خاصة المخ، ومثل هذه الأمراض يمكن توارثها أو اكتسابها

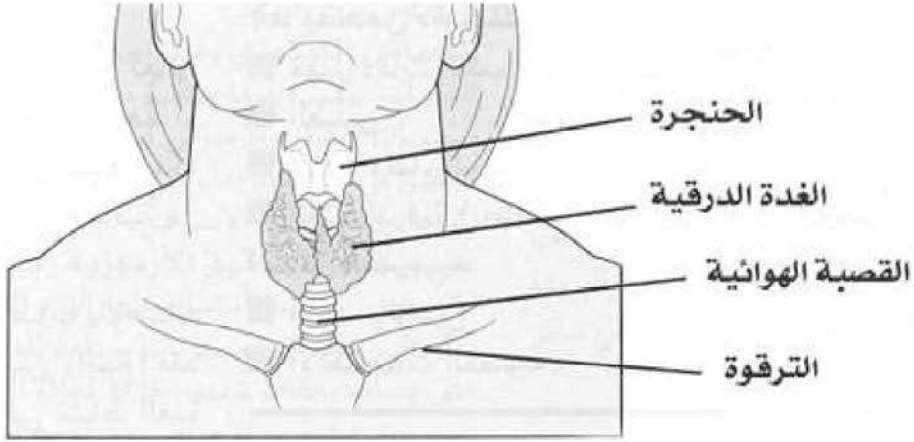
خلال الحياة عن طريق الإصابات والجروح أو الخلل الهرموني الناتج عن الضغط الواقع على الفرد.

- النظرية البنائية: من مؤسسيها تشارلز سبنسر وكونت ، هدفت إلى التحليل الاستبطاني للعقل الإنساني واهتمت بالتجريب باعتباره المنهج العلمي للحصول على المعارف النفسية ، ورأت هذه النظرية أن العلاقة بين النفس والجسم علاقة متوازنة أي أن النفس والجسم نسقان متوازيان على عكس ما أقرت به المدرسة الوظيفية ، كما قامت بدراسة الخبرة الشعورية وتحليلها بمعنى أنها تدرس العقل الإنساني بصفة عامة بتركيبه وبنائه ، باعتبار أن العقل هو جماع خبرات الفرد وتجاربه من المهد إلى اللحد ومحصلة لتوافقه الشخصي.

- النظرية الجشتالتية: من مؤسسيها فرتهايمر ، كوفكا وكوهلر ، التي أكدت كلية الإدراك؛ أي أن الإدراك ليس إحساساً سلوكياً وإنما هو الشكل أو البناء العام للشيء المدرك وليس العناصر أو الأجزاء التي تُكوّن هذا الشيء المدرك فتُكوّن شخصية متوافقة كلياً (جبل ، ٨٢: ٢٠٠١). فالسلوك الإنساني عبارة عن وحدة تكاملية وليس مجرد أجزاء مترابطة ومتصلة بعضها البعض في تسلسل آلي ، فالإنسان المصاب بمرض نفسي مثلاً يُنظر له نظرة كلية عامة تتناول كل ظروف حياته.

٢-٢ - الغدة الدرقية (Thyroid Gland)

٢-٢-١. موقع الغدة الدرقية في الجسم وإفرازاتها: الغدة الدرقية توجد في الجزء الأسفل من الرقبة ، تقع تحت الجلد وأمام الحلقات الغضروفية العليا للقصبة الهوائية (أنظر الشكل أدناه) ، وهي من الغدد الصماء التي تفرز إفرازاتها مباشرة في الدم (داخلياً) لأنها ليس لديها قنوات مستقلة تفرز فيها عناصرها ، تتكون من فصين على جانبي القصبة الهوائية ، ويصل بين الفصين جسر من نسيج الغدة نفسه ، يتراوح وزنها بين ١٠-٥٠ جرام.



شكل يوضح موقع الغدة الدرقية

تنتفخ الغدة الدرقية أحياناً فتظهر واضحة بالرقبة وفي معظم الحالات يكون هذا الانتفاخ مصاحباً لقلة إفرازها كمحاولة من الغدة لتعويض قلة الإفراز بتكثير عدد خلاياها، وفي أحيان أخرى نجد انتفاخ الغدة الدرقية مصاحباً لزيادة إفرازها، لذا تتضح الفائدة من اختبار نسبة الأيض لتحديد نوع الاضطراب، والانتفاخ البسيط سببه قلة اليود في الغذاء وبالتالي عدم مقدرة الدرقية على تصنيع الثيروكسين، تؤثر الغدة الدرقية وتتأثر بغيرها من الغدد الصماء الأخرى خاصة الغدة النخامية التي تفرز هرمون الثيروتروفين (Thyrotrophic Hormone) الذي يحفز الغدة الدرقية وينشطها حتى لا تضمر، فإذا زاد إفراز هذا الهرمون يؤدي إلى تضخم الغدة الدرقية وزيادة نشاطها الإفرازي.

هرمونات الغدة الدرقية عبارة عن حامض أميني (التيروسين) المرتبط مع اليود

وهي نوعان:

أ - T4 عبارة عن Tetraiodo thyronine رباعي جزيئات اليود.

ب- T3 عبارة عن Triiodo thyronine ثلاثي جزيئات اليود.

يدخل الهرمون مجرى الدم ويتحد مع بروتين من نوع جلوبيولين فيكون معقداً وعند وصوله إلى الأنسجة المستهدفة ينفصل المعقد، كما تفرز الغدة الدرقية هرمون الثيروكسين (Calcitonin) الذي يعمل على تنظيم مستوى الكالسيوم والفسفور في الدم (بني يوسف، ٢٥٨-٢٥٩: ٢٠٠٨).

٢-٢-٢. وظيفة الغدة الدرقية

الغدة الدرقية كسائر الغدد تفرز الهرمون بكمية صغيرة إلا أن تأثيره كبير في الجسم، فكمية هرمون الثيروكسين الموجودة في الدم حوالي ١٦ مليجرام فقط لدى الشخص العادي، إلا أن هذه الكمية الصغيرة ضرورية لاستمرار النمو السوي جسدياً ونفسياً، ويمكن معرفة زيادة أو نقصان الهرمون بواسطة فحص الأيض القاعدي (Basal Metabolic) لتحديد نسبة الأكسجين الذي يستهلكه الجسم، أو بنسبة استيعاب كمية يود مشع، بعد ابتلاع جرعة منه (Radioactive Iodine Uptake) أو اليود الملتصق بالبروتين في الدم "P.B.I" (Protein bound iodine) أو نسبة الكولسترول بالدم أو قياس T4 و T3 (عكاشة، ١٤٨: ٢٠٠٥).

والغدة الدرقية تؤثر في تنظيم عمليات النمو وعمليات الأيض (Metabolism) "عمليات الهدم والبناء" (Catabolism and Anabolism)؛ وهي العملية التي تتمكن خلايا الجسم من خلالها من تمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى طاقة أو خلايا جسمية جديدة، فيلاحظ عند استئصال الغدة الدرقية يظهر اضطراب في عملية التأكسد الغذائي للمواد البروتينية والكاربوهيدرات والدهون؛ لذا فإن هرمونات الغدة الدرقية تعد بمثابة منشطات لعمليات التمثيل الغذائي في الجسم (بني يوسف، ٢٣٣: ٢٠٠٢)، كما أن الهرمونات تحقق التكامل في وظائف الجسم المختلفة ونموه، ولذا فإن زيادة الهرمون أو نقصانه في الجسم يؤدي إلى اختلال بدني يؤثر في الناحية العقلية والانفعالية (إبراهيم وإبراهيم، ١٦٠: ٢٠٠٣).

عموماً يمكن تلخيص تأثير وظائف هرمونات الغدة الدرقية كما أوردتها الكبيسي (١٥٩: ٢٠٠٢) في الآتي:

- ٢-٢-١. يزيد من معدل إنتاج الطاقة واستهلاك الأكسجين.
- ٢-٢-٢. يزيد من معدل امتصاص الجلوكوز من الأمعاء الدقيقة.
- ٢-٢-٣. يزيد من عملية تحويل الدهون والبروتينات إلى السكر.
- ٢-٢-٤. يزيد من تحول النشا الحيواني إلى الجلوكوز فيزداد مستوى السكر بالدم.
- ٢-٢-٥. يزيد من معدل صناعة البروتين في جميع خلايا الجسم.
- ٢-٢-٦. يزيد من عملية تمثيل الدهون لإنتاج الحرارة وبذلك تزداد الأحماض الدهنية بالدم.
- ٢-٢-٧. كما تفرز الغدة الدرقية هرموناً يعرف باسم Calcitonin كالسيتونين الذي يعمل على خفض مستوى الكالسيوم في الدم ويثبط تحلل العظام وبذلك تصبح العظام صلبة.

٣-٢-٢. نشاط الغدة الدرقية: يعتمد نشاط الغدة الدرقية على عدة عوامل

أهمها:

٣.١-٢-٢. كمية اليود في الدم، وهذا يعتمد على نوعية الأغذية التي

يتناولها الفرد؛ فالأغذية الفقيرة من اليود والبروتينات تحد من نشاط الغدة الدرقية.

٣.٢-٢-٢. تتأثر بنشاط الغدة النخامية.

٣.٣-٢-٢. درجة الحرارة؛ فالجو البارد ينشط الغدة الدرقية، ونشاط

الغدة الدرقية غير الطبيعي يسبب آثاراً مرضية منها تضخم الغدة الدرقية نفسها. (البياتي، ١١٩: ٢٠٠٢).

٣.٤-٢-٢. الأعراض النفسية الناتجة عن اختلال إفراز هرمون الغدة

الدرقية فيما يلي:

ضعف عام، وهن (Debility)، تعب سريع، وإحساس بالإجهاد والإعياء، كسل غير طبيعي، نعاس أو أرق، تناقص الطاقة أو فرط في النشاط، اضطرابات ذهنية كتدهور الذاكرة، قلة الانتباه، تشتت الذهن، ضعف الوعي، الإدراك وبطء في التفكير، العجز عن الاندماج في المجتمع، الضعف العقلي كما في مرض القماءة / القمامة، سرعة الاستثارة (Irritability)، تقلبات مزاجية، نقص في المقدرة على الأعمال اليومية، نظرة متشائمة للحياة، ضعف في العضلات.

كما أن تسمم الغدة الدرقية يمكن أن يؤدي إلى هلاوس، هذات، أحاسيس اضطهادية (الجسماني، ٢٢٧: ١٩٩٨).

٣- منهج الدراسة وإجراءاتها

٣-١. منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي للكشف عن العلاقات المتبادلة والمتداخلة بين المتغيرات للوصول إلى معلومات عن قوة هذه العلاقة والتنبؤ بها.

٣-٢. مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة الحالية من المرضى المترددين على المراكز العلاجية الذين يعانون من اختلال في مستوى إفراز هرمون الغدة الدرقية (بالزيادة أو النقصان) بولاية الجزيرة محلية مدني الكبرى والتي شملت ثلاثة مراكز علاجية هي: مجمع الشهيد المشير الزبير محمد صالح التشخيصي والعلاجي، معمل جامعة الجزيرة والمعهد القومي للسرطان (الطب النووي سابقاً)، حيث بلغ مجتمع الدراسة (١٢٣٣) مريضاً يعانون من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة أو نقصان). اعتمد الباحثون على إحصاء عام ٢٠١٠م من سجلات المرضى المترددين على هذه المراكز الثلاثة موزعة كالآتي:

جدول رقم (١) يوضح توزيع مجتمع الدراسة حسب النوع لعام ٢٠١٠م في معمل

الجامعة:

النوع	العدد	زيادة الإفراز في الهرمون	نقصان الإفراز في الهرمون
ذكر	٨	٤	٤
أنثى	٩٥	٧٥	٢٠
المجموع	١٠٣	٧٩	٢٤

جدول رقم (٢) يوضح توزيع مجتمع الدراسة حسب للنوع لعام ٢٠١٠م في المعهد القومي

للسرطان:

النوع	العدد	زيادة في إفراز الهرمون	نقصان في إفراز الهرمون
ذكر	١٦	٧	٩
أنثى	٦٦	٣٤	٣٢
المجموع	٨٢	٤١	٤١

جدول رقم (٣) يوضح توزيع مجتمع الدراسة حسب النوع لعام ٢٠١٠م

في مجمع الشهيد الزبير محمد صالح:

النوع	العدد	زيادة الإفراز في الهرمون	نقصان الإفراز في الهرمون
ذكر	٥	٠	٥
أنثى	١٠٤٣	٤٢٥	٦١٨
المجموع	١٠٤٨	٤٢٥	٦٢٣

علماً بأن هذه الإحصائية في معمل الجامعة والمعهد القومي للسرطان تشمل جميع المرضى الذين جاءوا لفحص هرمون الغدة الدرقية، فمنهم من يكون قيد العلاج، وذلك لعدم توفر المعلومات الدقيقة التي توضح إذا تلقوا علاجاً أو سبق تشخيصهم من قبل أم لا. أما إحصائية مركز الشهيد المشير الزبير محمد صالح فتشمل المرضى الذين جاءوا لأول مرة لفحص مستوى هرمون الغدة الدرقية.

٣-٣ . عينة الدراسة: تم اختيار عينة عشوائية مقصودة تمثل حوالي (١٥٪) من مجتمع الدراسة من المرضى الذين يعانون من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة الإفراز أو نقصانه) حيث بلغ حجمها (١٨٤) مريضاً لديهم اختلال في مستويات إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة ونقصان) مأخوذة من المراكز العلاجية الثلاثة قيد الدراسة وزعت وفقاً لبعض الضوابط وهي:

- ٣-٣ - ١ . المرضى الذين يعانون من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة و نقصان) والذين جاءوا لأول مرة لفحص الهرمون ولم يسبق لهم تناول علاج هرمون الغدة الدرقية.
- ٣-٣ - ٢ . جميع المرضى لا يعانون من أمراض مزمنة كالسكري، الضغط، الصرع، أمراض القلب.
- ٣-٣ - ٣ . تم استبعاد النساء الحوامل من الدراسة.
- ٣-٣ - ٤ . الإناث المتزوجات قيد الدراسة لا يتناولن موانع الحمل.
- ٣-٣ - ٥ . وضعت تلك الضوابط من أجل الاحتراز من تأثير تلك العوامل التي ذكرت في متغيرات ونتائج الدراسة الحالية.

٣-٤ . أدوات الدراسة: لجمع البيانات في هذه الدراسة تم استخدام الأدوات الآتية:

- أ - مقياس التوافق النفسي الاجتماعي ليهو. م بل (نسخة معدلة مصغرة بواسطة الباحثين) متضمنة أسئلة تحتوي على متغيرات الدراسة عن المرضى. بعد اطلاع الباحثين على عدة مقاييس للتوافق النفسي الاجتماعي استقر الرأي أن مقياس هيو. م. بل مناسب لموضوع الدراسة الحالية فهو أكثر ملاءمة من غيره من مقاييس التوافق كما أن أغلب مقاييس التوافق مشتقة من هذا المقياس وأغلب عبارات المقاييس الأخرى مأخوذة منه فهو يتميز بالشمولية، كما أنه سهل التطبيق والتصحيح ويتميز بدرجة ثبات وصدق عالية، علاوة على أنه طبق على بيئات عربية وسودانية وبالتالي

يمكن تطبيقه في هذه الدراسة إذا تم تعديله ليتمشى مع أهداف الدراسة الحالية، وبالفعل تم تعديل يناسب بيئة ومجتمع الدراسة الحالية، و تقويمه وتحكيمه بواسطة عدد من المختصين.

ب- قياس الثيوترونين " قياس تركيز الهرمون المحفز للغدة الدرقية" بالإضافة لقياسات ثالث يود الثيرونين والثيروكسين الطليق (الحر) والكلي في البلازما بالمراكز العلاجية الثلاثة قيد الدراسة، وهي اختبارات تقيس وظائف الدرقية، من نتائج فحص الهرمون من وحدة قياس الهرمون التي تحصلوا عليها من المراكز العلاجية الثلاثة بعد استيفاء الشروط اللازمة للدراسة لضبط خصائص العينة المعنية في الدراسة الحالية ويشخص على حسب نوع القياس سواء الطليق أو الكلي بعد مقارنته بالمعدل الطبيعي. في البدء طبق المقياس على عينة استطلاعية بالطريقة العشوائية المقصودة بلغت (٣٠) مريضاً ومريضة من مجتمع الدراسة الحالية تمتاز بنفس خصائص العينة التي طبقت بها الدراسة، وذلك للتأكد من صلاحية مقياس التوافق النفسي الاجتماعي في صورته النهائية المعدلة المصغرة والتوصل إلى الخصائص القياسية للمقياس من خلال التطبيق الميداني بعد تحكيم المقياس والتأكد من صدقه الظاهري وذلك بواسطة ثمانية من ذوي الاختصاص من جامعة الجزيرة، جامعة أم درمان الإسلامية، جامعة الخرطوم وجامعة الملك فيصل؛ فتجريب المقياس بشكله المبدئي ومحاولة اختباره تعتبر مرحلة ذات أهمية بالغة للاطمئنان على وضوح الأسئلة وسهولة فهمها لدى المفحوصين وللتأكد من صدق وثبات المقياس.

٤. عرض ومناقشة نتائج الدراسة

لتوزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمستويات الاختلال في هرمون الغدة الدرقية (بالزيادة والنقصان في إفرازها) مع توزيعهم تبعاً لمستويات التوافق النفسي الاجتماعي تم استخدام النسب المئوية.

جدول رقم (٤) يوضح مستوى التوافق عند أفراد عينة الدراسة:

النسبة المئوية	العدد	مستوى التوافق
٪٦٤,٧	١١٩	غير متوافق
٪٣٥,٣	٦٥	متوسط التوافق
٪٠	٠	متوافق
٪١٠٠	١٨٤	المجموع

يشير الجدول أعلاه إلى أن عينة الدراسة تركزت حول متوسط التوافق وغير المتوافق بينما لا يوجد مريض يعاني من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية متوافقاً مما يؤكد تأثير الاختلال في عملية التوافق.

الفرض الأول: للتحقق من الفرض الذي ينص على أنه "توجد علاقة دالة إحصائية بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية ومشكلات التوافق النفسي الاجتماعي للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة". تم استخدام اختبار مربع كاي لاختبار العلاقة ذات الدلالة الإحصائية.

جدول رقم (٥) يوضح توزيع العلاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة:

مستوى الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية	مستوى التوافق متوسط التوافق غير متوافق	قيمة مربع كأي	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
انخفاض هرمون الغدة الدرقية	٣٤ (٥٢,٣٪)	٦,٧٠٣	١	٠,٠١٠
زيادة هرمون الغدة الدرقية	٣١ (٤٧,٧٪)			

يشير الجدول السابق إلى أن نسبة الانخفاض في مستوى إفراز هرمون الغدة الدرقية لدى عينة الدراسة بلغت (٥٢,٣) من متوسطي التوافق وبلغت (٣٢,٨) من غير المتوافقين بينما أشار الجدول إلى أن الزيادة في إفراز هرمون الغدة الدرقية بلغت (٤٧,٧) من متوسطي التوافق و (٦٧,٢) من غير المتوافقين، كما أن قيمة مربع كأي بلغت (٦,٧٠٣) بدرجة حرية (١) ودلالة إحصائية (٠,٠١٠)، وهي قيمة دالة إحصائياً، وعليه توجد علاقة دالة إحصائياً بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي.

وأشارت نتيجة هذا الفرض إلى وجود علاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي، فالغدة الدرقية تؤثر في الناحية النفسية للفرد فيصدر عنه سلوك غير طبيعي مما يؤدي إلى عدم التوافق النفسي الاجتماعي، كما أن هرمون الغدة الدرقية يؤثر في الجهاز العصبي المحيطي فتؤدي إلى زيادة إثارته (الشاعر: ١٩٩٣)، أوضح حكيمه (٢٠٠٧) أنه إذا واجه الفرد مواقف ضاغطة تتضمن خبرات غير مرغوب فيها وأحداث تنطوي على كثير من مصادر التوتر وعوامل الخطر

والتهديد في كافة مجالات حياته وصعوبة في الهرب من التزاماته ومشكلاته فإن ذلك يؤدي إلى استمرار حالة من الانفعال الداخلي الذي يشكل حملاً على الأعضاء الداخلية ويؤثر سلباً في الفرد، وأكدت دراسة جوفينال Juvenal (٢٠١١) أن الاختلال الوظيفي في الغدة الدرقية يؤثر في الحالة الانفعالية خاصة في الاضطرابات الثنائية الوجدانية؛ حيث أشارت دلائل دراسته إلى أن الاختلال الفسيولوجي في المهيد والغدة الدرقية والنخامية أكثر لدى مرضى الاضطرابات الوجدانية الأمر الذي يجعل الفرد غير متوافق نفسياً واجتماعياً، كما أشارت الدراسة إلى وجود العلاقة بين وظائف الدرقية واضطرابات السلوك، كذلك أوضح راجح (٢٠٠٢) أن العوامل البيولوجية كتلف الجهاز العصبي والغددي تؤثر في الناحية النفسية والاجتماعية وتؤدي إلى صراعات داخلية وخارجية شعورية ولا شعورية تنجم عن إحباط شديد لإشباع حاجات الفرد الأساسية ودوافعه الحيوية فيعجز الفرد عن إقامة التوأمة بينه وبين بيئته ونفسه، ويصبح الفرد معتل الصحة النفسية وتتعدد أنماط السلوك غير التوافقي، أي أن سوء التوافق ينتج عن عدم التواءم بين الفرد وبيئته الذي ينتج عن اختلال بيولوجي كاختلال الغدة الدرقية والضغط النفسي الاجتماعية المختلفة، وقد أكد عبد المعطي (٢٠٠٦): (٢٣) أن الضغوط النفسية تنتج من مثيرات داخلية أو بيئية وتكون على درجة من الشدة مما تقلل القدرة على توافق الفرد وتؤدي إلى اختلال وظيفي وسلوكي، وأوضح أمفريد Umphred (2007: ١٢٠) أن سوء التوافق يدل على عدم مقدرة الفرد على أداء وظائفه نتيجة لاختلال في عواطفه.

يرجح الباحثون ذلك لأن العلاقة بين الإنسان والبيئة تتأثر بالظروف الصحية للفرد، فسلامة الجسم بوجه عام وسلامة الغدة الدرقية بوجه خاص تعتبر من أهم أسس التوافق وبالتالي تؤثر في التوافق بأبعاده المختلفة، إذ أن تمتع الفرد بالصحة الجسمية والنفسية مهم لتحقيق التوافق والصحة النفسية، فقد أظهرت الدراسة الحالية وجود علاقة بين الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي بينما لم توضح الدراسة وجود توافق نفسي اجتماعي لدى مرضى الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية، مما يؤكد

مشكلات التوافق النفسي الاجتماعي لمرضى اختلال وظائف الغدة الدرقية

أن البناء البيولوجي للفرد خاصة اختلال وظائف الغدة الدرقية يؤثر في نمط سلوك الفرد وتوافقه، فالتوافق عملية كلية وظيفية تشير إلى الإنسان من حيث هو كائن حي من جسد وروح متكامل مع بيئته فهو عملية شاملة تتضمن الفرد كوحدة جسمية نفسية اجتماعية.

الفرض الثاني: للتحقق من الفرض الذي ينص على أنه "توجد فروق دالة إحصائية بين مستويات الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية (زيادة/ نقصان) للمرضى المترددين على المراكز العلاجية بولاية الجزيرة"، تم استخدام اختبار (ت)، لاختبار الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية.

جدول رقم (٦) يوضح الفرق بين مستويات اختلال هرمون الغدة الدرقية للمرضى المترددين على المراكز العلاجية:

مستوى الاختلال في إفراز الدرقية	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
زيادة الإفراز	١١١	١٤٢,٠٠	٢٠,٤٤	٠,١٥٦	١٨٢	٠,١٦٨
انخفاض الإفراز	٧٣	١٣٩,٩٣	١٩,٦٩			

يشير الجدول أعلاه إلى أن الوسط الحسابي لدى المرضى الذين يعانون من زيادة في إفراز هرمون الغدة الدرقية (١٤٢,٠٠) والوسط الحسابي للذين يعانون من انخفاض في إفراز هرمون الغدة الدرقية (١٣٩,٩٣)، حيث قيمة (ت) تساوي (٠,١٥٦) بدرجة حرية (١٨٢) ودلالة إحصائية (٠,١٦٨)، وهي قيمة غير دالة إحصائية، عليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المرضى الذين يعانون من زيادة في إفراز هرمون الغدة الدرقية والذين يعانون من انخفاض في إفرازها، مما يعني أن الاختلال سواء أكان زيادة أم نقصان في

الإفراز فإنه يؤثر في الجوانب النفسية ككل وبالتالي يؤثر على توافق الفرد النفسي والاجتماعي، فالإنسان عبارة عن وحدة بيولوجية نفسية اجتماعية؛ أي أنه يتألف من وحدات وعناصر ترتبط بعضها مع بعض، فإذا حدث اضطراب في جانب أو جزء منها اضطرت له الجوانب الأخرى، فتكامل الشخصية يتحقق بالتكامل البيولوجي والنفسي والاجتماعي وتفاعل هذه العناصر بعضها مع بعض، فالجهاز الغدي الهرموني إن كان به عطب أو تلف كان ذلك عائقاً في تكامل الشخصية، بالإضافة إلى خلو الشخصية من الصراعات النفسية المختلفة، وهذا ما أكدته الدراسة الحالية عن وجود علاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي، فالغدة الدرقية تؤدي دوراً مهماً في حياة الإنسان وفي سلوكه وردود أفعاله، وأن هرمون الثيروكسين له دور مهم في عملية التوافق النفسي والجسدي للفرد وأي خلل في إفرازه (زيادة ونقصان) يؤثر على توافق الفرد النفسي والاجتماعي سلباً.

الفرض الثالث: للتحقق من الفرض الذي ينص على أنه "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير النوع (ذكر / أنثى)" تم استخدام اختبار (ت)، لاختبار الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية.

جدول رقم (٧) يوضح الفروق في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً للنوع:

المتغير	النوع	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدلالة الإحصائية
التوافق النفسي الاجتماعي	ذكور	١٥	١٣٣.٧٣	٢٦.١١	١.٣٣٦	١٨٢	٠.١٨٣
	إناث	١٦٩	١٤٠.٩١	١٩.٣٣			

يلاحظ من الجدول أعلاه أن الوسط الحسابي للذكور (١٣٣,٧٣) والوسط الحسابي للإناث (١٤٠,٩١)، حيث قيمة (ت) تساوي (١,٣٣٦) بدرجة حرية (١٨٢) ودلالة إحصائية (٠,١٨٣)، وهي قيمة غير دالة إحصائياً، عليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً للنوع. بالرغم من أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل نظراً لطبيعة أدوارها في الحياة، فقد ذكر بيرمان والبريتون (٢٠٠٣:٥٥) أن غالبية النساء يملن إلى تفضيل وتحبذ الشعور بينما يفضل غالبية الرجال الميل إلى التفكير والمنطق؛ لذا فهن أكثر حساسية وتأثراً بالأحداث من الرجال، كذلك أكد كلنشي ونوريم Clinchy and Norem (١٩٨٨:٢٥٥) أن الاختلاف في النوع يظهر في تمييز الإناث بالسلوك العاطفي بينما يتميز الذكور بالسلوك العدائي. كذلك أكدت دراسة بوظو (٢٠٠٨:٨) أن اضطرابات الدرقية أكثر لدى الإناث بمعدل ٧-٨ مرات مما هي عليه عند الذكور، وبما أن هذه الدراسة طبقت في ولاية الجزيرة التي تعتبر من أكبر ولايات السودان في العدد السكاني والتي تمثل المرأة الضلع الأكبر فيها إذ بلغت نسبة الإناث في ولاية الجزيرة ٦٠,٧٪ بينما بلغت نسبة الذكور ٣٩,٣٪ (علي:٢٧:٢٠١٠)، هذا فيما يتعلق بالمجتمع ككل، أما بالنسبة للمرضى الذين يعانون من اختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية فقد أوضحت إحصاء الدراسة الاستطلاعية التي أجراها الباحثون في العام ٢٠١٠م أن نسبة الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في ولاية الجزيرة في المراكز العلاجية قيد الدراسة بلغت عند الإناث ٩١,٨٪ بينما بلغت نسبته عند الذكور ٨,٢٪، مما يؤكد تفشيته عند الإناث أكثر من الذكور.

يرجع الباحثون نتيجة الدراسة الحالية إلى تغير دور المرأة في الوضع الراهن، كما أن الغدة الدرقية تؤثر في التوافق النفسي والاجتماعي للفرد بنفس المستوى بين النوعين من الذكور والإناث على السواء، استناداً على النتيجة في هذه الدراسة التي أشارت أنه ليس هنالك فرق بين الذكور والإناث في متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المرضى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية، وقد أشار

الحسين (٢٠ - ٢١: ٢٠٠٥) إلى أن الغدة تؤثر في الإنسان من حيث قوة إفرازاتها أو قصورها، وبالتالي في إحداث مستوى درجة الأثر النفسي الناتج عنها سواء أكان المريض ذكراً أم أنثى.

الفرض الرابع: للتحقق من الفرض الذي ينص على أنه: "توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية في المراكز العلاجية بولاية الجزيرة تبعاً لمتغير العمر". تم استخدام أسلوب تحليل التباين الأحادي (One -Way ANOVA)، لاختبار الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية.

جدول رقم (٨) يوضح الفروق ذات الدلالة الإحصائية في متوسطات درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً لمتغير العمر:

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف) الإحصائية	القيمة
التوافق النفسي الاجتماعي	بين المجموعات	٥٦٦٤,٩٣٥	٥	١١٣٢,٩٨٧	٣,٠٩٣	.٠١١
	داخل المجموعات	٦٥٢٠٤,٠٦٠	١٧٨	٣٦٦,٣١٥		

يلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (ف) تساوي (٣,٠٩٣) بقيمة احتمالية (٠,٠١)، وهي قيمة دالة إحصائياً، عليه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً لمتغير العمر.

جدول رقم (٩) يوضح اختبار متوسط أقل الفروق (LSD) تبعاً لمتغير العمر:

الاستنتاج	الدلالة الإحصائية	متوسط الفروق	الفئة العمرية
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٦	❖ ١٩,٥١٣٨٩	٦٦ - فأكثر ٢٢ - ١١
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٦	-١٩,٥١٣٨٩	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٢	❖ ٧,٠٣٠١٨	٦٦ - فأكثر ٣٢ - ٢٣
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٢	-٧,٠٣٠١٨	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٤	❖ ٢٠,١٩٢٤٦	٦٦ - فأكثر ٤٣ - ٣٣
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٤	-٢٠,١٩٢٤٦	
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٠	❖ ٢٧,٥٤٤٠٦	٥٧ - فأكثر ٥٤ - ٤٤
توجد فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)	.٠٠٠	-٢٧,٥٤٤٠٦	

- العلامة (♦) تعني أن الفروق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية لصالح المتغير المشار إليه.
- العلامة (-) تعني أن الفرق في المتوسطات ذات دلالة إحصائية ليست لصالح المتغير المشار إليه.

يشير الجدول أعلاه وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجة التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً لمتغير العمر لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)، بمعنى أن الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر) هي أكثر الفئات العمرية غير المتوافقة، وهذا لا ينفي أن الفئات العمرية الأخرى لديها عدم توافق نفسي اجتماعي، ولكن يظهر بصورة ملحوظة في هذه الفئة، وقد يرجع ذلك إلى التغير في أعضاء ووظائف الجسم الداخلي والخارجي، التي تصاحبها كثيراً من الأمراض لم يكن الشخص على عهد بها من قبل، مما يؤثر ويغير في الشخص اجتماعياً وقد يتعدى ذلك إلى حالة من السلوك غير السوي وعدم الاتزان الانفعالي والنفسي.

وأشار عثمان (٢١:١٩٩٧) إلى أنه في نهاية مرحلة أواسط العمر يحدث انخفاض تدريجي في العلاقات الاجتماعية، إذ إن إمكانيات الشخص في هذا العمر الجسمية والصحية وإن كانت في مستوى التوسط والاعتدال إلا أنها أقل من إمكانياته في بداية المرحلة مما يؤثر في الرغبة في التواصل. وقد أكدت كثير من الدراسات ذلك كدراسة ديفيدوكرينج Davies and Craing (46:1998) التي أثبتت أن الشخص في هذه الفئة العمرية يعاني كثيراً من الأمراض النفسية والجسدية كاضطرابات الغدد وأمراض القلب وغيرها من الأمراض الجسدية التي تؤثر سلباً في سلوك الفرد، كذلك أشارت دراسة هيس وايوماما Hays and Iwamaa (2010) إلى أن كبار السن أكثر عرضة للمخاطر النفسية الناجمة عن الأمراض العضوية كاضطرابات التوافق واضطراب القلق والاكتئاب، كما أكد شاذلي (٢٠٠١: ٦٢) أن العمر المتقدم يرتبط بالتدني في مستوى التوافق بين الأشخاص فوق الستين، وأرجع هذا الهبوط إلى عوامل

قد تطرأ على المسن كالعوامل الاجتماعية والصحية، كما أشار إلى أن معظم الدراسات أوضحت تدني في مستوى الراحة النفسية مع تقدم العمر، فتحقيق التوافق يتطلب توفر بعض مطالب النمو كالتوافق للفقدان الذي يصيب المسن ويشمل فقدان الصحة والقوة الجسمية وفقدان العمل.

ويعتقد الباحثون بأن الكبر ليس حالة مرض ولكنه مرحلة من مراحل العمر تكثر بها الأمراض نسبة للتدهور الفسيولوجي في كافة الأجهزة والأعضاء والأنسجة والخلايا مما يؤدي لإضعاف القدرة على التكيف وعدم التوافق، كما أن التغيرات الكمية والكيفية في حياة المسن نتيجة إلى هذه المرحلة العمرية، وما يترتب عليها من تناقص في العمليات البيولوجية عامة واختلال إفراز الغدة الدرقية خاصة كل ذلك يؤدي إلى تغير في شخصيته، ويؤدي إلى تناقص معدل التفاعل والتوافق النفسي الاجتماعي، وهذا ما أوضحه الفرض الأول في الدراسة الحالية عن وجود علاقة بين الاختلال في إفراز الغدة الدرقية والتوافق النفسي الاجتماعي، فبالإضافة إلى الاختلال في إفراز الغدة الدرقية فالمسن يعاني من علامات ومظاهر الكبر العضوية والنفسية والاجتماعية الأمر الذي جعل هذه الفئة العمرية تعاني من عدم التوافق مقارنة بالفئات العمرية الأخرى وهذا ما دل عليه هذا الفرض.

٥- خاتمة وتوصيات

أظهرت الدراسة أنه توجد علاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية ومشكلات التوافق النفسي الاجتماعي، كما بينت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً للعمر لصالح الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر)، ولم تبين الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسط درجات التوافق النفسي الاجتماعي لدى المصابين باختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية تبعاً للنوع (ذكور/ إناث). وفي ضوء ذلك يوصي الباحثون بالآتي:

- الاهتمام بالدور والدعم النفسي والاجتماعي لأفراد المجتمع بالتحثيف عن كيفية مواجهة الضغوط التي تشكل مشكلات التوافق وكيفية التعامل مع الأمراض بصورة عامة وأمراض الغدة الدرقية بصورة خاصة حتى لا تؤثر في توافقهم النفسي والاجتماعي.
- الاهتمام ورعاية كبار السن من مرضى الغدة الدرقية وتقديم خدمات طبية نفسية واجتماعية لهم فقد أوضحت الدراسة الحالية أن أكثر الفئات العمرية التي لديها عدم توافق نفسي اجتماعي هي الفئة العمرية (٦٦ - فأكثر).
- عمل برامج توعوية وإرشاد لفحص هرمون الغدة الدرقية للوقاية منه والاكتشاف المبكر لحالات اختلال هرمون الغدة الدرقية.

مقترحات لدراسات مستقبلية:

بناء على نتائج الدراسة والتوصيات التي سبق ذكرها يقترح الباحثون إجراء مزيد من الدراسات والبحوث التي تعتبر استكمالاً للدراسة الحالية، منها:

- إجراء بحوث تقارن بين تأثير اختلال الغدة الدرقية في السلوك في ولايات السودان المختلفة، فالسودان كما هو معروف قطر واسع وشاسع يتمتع ببيئات مختلفة فربما تكون هنالك اختلافات على حسب البيئة.
- تطبيق برنامج إرشادي لذوي الاختلال في هرمون الغدة الدرقية لتقليل حالات سوء التوافق، قد أوضحت الدراسة الحالية وجود علاقة بين الاختلال في إفراز هرمون الغدة الدرقية وسوء التوافق، فقد يساهم البرنامج الإرشادي في تقليل حالات سوء التوافق والحد منها.
- دراسات تتناول الذين يأخذون العلاج، فقد استهدفت الدراسة الحالية المرضى الذين لم يشخصوا من قبل ولم يسبق لهم تلقي العلاج، فربما يكون لتأثير العلاج الطبي دور في تقليل الجوانب النفسية للمريض.
- دراسات عن التاريخ المرضي والأسري، وفترة تلقي العلاج، والذين تناولوا العلاج ثم توقفوا عن تناوله، ودراسات عن تأثير الحمل وما ينجم عنه من اختلال في إفراز الهرمونات، وغيرها من المواضيع المتعلقة بالغدة الدرقية ومدى تأثيرها في الجوانب النفسية والسلوكية للمرضى والتي لم تتطرق لها الدراسة الحالية فمن شأنها أن تساهم وتطور في الدراسة الحالية وتعتبر استكمالاً لها.
- دراسات في مجال علم النفس الفسيولوجي بوجه عام، فقد لاحظوا نقص البحوث في هذا المجال.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم وإبراهيم ، عبد الستار ورضوان (٢٠٠٣). علم النفس أسسه ومعالم دراساته، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
٢. ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق إبراهيم شمس الدين (١٩٩٩). معجم مقاييس اللغة، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٣. أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، طبعة دار صادر.
٤. أحمد، سهير كامل (١٩٩٩). الصحة النفسية والتوافق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر.
٥. بني يونس، محمد محمود(٢٠٠٢). علم النفس الفسيولوجي، دار وائل للطباعة والنشر.
٦. بوظو، محمد مالك (٢٠٠٨). مجلة عالم الغدد، تناقضات في تدبير وفرط نشاط الدرق، العدد الثالث، تصدرها رابطة أطباء الغدد الصماء.
٧. البياتي، خليل إبراهيم(٢٠٠٢). علم النفس الفسيولوجي - مبادئ أساسية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن.
٨. بيرمان والبيرتون، روجر وسارة سي (٢٠٠٣). أنا لست مجنوناً لكني لست أنا، ترجمة: محمد حسن شموط، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٩. جبل، فوزي محمد (٢٠٠١). علم النفس العام، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة.
١٠. الحسين، عبد العزيز بن عبد الله (٢٠٠٥). ضغوط الحياة وأساليب التعايش معها، دار كنوز اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١. حشمت وباهي، حسين أحمد ومصطفى حسين (٢٠٠٦). التوافق النفسي والتوازن الوظيفي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الأهرام، مصر.
١٢. حكيمة، أيت حمود (٢٠٠٧). سمة القلق وعلاقتها بإدراك الضغوط النفسية لدى المرضى السيكوسوماتين، جامعة الجزائر، العدد الأول، الجزائر.
١٣. الخالدي، أديب (٢٠٠٢). المرجع في الصحة النفسية، ط.٢، الدار العربية للنشر والتوزيع، ليبيا.
١٤. دويدار، عبد الفتاح محمد (٢٠٠٩). علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
١٥. راجح، أحمد عزت (٢٠٠٢). أصول علم النفس، ط.٨، المكتب المصري الحديث، القاهرة، مصر.
١٦. زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠١). الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، مصر.
١٧. سفيان، نبيل (٢٠٠٤). المختصر من الشخصية والإرشاد النفسي، إتيراك للطباعة ونشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
١٨. سليمان والهوري السر أحمد وجمال فرغل (٢٠٠٧). المدخل إلى علم النفس، مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية.
١٩. شاذلي، عبد الحميد محمد (٢٠٠١). التوافق النفسي للمسنين، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
٢٠. الشاعر، عبد الحميد (١٩٩٣). أساسيات علم وظائف الأعضاء، المستقبل للنشر والتوزيع، الأردن.
٢١. الشربيني، لطفي (٢٠٠١). موسوعة شرح المصطلحات النفسية، عربي - إنجليزي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر.
٢٢. طه، فرج عبد القادر (٢٠٠١). علم النفس التربوي والتوافق الاجتماعي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٢٣. عبد الخالق، أحمد محمد (٢٠٠٠). أسس علم النفس، دار النهضة، القاهرة، مصر.
٢٤. عبد الخالق، أحمد محمد (٢٠٠٨). أصول الصحة النفسية، ط.٢، دار المعرفة الجامعية، مصر.
٢٥. عبد الغني، أشرف محمد (٢٠٠١). المدخل إلى الصحة النفسية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
٢٦. عبد الله، مجدي أحمد محمد (٢٠٠٨). علم نفس الصحة وعلاقته بالطب السلوكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
٢٧. عبد المعطي، حسن مصطفى (٢٠٠٦). ضغوط الحياة: وأساليب مواجهتها، الصحة النفسية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر.
٢٨. عثمان، إبراهيم بخيت (١٩٩٧). توافق المسنين بين هبوط القدرات وتساعد الهموم والمشكلات، دار الشريعة للنشر والطباعة، السودان.
٢٩. عكاشة، أحمد (٢٠٠٥). علم النفس الفسيولوجي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
٣٠. علي، انعام فضل الطيب (٢٠١٠). الرضا الوظيفي لدى المرأة العاملة وعلاقته بتوافقها النفسي الاجتماعي في ضوء بعض المتغيرات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزيرة، كلية التربية حنتوب، السودان.
٣١. العيسوي، عبد الرحمن (٢٠٠٦). الطب السيكوسوماتي، دراسة في اضطراب السمنة وتناول الطعام، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
٣٢. القذاي، رمضان محمد (١٩٩٨). الصحة النفسية والتوافق، ط.٣، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
٣٣. الكبيسي، خالد (٢٠٠٢). الكيمياء الحيوية - العلوم الطبية المساعدة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن.

٣٤. المطيري، معصومة سهيل (٢٠٠٥). الصحة النفسية، مفهومها واضطراباتها، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت.

المراجع الانجليزية:

35. Clinchy, B. M. and Norem, J. (1998). **The Gender and Psychology Reader**, New York university press, USA.
36. Davies, C. T. and TKJ(1998). **ABC of Mental Health**, BMJ Books, BMA House, Tavistock square, London.
37. Hays, I. P., and Gayle V. (2010). **Culturally Responsive Cognitive – Behavioral therapy Assessment, Practice and Supervision**, Third Printing, American Psychology Association, Washington, DC, USA.
38. Juvenal, Guillermo, V.(2011). Thyroid Function and Bipolar Affective, **Journal of Thyroid research**, Article ID 30637,13 pages.
39. Umphred, Darcy A. (2007). **Neurological Rehabilitation**, fifth Edition, Elsevier, Missouri ,USA.

المهارات التدريسية وأهميتها في عرض المادة التاريخية

د. أزهرى محمد أحمد جبارة*

* - أستاذ التاريخ المساعد بكلية التربية مرحلة الأساس، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

ملخص البحث

أجريت هذه الدراسة بغرض الوقوف على المهارات التدريسية اللازمة في عرض مادة التاريخ. وهدفت الدراسة أيضاً على معرفة خصائص معلم التاريخ الفعّال وعلى الوقوف على بعض المهارات التدريسية والتي يوجد قصور في درجة ممارستها.

- أهم نتائج هذه الدراسة:

١. تمكن معلم التاريخ من مادته بيسر عملية التعلم.

٢. التعلم الذاتي ضروري لمعلم مادة التاريخ.

وأوصت الدراسة بضرورة استخدام طرائق التدريس التي تعتمد على جهد المتعلم مع ضرورة الاهتمام بالوسائل التعليمية والتقنيات التربوية وتفعيل مهارات التأصيل.

Abstract

This study aims to reveal the most important skills in performance of history subject. It also aims to stand on the characteristics of an effective history teacher and to state out some of the teaching skills that aren't well performed by history teachers.

Finally, the researcher has recommended some suggestions that can contribute to the improvement of teaching history.

المقدمة

التاريخ هو ذاكرة الأمة ووعاء الخبرة البشرية ، وهو الشاهد الوحيد على أحداث الماضي والحاضر وما يسفر عنه المستقبل. والتاريخ هو قصة الإنسان في سعيه المستمر منذ أن وجد إلي يومنا هذا. لذا، فهو علم يخص الإنسان وأهدافه في اتخاذ العظة والعبرة وتنمية الكثير من المهارات. ولا شك أن الغفلة عن التاريخ وعدم الاستفادة من أحداثه في أخذ العظة والعبرة قد أوقع الأمة في كثير من المشكلات التي تعاني منها الآن.

ولأهمية التاريخ، درجت الأمم والشعوب على تدريسه للطلاب في كل مراحل التعليم. وكلما أحست الأمة نقصاً في مواطنة أبنائها، معنى ذلك تدريس مزيد من التاريخ أو تعديل ما يدرسه الطلاب أو تحسين تدريسه أو كل هذه الأمور جميعاً^(١) ودراسة التاريخ تعد أمراً مهماً ولازماً؛ لأن مادة التاريخ من المواد الدراسية التي يكتسب بها الأطفال حكمة الشيوخ ، وبدونها يستحيل الشيوخ إلي أطفال. وقديماً قيل:

من وعى التاريخ في صدره ❖❖❖❖ أضاف أعماراً إلى عمره^(٢)

ودراسة التاريخ تعتبر جزءاً مهماً من التربية التي تهدف لتربية الإنسان الصالح. ومناهج التاريخ ومقرراته الدراسية هي مخطط تربوي يتضمن عناصر تتكون من أهداف ومحتوى وخبرات تعليمية تحتوي على معارف ومهارات وقيم تؤثر في تعديل سلوك الطلاب مما يستوجب أن تكون مادة التاريخ وسيلة من خلالها تغرس القيم والمثل الإسلامية التي ترسخ في النفوس.

من كل هذا يتأكد أن التدريس الفعّال لمادة التاريخ لا يتحقق إلا إذا فهم معلمو التاريخ طبيعة هذه المادة التي يدرسونها وأدركوا أهميتها في تربية النشء. وبما أن مهمة المعلم هي مساعدة الطلاب على التعليم، فإن إلمام المعلم بالمهارات التدريسية اللازمة

(١) عبدالحميد السيد: التاريخ في التعليم الثانوي (أهدافه - مناهجه - تدريسه) ، ط٢ ، الأجلو المصرية ، ١٩٧٣م ، ص (د).

(٢) هذا مما كان يسمعه الباحث من أساتذة التاريخ وطرائق تدريسه في بحث الرضا ودبلوم التربية العام.

لعرض المادة التاريخية أمر له أهميته ذلك لأن ما يعزز نتائج بعض الدراسات^(١) التي تناولت مشكلات تعلم مادة التاريخ تصدرت المشكلات التي تتعلق بمعلم المادة أولويات هذه المعوقات.

كما أن الاهتمام بالمهارات التدريسية والكفايات التربوية ضرورة تؤكدتها التوجهات التربوية الحديثة بل أصبحت تربية المعلم في العصر الحديث قائمة على الاهتمام بمهارات التدريس.

مشكلة الدراسة:

تعتبر مادة التاريخ من المواد التي تعاني من ضعف المستوى في تعليمها. ولعل اختيار المعلم الذي تتقنه الكفايات المهنية لتدريس هذه المادة ولا تتناسب كفاياته ومهاراته التدريسية مع خصائص العمل المطلوب من أكبر معوقات تدريس هذه المادة التي تعتمد على معلم قدير متمكن من مادته ينوع في طرائق التدريس له القدرة على السرد والإثارة بلسان فصيح مبين واضح الصوت والنبرات وفوق هذا وذاك معلم قدوة في شخصيته وسلوكه.

يمكن صياغة مشكلة هذه الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

- ماهي خصائص معلم التاريخ الفعال ؟

ومن ثم ، تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

(١) ما المهارات التدريسية اللازم توافرها لدى معلم التاريخ ؟

(٢) ما المهارات المتعلقة بمادة التاريخ ؟

(٣) ما المهارات التي يوجد قصور في درجة ممارستها من وجهة نظر الباحث؟

(١) دراسة إبراهيم القعود بعنوان (مشكلات التاريخ لدى طلبة المرحلة الثانوية في الأردن) ، مجلة كلية الآداب، ١٩٨٥م. ص (٥٢).

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة لتحقيق الآتي:

١. معرفة خصائص معلم التاريخ الفعّال.
٢. التعرف على مهارات تدريس مادة التاريخ في التخطيط والتنفيذ والتقييم.
٣. التعرف على المهارات المتعلقة بمادة التاريخ.
٤. الوقوف على بعض المهارات التي يوجد قصور في درجة ممارستها.
٥. تقديم بعض التوصيات التي تفيد الدراسة عن المهارات التدريسية لمعلمي التاريخ لتحسين أدائهم.

أهمية الدراسة: تتبع أهمية الدراسة في الآتي:

١. تتناول قضية تربوية مهمة تتعلق بإعداد وتدريب معلم التاريخ.
٢. تسهم في التعريف بالمهارات التدريسية اللازمة لتدريس مادة التاريخ.
٣. قد تفتح المجال أمام دراسات تربوية أخرى تهتم بالمهارات والكفايات التدريسية.

منهج الدراسة: اتبع الباحث في هذه الدراسة ، المنهج الوصفي التحليلي.

مصطلحات الدراسة:

(١) المهارات:

مفردتها مهارة وهي أداء يتم في سرعة وفهم ، وهذه هي مكونات المهارة ونوع الأداء وكيفية يختلفان باختلاف نوع المادة وطبيعتها وخصائصها والهدف من تعليمها^(١).

(١) حسن شحاته: أساسيات التدريس الفعال. القاهرة ، الدار المعرفية ، ١٩٩٣ م ، ص ١٤٦.

- أن يكون له معرفة بأنواع الوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم والتعلم التي تناسب تدريس مادة التاريخ.
- أن يكون على دراية بأساليب التقويم في مادة التاريخ.

٢. الجانب الوجداني^(١):

- أن تكون لدى معلم التاريخ الاتجاهات والقيم التالية:
 - تقدير مهنة التدريس وتدريس مادة التاريخ بصفة خاصة.
 - تقدير أهمية مادة التاريخ في بناء المواطن والوطن.
 - القدرة على التفاهم وتقبل الأمر والآراء المختلفة.
 - التفكير الموضوعي والنقد البناء.
 - الاهتمام بالبحث والاطلاع في مجال دراسة وتدريس مادة التاريخ.
 - إثارة دافعية الطلاب.
 - أن يكون متعاوناً ومشاركاً مع أطراف العملية التعليمية.
 - على قدر كاف من تحمل المسؤولية.
 - توافر بعض الصفات الشخصية كالعدل، والصدق، الالتزام، القدوة.

٣. الجانب المهاري:

- أن يمتلك معلم التاريخ المهارات التالية:
 - توظيف الاستراتيجيات والطرق والأساليب التدريسية المناسبة للموضوعات الدراسية.
 - اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة لمتطلبات التدريس.
 - أن يمتلك مهارة في تحليل محتوى المادة الدراسية.
 - التمتع بشخصية قيادية.

(١) محمد أمين عطوة: تدريس الدراسات الاجتماعية ، ط١. القاهرة ، السحاب للنشر ، ٢٠٠٩م ، ص١٠٤.

- توظيف البيئة المحلية كمصدر من مصادر التعليم في الجوانب المعرفية والمهارية والوجدانية.
 - بناء وتطبيق أدوات التقويم المناسبة.
 - إدارة سليمة للصف الدراسي من إثارة لدافعية الطلاب وتعزيز وتفاعل لفظي وغير لفظي.
- المطلب الثاني: السمات الخاصة**

وهي تشتمل على الجوانب المهارة التالية:

- الصياغة الجيدة لأهداف تدريس المادة، حيث الوضوح والشمول والتنوع ومن حيث اتساقها مع الأهداف العامة للتربية. وكذلك صياغة الأهداف السلوكية الخاصة لكل درس.
- التمكين من المهارات اللازمة لتخطيط وتنفيذ وتقييم التدريس.
- إتقان المهارات العلمية اللازمة لتدريس المادة التاريخية كاستخدام الخرائط التاريخية والخرائط الزمنية.
- توظيف الكتاب المدرسي من حيث استخدامه والاستفادة من معلوماته وحقائقه ووسائله التعليمية وما به من أنشطة وتدريبات.
- توظيف الأحداث الجارية في التدريس من حيث ملاءمتها وربطها بموضوع الدرس.
- توظيف البيئة المحلية في تسهيل دراسة المادة - مثل زيارة المتاحف التاريخية والزيارات والدراسات الميدانية.
- توظيف القراءات الخارجية (الإضافية) في تدريس مادة التاريخ.
- الاستخدام الجيد لتقنيات التعليم والقدرة على استخدام الأجهزة والأدوات اللازمة في تدريس المادة.
- بناء واستخدام أدوات وأساليب التقويم.

- التنوع في استخدام طرائق تدريس المادة.

المطلب الثالث: الصفات الواجب توافرها في معلم مادة التاريخ:

١. الإلمام بمادة التاريخ وإتقانها والتمكُّن منها.
٢. قدرته على التأصيل في مادة التاريخ لأنه من أكثر المعلمين المعنيين بأمر التأصيل.
٣. قوة الشخصية وتكون غالباً بطريقة التمكُّن من المادة.
٤. مرونة الطريقة والتنوع في الطرائق.
٥. الأمانة التاريخية وعدم التحيز وإتباع الهوى.
٦. الإدراك العميق لأهداف المنهج العامة والخاصة.
٧. القدرة على السرد والإثارة.
٨. معرفة ميول واتجاهات الطلاب.
٩. معرفة ترتيب الأولويات.
١٠. أن يكون قدوة حسنة (الحسن عندهم ما استحسنت والقبیح عندهم ما تركت^(١)).
١١. التحدث باللغة العربية الفصيحة في تدريس مادة التاريخ.
١٢. وضوح الصوت وقوته وتباين نبراته.
١٣. النشاط والحيوية والحماس داخل الفصل.
١٤. تحسين مستواه العلمي بالقراءة والإطلاع والبحث في بطون الكتب ووسائل المعرفة المختلفة (التعلم الذاتي).
١٥. يحضر دروسه ويعد وسائله ويحسن استخدامها.

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار ، الجزء الثاني ، ص ١٦٦.

١٦. كتابة الملخص السبوري بمعاونة الطلاب وتسجيله على السبورة بلغة عربية سليمة.
١٧. تحديد الأهداف السلوكية الخاصة لكل درس، أما الأهداف العامة ، فتكتب مرة واحدة في أول كراسة التحضير لأن التاريخ لا تتحقق أهدافه إلا بعد انتهاء المقرر.
١٨. مراعاة أخلاقيات المهنة والتأكيد عليها بما تسميه (ميثاق أخلاق المهنة لدى المعلم).
١٩. الامتناع عن سحب حصص الأنشطة لتدريس مادته.
٢٠. مراعاة الفروق بين الطلاب.
٢١. أن يكون ذا كفايات سلوكية عالية.
٢٢. أن يعي تماماً أن الطلاب أمانة لديه ويحرص على هذه الأمانة من خلال تطويره لنفسه وقدراته ومهاراته.
٢٣. أن يهتم بسلوك الطلاب في الفصل.
٢٤. أن يهتم بإدارة صفية فاعلة.

المبحث الثاني: مهارات تدريس مادة التاريخ

لا شك أن الاهتمام بالمهارات التدريسية والكفايات التربوية ضرورة تؤكدتها التوجهات التربوية الحديثة ، وأصبحت تربية المعلم في عصرنا هذا قائمة على الاهتمام بمهارات التدريس. وبما أن مهارات التدريس تتعدد حسب هدف كل منها ، فهناك مهارات خاصة بأداء المعلم النظري في التخطيط قبل دخوله الفصل. كما توجد مهارات تدريسية أدائية والتي تظهر فيها سلوكيات المعلم أثناء التدريس. وهناك مهارات التقويم التي يتم من خلالها التقويم الذاتي للمعلم لأدائه السابق والتعرف على نواحي القصور التي واجهته ووضع الخطط المناسبة للتغلب على ذلك القصور.

التخطيط للتدريس يمثل عملية منظمة ترمي إلى رسم الأسلوب أو طريقة العمل لبلوغ الأهداف المحددة مع الأخذ في الاعتبار العناصر المختلفة للموقف التعليمي من تلميذ ومعلم وإمكانيات ومواد تعليمية. والتخطيط للتدريس يعني (مجموع الأنشطة العقلية والتنظيمية والتي تستهدف صياغة وتحويل الأهداف المحددة إلى نتائج محسوسة)^(١).

ومما هو معلوم ، أن مكونات خطة التدريس في مادة التاريخ وغيرها من المواد تنقسم لنوعين:

١ / المكونات الروتينية. ٢ / المكونات الفنية.

١- المكونات الروتينية: وهي لا تتصل بعملية التخطيط ومع ذلك فهي ضرورية لإعطاء الشكل المتكامل للخطة ، وتشتمل على:

- أ- عنوان الموضوع أو الدرس. ب- تاريخ بدء ونهاية الخطة.
- ج- الزمن المناسب لأداء الخطة. د- الصف والفصل.

٢- المكونات الفنية: وهي المكونات الأساسية لعملية التدريس وتشتمل على الآتي:

- أ- أهداف التعلم. ب- إجراءات التدريس.
- ج- المواد والوسائل التعليمية. د- تقويم التعلم.
- هـ- الواجبات المنزلية. و- زمن التدريس.

(١) محمد أمين عطوة: مرجع سابق ، ص٨٧.

وعلى معلم مادة التاريخ إتقان مهارات التخطيط التالية والتي تساعد بالفعل على عملية التخطيط الجيد للتدريس بأن يكون قادراً على:

- ١ / تحديد موضوع الدرس.
 - ٢ / تحديد أهدافه الخاصة السلوكية (المعرفية - المهارية - الوجدانية).
 - ٣ / تحديد الوسائل المعينة لتدريس المادة.
 - ٤ / تقسيم الدرس لوحدات.
 - ٥ / وضع مقدمة مناسبة للدرس.
 - ٦ / تصميم إجراءات تدريس المادة العلمية بطريق المساءلة.
 - ٧ / تحديد أسئلة تقييمية لجوانب التعلم في الدرس.
 - ٨ / غلق الدرس.
 - ٩ / كتابة الملخص السبوري بمعاونة الطلاب.
 - ١٠ / تحديد الواجب المنزلي.
- ويرى الحصين وقنديل^(١) أن مهام تخطيط التدريس تتمثل في الآتي:
- ١ / تحديد خبرات التلاميذ السابقة ومستوى نموهم العقلي.
 - ٢ / تحديد المواد التعليمية والوسائل المتوفرة للتدريس.
 - ٣ / تحليل محتوى المادة العلمية للدرس وتحديد محتوى التعلم.
 - ٤ / صياغة أهداف التعلم.
 - ٥ / تصميم إستراتيجية لتحقيق أهداف التعلم.
 - ٦ / اختيار وتصميم أساليب تقويم نتائج التعلم.

وفي رأي الباحث أن التخطيط ما هو إلا عبارة عن عملية لوضع خطط يصنعها المعلم قبل فترة كافية من الحصة المحددة لذلك في حجرة الدراسة

(١) عبدالله على الحصين ويس عبدالرحمن قنديل: مهارات التدريس. دليل التدريب الميداني، ط٣. ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. الرياض، ص٢١.

وهو تصور مسبق للمواقف التعليمية ومجموعة التدابير المستخدمة لتنظيم عمليتي التعليم والتعلم. وهذا يعني الإعداد الذهني "Mental preparation" والإعداد الكتابي "written preparation" " لتحديد الأهداف والوسائل وأنسب الأساليب لتطبيقها.

المطلب الثاني: مهارات تنفيذ التدريس

إن ممارسة التدريس أو تنفيذه هو نتاج للتخطيط الجيد للتدريس ، ومهارات التنفيذ تتضمن قدرة المعلم على تطبيق ما خطط له حيث يتميز سلوك المعلم في مرحلة التنفيذ بالتفاعل مع التلاميذ. ويتوقف نجاح معلم التاريخ على تمكنه من مجموعة كبيرة من المهارات الخاصة بتنفيذ التدريس والتي يجب على معلم التاريخ إتقانها ومن هذه المهارات: تهيئة الطلاب وإثارة دافعيتهم بجانب مهارة عرض الدرس والتفاعل داخل الصف. وذلك لأن معلم التاريخ يواجه أحداثاً مضت تحتاج لقصاص ماهر وإلا فقدت الحصة متعتها وانصرف عنها المتلقي. كما أن مهارة ربط الماضي بالحاضر وتحديد وتحقيق الهدف من كل درس من المهارات الواجب إتقانها لدى معلم التاريخ وإلا كانت الحصة هماً ثقيلاً على التلاميذ. ولأهمية مهارات التنفيذ العملي للتدريس في عرض المادة التاريخية، فإن الباحث يورد شيئاً من التفصيل لأهم هذه المهارات والتي تتمثل في الآتي:

١- مهارة تقديم الدرس والتمهيد له:

هذه المهارة مهمة لتهيئة الطلاب وإثارة انتباههم ودافعيتهم للتعلم من خلال وسائل وأساليب متنوعة مثل طرح بعض الأسئلة أو قراءة في جريدة يومية، أو استضافة أحد المتخصصين أو شهود العيان، أو سرد قصة طريفة، أو طرح بعض الأحداث الجارية. وهذه المهارة تظهر فيها قدرة معلم التاريخ على تهيئة الطلاب لموضوع الدرس الجديد ويجعلهم في حالة ذهنية وانفعالية تساعدهم على الاندماج في الدرس. وإذا كانت المقدمة في شكل أسئلة قصيرة

، يستخلص منها العنوان بعد السؤال الأخير الذي يكون استنتاجياً يؤدي لعنوان الدرس الجديد.

٢- مهارة السرد والشرح:

وهي تظهر من خلال ما يقدمه معلم التاريخ حتى يتيسر لطلابه الفهم الجيد لهذه الحقائق والخبرات من أحداث وتفسير لها. وفي السرد يلتزم معلم التاريخ اللغة العربية الفصيحة، لأن معلم التاريخ هو خير من يخدم معلم اللغة العربية. والسرد والشرح من أكثر الطرائق والأساليب ممارسة في عرض المادة التاريخية وهي تعتمد على جهد المعلم وهو يلقي المعلومات ويقدم الحقائق ويشرح الغامض ويتبين العلاقات بين أجزائها، يناقش بطريقة المحاورة والمناقشة والمساءلة ويغير نبرات صوته حسب مقتضى الحال.

٣- مهارة حيوية المعلم وحماسه:

وهي من المهارات التي تظهر قدرة المعلم على تنويع أساليب الاتصال والمشاركة والتفاعل مع الطلاب باستخدام الأساليب اللفظية والأساليب اللا لفظية أو إثارة الانتباه للتأكيد على إجابة معينة وبما يجعل الطلاب في حالة انتباه كامل وذلك لحماس المعلم وتنوع أدائه^(١).

٤- مهارة صياغة الأسئلة وتوجيهها:

هذه المهارة يظهر فيها مقدرة المعلم على صياغة الأسئلة وطرحها واستخدامها مع مراعاة التدرج في مستوياتها وأساليب إلقائها. وهناك نوعان من الأسئلة في تدريس التاريخ من الطلاب للمعلم بعد نهاية كل وحدة ثم أسئلة المعلم للطلاب. ولا بد للمعلم أن يكون مطلعاً وملمأً ومتمكناً من مادته ، كما يمكنه أن يستخدم الحيل التربوية للتخلص من بعض الأسئلة الصعبة والذكية بحسن تصرفه.

(١) زيد الهويدي: مهارة التدريس الفعال ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م ، ص ٤٥.

٥- مهارة استخدام الوسائل التعليمية:

هنالك أهمية كبيرة في استخدام الوسائل في تدريس التاريخ لأنها تزيد الحقيقة التاريخية وضوحاً ورسوخاً وتسهل توصيل المادة وتقريبها، وهذه الوسائل التعليمية تساعد على تحقيق أهداف الدرس وتجعل التعلم أسرع وأكثر فائدة وأبقى أثراً.

٦- مهارة استخدام السبورة في تدريس التاريخ:

سبورة الفصل تساعد المعلم على نقل الخبرات التعليمية لطلابه. والسبورة هي كراسة المعلم وعنوان اهتمامه، واهتمام المعلم بالسبورة يحقق أهدافاً تربوية سلوكية لأن التلاميذ مقلدون. ومعلم التاريخ من أكثر المعلمين استخداماً للسبورة؛ فهو يقسمها لثلاثة أقسام، يكتب العنوان الرئيس للدرس في الوسط وتحتة خطان، ويكتب العناوين الجانبية وتحتها خط واحد وعلى الهامش الثالث يرسم الخرط ويسجل الأسماء والتواريخ والمواقع. كما يجب أن يسجل التاريخ الهجري والميلادي. ويجيء اهتمام معلم التاريخ بالوسائل التعليمية لأن مادة التاريخ تتضمن علاقات زمنية يصعب على التلاميذ تصورها وفهمها حتى تظل صورة الماضي ماثلة أمامهم.

٧- مهارة التعزيز:

وفي هذه المهارة، تظهر قدرة معلم التاريخ على استخدام أساليب التعزيز الإيجابي وهو المطلوب أو التعزيز غير الإيجابي وذلك لتعديل السلوك غير المرغوب فيه. ومما يؤكد علماء التربية ومنهم (ثورندايك) أن إثابة الطفل على عمل صالح يؤدي أن يدفعه للقيام به مرة أخرى على أمل الحصول على قدر من الثواب والذي بدوره يترتب عليه الشعور بالسعادة والنشوة ويبتعد عن القيام بالعمل الطالح مخافة العقاب وما يترتب عليه من الألم^(١).

(١) محمد أحمد كرم وآخرون: الإدارة الصفية بين النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الفلاح، ١٩٩٥م، ص١٩٥.

٨- مهارة استثارة الدافعية:

وفي تلك المهارة، تظهر قدرة معلم التاريخ على إثارة الفرد وتحريكه وتوجيه سلوكه لتحقيق أهداف الدرس، وهذه المهارة تدفع التلاميذ إلى التعلم بمستوى يؤدي إلى تحقيق الأهداف بإتقان.

٩- مهارة غلق الدرس:

وتظهر فيها قدرة معلم التاريخ على إنهاء الدرس وختمه في الوقت المحدد له، فهي تمثل النشاط الختامي لموضوع الدرس وتكون بجذب التلاميذ لنقطة نهاية منطقية أو إبراز عناصر الدرس المهمة، كما تكون بتشويق التلاميذ لما هو آتٍ.

١٠- مهارة تقويم جوانب التعلم:

وفي هذه المهارة، تتضح قدرة معلم التاريخ على تخطيط الاختبارات التحريرية والشفوية وصياغة أسئلتها بصورة فنية سليمة ومتدرجة مع استخدام أنواع مختلفة من الأسئلة يراعى فيها معلم التاريخ شمول هذه الاختبارات لجوانب الخبرة المعرفية والمهارية والوجدانية. كما تتضح في هذه المهارة قدرة المعلم على تصحيح تلك الاختبارات والاستفادة منها في تشخيص نواحي القوة والضعف لدى التلاميذ.

المطلب الثالث: مهارات التقويم:

التقويم هو وسيلة لإدراك مدى بلوغ التلاميذ للأهداف المرتجاة من دراسته لمادة التاريخ ولغيرها من المواد. وهناك العديد من الأساليب المتنوعة التي تساعد معلم التاريخ في تقويم تلاميذه في كافة جوانب التعلم المختلفة (المعرفية - المهارية - الوجدانية) وهي تتمثل في:

(١) الاختبارات الشفوية. (٢) الاختبارات التحريرية.

(١) أما الاختبارات الشفوية، فهي تساعد على تنمية قدرة التلاميذ في الحوار والمناقشة.

(٢) بينما الاختبارات التحريرية تنقسم لقسمين هما:

أ) اختبارات المقال في التاريخ وهي تعطى التلميذ حرية في الإجابة وتساعد على تشخيص قدرته التعبيرية مما يعزز قيمتها كمقياس للتحصيل.

ب) أما الاختبارات الموضوعية، فهي أكثر شمولاً من الاختبارات الموضوعية ونجد الآتي:

١ / اختبارات الصواب والخطأ.

٢ / اختبارات الاختيار من متعدد.

٣ / اختبار المزاوجه أو المقابلة.

٤ / اختبار التكملة.

٥ / اختبار الترتيب (الترتيب الزمني للأحداث).

واختبارات مادة التاريخ يجب أن تشتمل على أسئلة مقالية وأسئلة موضوعية كما تشتمل على رسم الخرائط التاريخية والخرائط الزمنية.

المطلب الرابع: المهارات المتعلقة بمادة التاريخ

(١) إن التدريس المثمر لمادة التاريخ لا يتحقق إلا إذا فهم القائمون على تدريس المادة طبيعة هذه المادة وأدركوا أهميتها في تربية النشء. فهي تهدف لإكساب الطلاب مهارات متنوعة منها تحليل المشكلات وإيجاد حلول لها ، ومعرفة مصادر المعلومات وجمعها وتنظيمها ، ومهارات البحث عن علل الأشياء والربط بين الظواهر التاريخية وتفسير المعلومات المختلفة^(١).

(١) محمد السكران: أساليب تدريس الاجتماعيات ، دار الشروق ، ١٩٨٩م. ص١٠٧.

وفي رأي الباحث أن الجانب المهاري المتعلق بالمادة الدراسية ، من أهم جوانب التعلم خاصة في ظل الانفجار المعرفي والتقدم العلمي. لأن إعداد المواطن المزود بالمهارات يساعده على مواكبة التطورات السريعة من حوله في مختلف المجالات.

(٢) ويؤكد عطوة^(١) أنه بمراجعة أهداف دراسة وتدريس التاريخ ، يلاحظ أنها تؤكد على تعليم العديد من المهارات ومنها:

١. استخدام المراجع.
٢. جمع المعلومات وتنظيمها وتصنيفها.
٣. كتابة البحوث القصيرة.
٤. التحليل والتفسير للأحداث التاريخية.
٥. تنظيم المادة العلمية والأحداث التاريخية في صيغ جديدة.
٦. تحديد المصادر المختلفة اللازمة للبحث في التاريخ.
٧. التفكير النقدي.
٨. قراءة الوثائق.
٩. كشف الحقائق والمغالطات.
١٠. القدرة على اتخاذ القرار وإصدار الحكم.

(٣) ومن خلال تدريس الباحث لمادة التاريخ بالمدارس المتوسطة والثانوية ومعاهد إعداد المعلمين - ومازال الباحث يقوم بتدريس مادة التاريخ في كلية التربية الآن - فإن دراسة مادة التاريخ تتيح للطلاب فرصاً طيبة لتنمية بعض المهارات منها:

١. مهارة البحث والتنقيب عن المعلومات التاريخية في بطون الكتب ومصادر المعرفة المختلفة.

(١) محمد أمين عطوة: مرجع سابق ، ص ٥٥.

٢. مهارة القراءة والكتابة والاستماع والتحدث والمناقشة.
٣. مهارة الربط بين الأسباب والنتائج وإرجاع الأمور لأسبابها الحقيقية.
٤. تُكسب الطالب مهارة حب الرحلات العلمية وزيارة المتاحف ومناطق الآثار.
٥. إجادة الأعمال اليدوية كالرسم والتلوين والتصوير وعمل المجسمات والخرط وغيرها.
٦. مهارة تصميم الخرائط التاريخية والخرائط الزمنية.
٧. مهارات الملاحظة المنظمة للأحداث التاريخية المختلفة والتي من خلالها يمكن اكتشاف الأسباب والتنبؤ بالنتائج.

المبحث الثالث: المهارات التي يوجد قصور في درجة ممارستها لدى معلم التاريخ:

يرى الباحث من خلال تجربته في تدريس وتوجيه مادة التاريخ أن هنالك مهارات يوجد قصور في درجة ممارستها وضعف في أداء كثير من معلمي التاريخ لها. وقد حدد الباحث أهم هذه المهارات في الآتي:

- ١/ مهارة صياغة الأهداف السلوكية.
- ٢/ مهارة تحليل المحتوى.
- ٣/ مهارة صياغة الأسئلة الصّفيّة.
- ٤/ مهارة الإدارة الصّفيّة والتفاعل مع الطلاب.
- ٥/ مهارة التحدث باللغة العربية الفصيحة.

أولاً: صياغة الأهداف السلوكية:

يعرف الهدف السلوكي بأنه " وصف دقيق للتغيرات المتوقعة حدوثها في سلوك الطالب نتيجة تزويده بخبرات وأنشطة تعليمية محددة"^(١).

(١) محمد مزمل البشير: المناهج العامة ، جامعة السودان المفتوحة ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٣٤.

وهذا المستوى من الأهداف يصوغه المعلم لتحقيقه بنهاية الحصة الدراسية أو بنهاية
الدرس ، وهو ما يشار إليه في التحضير بالأهداف الخاصة. وتنقسم هذه الأهداف لثلاثة
أنواع:

(١) أهداف معرفية: وهي ما يكتسبه التلميذ من معلومات وحقائق وتعميمات.

(٢) أهداف مهارية: وهي ما يكتسبه التلميذ من مهارات جسمية أو ذهنية.

(٣) أهداف وجدانية: وهي ما يتمثله التلميذ من قيم واتجاهات وتوجهات شعورية.

كما أن قاعدة الهدف السلوكي تكون كما يلي:

أن + فعل سلوكي (فعل مضارع) + التلميذ + مصطلح من المادة العلمية + الحد
الأدنى للأداء المطلوب.

وينبغي أن يراعى في الهدف السلوكي أن النشاط المتضمن فيه أو النتاج النهائي يكون
قابلاً للملاحظة والقياس.

ثانياً: تحليل المحتوى التدريسي لمادة التاريخ:

نجاح أي معلم في العملية التعليمية ، يحتاج أن يكون المعلم على دراية واسعة بجوانب
المحتوى الذي يقوم بتدريسه من أهداف ومضمون علمي بما يحتويه من حقائق ومفاهيم
واتجاهات وقيم ومهارات وأنشطة وأساليب تقييمية، وتحليل المحتوى التدريسي للمادة ،
يعد أول خطوات التخطيط اليومي ، إذ يحدد المعلم من خلالها جوانب التعلم المعرفية
والمهارية والوجدانية المتضمنة في الدرس.

ثالثاً: صياغة الأسئلة الصفيّة:

نجاح معلم التاريخ وغيره من المعلمين ، يتوقف على قدرته على صياغة أسئلة جيدة
وطرحه لهذه الأسئلة على التلاميذ.

وهناك شروط ينبغي أن تتوافر في أسئلة المعلم منها:

١. أن تكتب الأسئلة وأجوبتها في كراسة التحضير وتكتب الأجوبة بلون مختلف
للتمكن من مقارنتها سريعاً.

٢. أن تكون الأسئلة واضحة ومحددة ومتراصة.

٣. أن يوجه السؤال لجميع التلاميذ بعد إعطائهم فرصة للإجابة.
٤. أن تطرح الأسئلة بلغة عربية سهلة فصيحة.
٥. أن يغير صياغة السؤال إن لم يجد مجيباً.

كما أن هنالك مشكلات تؤدي للضعف في صياغة الأسئلة منها:

١. الأسئلة التي تعتمد على التخمين.
٢. الأسئلة الغامضة.
٣. الأسئلة التي توحى بالإجابة.
٤. الأسئلة المربكة وهي التي تتضمن عدداً من المتغيرات.

رابعاً: الإدارة الصفية والتعامل مع الطلاب:

تعنى إدارة الصف القدرة على إعداد وتهيئة المجال الحيوي للتعليم وتوجيهه والتحكم فيه حتى يحدث التغيير المطلوب في سلوك التلاميذ. وإدارة الصف تعد من أكثر التحديات التي تواجه المعلمين وبخاصة المبتدئين منهم. وبدون إدارة صفية سليمة لا يتحقق تعليم وتعلم صفّي فعّال ، ولا شك أن إدارة الصف شرط ضروري لإنجاح العملية التعليمية والتقليل من أهميتها ينعكس سلباً على المخرجات التعليمية.

خامساً: التحدث باللغة العربية الفصيحة:

لا شك أن اللغة العربية هي يسر لا عسر ، بجانب أنها يجب أن تكون لغة التحدث في الفصول الدراسية وهذا أمر مهم في التأصيل، لذا يكون استخدام المعلم وتلاميذه للغة العربية أمراً مهماً في التدريس الفعّال ؛ فهي لغة الفصاحة والبلاغة والأدب ، وفوق هذا وذاك هي لغة القرآن الكريم التي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وتدريس التاريخ ثلاثمه اللغة العربية إذ إن التاريخ كتب بأجمل اللغات واللغة العربية هي أم اللغات.

المبحث الرابع: المهارات في مجال التأصيل الإسلامي

دراسة التاريخ تُكسب الدارس مهارات في مجال التأصيل الذي يربط التاريخ بالعلوم الشرعية، ففي القرآن ذكر لأخبار الشعوب البائدة وأخبار أصحاب الفيل وأصحاب الأخدود وأصحاب الكهف والرقيم وهذه الأخبار أوردتها الله في كتاب للعظة والعبرة، والقرآن يوجه المسلمين أن الهدف من ذكر الحوادث التاريخية والتي تعج بها سور القرآن هو الاعتبار، ونحن نتدبر كل آيات القرآن، فإن ذكرت الآية هلاك الأمم السابقة عمل القارئ على العظة والعبرة. والقرآن بذلك أصدق وثيقة تاريخية تحتوى أخبار الماضي والحاضر والمستقبل، وفي رأى الباحث أن المسلمين مطالبون بدراسة التاريخ ليروا كل يوم سقوط الحضارات التي لم تآتمر بأمر الله لأنها ما قامت على التقوى ولا الإيمان كالشيوعية التي أفلت والرأسمالية التي تلفظ أنفاسها. كما أن دراسة التاريخ من خلال هذه السنة الربانية، تعتبر جزءاً مهماً من التربية التي تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح.

وبما أن التاريخ من الميادين التي اهتم بها علماء المسلمين، فإن التوجهات الإسلامية والقيم التربوية التي يغرسها معلمو التاريخ في دارسيهم، تكون مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية. ومعلم التاريخ من الذين يهتمون بأمر التأصيل لأنه يبصر الأجيال بخطورة ما تتعرض له أمة الإسلام من هجمات صليبية شرسة، ومن مخاطر الغزو الثقافي والاستلاب الحضاري. كما أن معلم التاريخ يتصدى لحمولات التشكيك وتصحيح الأخطاء التي دسها اليهود والنصارى وبخاصة من خلال أساليب التنصير والاستشراق^(١).

وبما أن القرآن الكريم هو المعجزة القولية الخالدة، فهو أصدق وثيقة حوت أخبار الماضي والحاضر و ما يسفر عنه المستقبل. وهذا يؤكد ضرورة توافر الكفايات

(١) أحمد محمد أحمد الجلي: دراسات في الثقافة الإسلامية، ط١. شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠٠٦م.

والمهارات التأصيلية في تدريس مادة التاريخ ، وكذلك الاهتمام بتأصيل تربية المعلم. (فإن صُلحت مناهج تربية المعلم ، صلح المعلم واستقام ، وبصلاحه واستقامته ، تصلح الأجيال الناشئة وتستقيم وتكون قادرة على تحمل أعباء النهوض الحضاري^(١) .

ملاحظات أخيرة^(٢):-

(١) هنالك نقاط مهمة في تخطيط وتنفيذ وتقييم التدريس، يجب أن يضعها معلم التاريخ في أولوياته، وهي:

(٣) أولاً: عند تسجيل موضوع الحصة، لا بد أن يسأل المعلم نفسه: لماذا أدرس هذا الموضوع؟

وهنا تأتي الأهداف السلوكية والتي يسجلها بعد دراسة ومراجعة المادة. وهي الأهداف التي يستطيع هو وطلابه أن يحققوها في هذه الحصة.

(٤) ثانياً: يقوم المعلم بتسجيل الوسائل التعليمية والتي سيستخدمها أثناء الحصة والتي ستعينه في توصيل المعلومات لطلابه، وعليه أن يقوم بإعدادها جيداً والتأكد من صلاحيتها.

(٥) ثالثاً: يسأل المعلم نفسه: كيف سأحقق تلك الأهداف؟

وهنا تأتي الأساليب والأنشطة وعندها يفكر لكل هدف بأسلوب أمثل يحققه بدءاً من التمهيد وما يليه من خطوات لعرض المادة التاريخية لدرسه.

(٦) رابعاً: لا بد للمعلم من التأكد من تحقيق الأهداف، وهذا يعني التقييم، ولضمان تقييم مستمر في الحصة لا بد من تقييم يعقب كل وحدة أو عنصر للتأكد من تحقيقه، ثم تقييم ختامي يؤكد أن الأساليب والأنشطة أدت إلى تحقيق كل الأهداف المرجاة.

(١) بشير حاج التوم: دراسات في التربية - الجزء الأول ، ط١ .١٠٧٠٢٠٠٧ م ، ص٤٩ .

(٢) لمزيد من المعلومات يمكنك الرجوع لكتاب أساليب التدريس للدكتور عبدالغنى إبراهيم. جامعة السودان المفتوحة.

- خامساً: الواجب المنزلي أو النشاط البيتي:
ويكون ضماناً لاستمرارية التقويم ولزيادة التركيز على ما يريد المعلم أن يركز عليه الطلاب لرفع مستواهم، وهذا النشاط اللاصفي المتمثل في الواجب المنزلي يعتبر تدعيماً للنشاط الصفي وتدريباً للتعلم الذاتي.
ومن الضروري أن يتابع معلم التاريخ الواجب المنزلي ويصححه بدقة وعناية.
- سادساً: الملاحظات:
هنالك مكان يخصص للملاحظات يذكر فيه المعلم الأسباب التي حالت دون تنفيذ الخطة وما إذا كان التحضير لأكثر من حصة وكذلك الوسائل التي تم استخدامها والأسباب التي حالت دون استخدام الوسائل المبينة، وكذا يذكر المعلم الخطوات المقترحة لتحقيق ما لم يتم تحقيقه من أهداف وغيرها.
- (١) تقويم الدرس الواحد بواسطة المشرف:
هذا مما كان معمولاً به في معهد تدريب معلمي المتوسطة ببخت الرضا مما كان يمثل أساساً في تقويم الطلاب/المعلمين في مادة التاريخ وغيرها.

م	نطاق التقويم	جيد جداً ١٠	جيد ٧	متوسط ٥	ضعيف ٢
١.	التحضير				
٢.	التمكّن من المادة				
٣.	الوسائل واستخدامها				
٤.	الشخصية وإدارة الصف				
٥.	مشاركة التلاميذ				
٦.	تحقيق الأهداف				

- ملاحظة:

يقسم مجموع الدرجات على ٦ بنود ليصبح المتوسط هو مستوى الحصة.
(٢) المواد التي يجب ملاحظتها في مشاهدة درس من الدروس في مادة التاريخ وغيرها من المواد:

أ- الهدف من الدرس:

١/ ماذا كان الهدف أو الأهداف من الدرس ؟
٢/ هل كان من الممكن الحصول على ذلك الهدف في طلاب الصف الذي شاهدت فيه ؟

٣/ لماذا وكيف ؟

ب- مقدمة الدرس:

١/ كيف ابتدأ المعلم درسه ؟
٢/ هل حاول تشويق الطلاب من البداية ؟

ج- مادة الدرس:

١/ ما نوع المادة وعنوان الدرس ؟
٢/ هل كانت سهلة أم صعبة ؟
٣/ هل كانت المادة فوق مستوى الطلاب أم أقل أم حسب مستواهم ؟
٤/ هل تعتقد أن المدرس قد استعد وحضر نفسه جيداً للحصة ؟

د- طرائق التدريس:

١/ كيف كان يسير الدرس ؟
٢/ ماذا كان يعمل الطلاب أثناء تدريس المادة وعرضها ؟
٣/ هل كان الدرس على وتيره واحدة ؟
٤/ أي التقنيات استخدم لجذب الطلاب ؟
٥/ هل استطاع المعلم أن يؤصل في عرضه للمادة التاريخية ؟

- (٣) المهام والأدوار التي يقوم بها معلم مادة التاريخ الكفاء في عرضه للمادة التاريخية:
- تمكن الباحث من زيارة أربع مدارس نموذجية من مدارس مرحلة الأساس والمرحلة الثانوية بمدينة ود مدني، وتمكن من مشاهدة ثمانية دروس في التاريخ نفذها معلمون ومعلمات من الأكفاء ذوي الخبرات، وقد لاحظ الباحث خلال هذه الحصص النموذجية، أن هؤلاء المعلمين قاموا بأداء مهام وواجبات في عرض المادة التاريخية لم تتوافر لغيرهم من المعلمين في المدارس الأخرى التي زارها الباحث، وهذه المهارات التي توافرت لدى الأكفاء، هي من الكفايات التي يجب توافرها في معلم مادة التاريخ والتي سبق أن أشار لبعضها الباحث في الصفحة السابعة من هذه الدراسة.
- يلتزم بتحضير دروسه اليومية ويخطط لها بكفاءة عالية.
 - يحدد الأهداف التعليمية بوضوح ويصوغ أهدافاً سلوكية قابلة للملاحظة والقياس.
 - يربط محتوى الدرس بالأهداف المعرفية والمهارية والوجدانية.
 - يهيئ بيئة صفية مناسبة.
 - يستخدم اللغة العربية الفصيحة في عرضه للمادة التاريخية.
 - يستخدم أسلوب الحوار والمناقشة ويشجع طلابه على المشاركة في الدرس.
 - ينوع في طرائق وأساليب التدريس.
 - يجيد استخدام السبورة في تدريسه.
 - يستخدم الوسائل التعليمية التي تناسب كل موقف.
 - يهتم بالرحلات التاريخية العلمية وزيارة المتاحف والأماكن الأثرية.
 - يبرز علاقة مادة التاريخ بالعلوم الأخرى.
 - يهتم بالأنشطة الصفية واللا صفية.
 - يجتذب انتباه طلابه ويستخدم أساليب التعزيز المختلفة.
 - يشوق الطلاب لحصة التاريخ ومتابعة أحداثها.

- يجيد استخدام وطرح الأسئلة الشفوية.
 - يهتم بتفعيل الكتاب المدرسي.
 - لا ينظر لكتاب التلميذ المدرسي على أنه صورة يجب أن تتكرر في عقول تلاميذه.
 - يخطط مواقف تعليمية لتدريب الطلاب على رسم الخرائط الزمنية.
 - يدرّب الطلاب على كتابة الملخص السبوري.
 - يدرّب الطلاب على كتابة البحوث التاريخية.
 - يستشهد بالقرآن والحديث والأدب العربي والأدب الشعبي في دروس التاريخ.
 - يغلق الدرس في الوقت المحدد له.
 - يصحح الأخطاء الشائعة في مقررات التاريخ.
 - يوظف دروس التاريخ في كشف مخططات أعداء الإسلام.
 - يسعى لترسيخ العقيدة الإسلامية والقيم الدينية من خلال دروس التاريخ.
 - يهتم بالواجبات المنزلية في دروس التاريخ.
 - يستخدم جهاز الكمبيوتر وشبكة الإنترنت عند الضرورة.
- يراعى الآتي:

- التخطيط العام لتنفيذ المقررات ووضع خطة دراسية على مدار العام الدراسي.
- التخطيط الدراسي اليومي مع تحديد الأهداف والوسائل والأساليب والأنشطة وأساليب التقويم.
- الإلمام بالمادة العلمية وتوظيفها بمهارة.
- إتقان المادة العلمية وتأصيلها.
- استخدام لغة سليمة ملائمة أثناء الدرس.
- تهيئة الجو النفسي الحافز لإشراك الطلاب في الدرس.
- مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.

- تحديد خبرات التلاميذ السابقة ومستوى قواهم العقلية.
- تحليل محتوى المادة العلمية للدرس وتحديد محتوى التعلم.
- توظيف الأسئلة الشفوية ومتابعة الطلاب من خلال الواجبات والاختبارات التحريرية والشفوية.
- إدارة الصف إدارة سليمة.
- الإسهام في حل مشكلات الطلاب بطريقة تربوية.
- إقامة علاقات طيبة مع أسرة مدرستك.
- المواظبة والعمل على تقليل أيام الغياب.
- توجيه التلاميذ بالحضور منذ بداية اليوم الدراسي وأثناء طابور الصباح وعدم الخروج إلا بإذن.
- تفعيل دفتر الغياب والحضور.
- حث الطلاب على حسن استخدام المرافق العامة والحرص على النظام والنظافة داخل وخارج المدرسة.
- إتباع الأسلوب التربوي الصحيح في الثواب والعقاب.
- ضرورة أداء صلاة الظهر في الحرم المدرسي.
- اهتمام المعلم بمظهره ومخبره.

الخاتمة

نتائج الدراسة وتوصياتها

أولاً: النتائج:

- ١/ مهارة معلم مادة التاريخ التدريسية تتمثل في قدرته وكفاءته في أدائه التدريسي في جوانب التخطيط والتنفيذ والتقويم.
- ٢/ تمكن معلم التاريخ من مهارات عرض المادة التاريخية بيسر عملية التعليم.
- ٣/ هنالك مهارات تتعلق بمادة التاريخ يكتسبها الطالب من خلال التدريس الفعال للمادة.
- ٤/ التعلم الذاتي ضرورة لمعلم التاريخ حتى يتمكن من مواكبة المستجدات من حوله.

ثانياً: التوصيات:

- ١/ اختيار مشرفي التربية العملية من الأساتذة ذوي الاختصاص التربوي.
- ٢/ ضرورة الاهتمام بطرائق التدريس التي تهتم بجهود المتعلم مع التنوع في الطرائق والأساليب.
- ٣/ ينبغي ألا يركز معلم التاريخ على الطريقة الإلقائية بصفة أساسية.
- ٤/ أن تعتمد دورات تدريبية أثناء الخدمة لمعلمي مادة التاريخ تركز على استخدام المهارات في تدريسهم لمادة التاريخ.
- ٥/ أن يجيد معلم التاريخ استخدام سبورة الفصل في عرضه للمادة التاريخية.
- ٦/ أن يستخدم وسائل تعليمية وتقنيات تربوية في عرضه مادته.
- ٧/ أن يكون لمعلم التاريخ أسلوبه المتوازي في الثواب والعقاب وإدارة الصف.
- ٨/ ضرورة تفعيل مهارات التأصيل لربط المادة بمبادئ الإسلام وحياة الطالب في مجتمعه.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

- السنة النبوية.

ثانياً: المراجع العربية:

١. المنجد في اللغة العربية ، الطبعة العشرون ، دار المشرق. بيروت.
٢. ابن منظور: لسان العرب ، دار الجيل ، بيروت (المجلد الخامس).
٣. حسن حسين زيتون: مهارات التدريس ، عالم الكتب ، ط ١. ٢٠٠١م.
٤. حسن شحاته: أساسيات التدريس الفعال ، الدار المعرفية القاهرة ، ١٩٩٣.
٥. محمد أحمد كريم وآخرون: الإدارة الصفية بين النظرية التطبيق، ط ٢، الفلاح، ١٩٩٥م.
٦. محمد أمين عطوة: تدريس الدراسات الاجتماعية ، ط ١ ، ٢٠٠٩م.
٧. محمد السكران: أساليب تدريب الاجتماعيات ، دار الشروق ، ١٩٨٩ م.
٨. محمد مزمل البشير: المناهج العامة ، جامعة السودان المفتوحة ، ٢٠٠٥.
٩. مصطفى محمد صالح: مجلة التأصيل ، أكتوبر ١٩٩٥ م.
١٠. عبد الله على الحصين ويس عبدالرحمن قنديل: مهارات التدريس. دليل التدريب الميداني. الرياض ، ١٩٩٤م.
١١. عبدالرحمن أحمد عثمان: مناهج البحث العلمي وطرق كتابة الرسائل الجامعية ، دار جامعة إفريقيا. ١٩٩٥م.
١٢. عبد الغنى إبراهيم: أساليب التدريس ، جامعة السودان المفتوحة ، ٢٠٠١ م.
١٣. عبد الحميد السيد: التاريخ في التعليم الثانوي.(أهدافه ، مناهجه وتدريبه) الانجلو المصرية. ١٩٧٩م.

١٤. على الطاهر شرف الدين: التأسيس، مركز تأصيل العلوم، جامعة القرآن الكريم و تأصيل العلوم.

١٥. عيسى محمد نزال شويطر: إعداد و تدريب المعلمين ، ط ١،٢٠٠٩ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Oxford Dictionary , second Edition , 1988.
2. Doglus Barnes. (curriculum study).
3. E.Dala , Audi Visual Methods in Teaching. new york , 1974.

آثار التدخل الأمامي في نزاع دارفور

د. حافظ التاج مختار الحسن*

* - أستاذ القانون المساعد، بكلية الشريعة والقانون، جامعة القرآن وتأصيل العلوم.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على تدخل الأمم المتحدة في النزاعات الداخلية، وقياس مدى تأثير هذا التدخل على الأوضاع الداخلية للدول التي حدث فيها التدخل سواء كان أثراً إيجابياً أو سلبياً، وتعنى الدراسة بصفة أساسية ما حدث في إقليم دارفور والنزاع الذي نشب فيه، كدراسة حالة يمكن القياس عليها في كثير من التدخلات الدولية التي حدثت في عالمنا المعاصر.

وتتشدد الدراسة التعرف على مفهوم التدخل ومعانيه وأنواعه ونطاقه والشرعية التي يستند عليها في التدخل، والهدف من التدخل والصلاحيات والاختصاصات التي تثبت بموجب التدخل كل ذلك بالأسانيد القانونية التي تبيح ذلك.

مع الإشارة للجهود التي يجب على الأطراف الدولية الالتزام بها والعمل من أجلها لحماية ومراعاة أهداف وغايات التدخل، من حماية للإنسان وتوفير حاجياته الأساسية والضرورية والتي لا تستقيم حياته إلا بتوفيرها المادية منها والمعنوية، كالأمن والحرية والكرامة والمساواة والعدالة وحق الحياة والشرف والتعبد والاعتقاد والفكر والرأي، دون حجر عليه من أحد أو طائفة أو حزب أو نظام.

إن مبدأ التدخل ملزم في العلاقات الدولية في حالة النزاعات الدولية والداخلية، ولكن بقيود نصت عليها الاتفاقيات الدولية وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة، ومن ضمن هذه القيود ألا يخالف هدف التدخل الأهداف القانونية التي شرع من أجلها، وألا يتجاوز القدر الذي يبيحه التدخل في الشؤون الداخلية للدول المتدخل فيها.

وتشير الدراسة إلى أن لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور أثراً إيجابياً من الناحية الإنسانية وكذلك النواحي الأخرى كما له أثر سلبي.

وتشتمل هذه الدراسة على أربعة مباحث المبحث الأول إقليم دارفور الجغرافيا والتاريخ، والمبحث الثاني الأمم المتحدة النشأة والميثاق والمبادئ، المبحث الثالث الأثر الإيجابي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور، المبحث الرابع الأثر السلبي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال قدرته وعظمته وعدد خلقه ووزنه عرشه ومداد كلماته، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والإنسانية الصادق الأمين وعلى آله وصحابه أجمعين والتابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

في هذه الورقة البحثية نقف على حقيقة الأوضاع الدولية في ظل وجود النزاعات الداخلية والتي تلقي بظلالها على المجتمع الدولي من الناحية الأمنية والسلمية، وبسبب هذا الأثر أصبح تدخل المجتمع الدولي ممثلاً في الأمم المتحدة ضروري في النزاعات الداخلية، لكن هذا التدخل يتم عادة بضوابط وقواعد وأهداف وغايات محددة من أجلها شرع التدخل.

فإذا كان التدخل ضرورياً في حالة النزاعات الدولية والداخلية، فإن الضرورة فيه محكمة بقيود ومواثيق وشروط وليست متروكة على إطلاقها ومن هذه القيود ما نصت عليها القوانين والمواثيق الدولية، ومن الشروط الخاصة بالتدخل ألا يتعارض مع الأهداف التي شرع من أجلها، وأن يكون في حدود القدر الذي يجيزه القانون دون التأثير على الدولة المتدخل فيها، أما إذا كان التدخل بخلاف ذلك فهو غير مشروع وغير قانوني.

ونحن نتحدث عن تدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور كأنموذج للنزاعات الداخلية لابد من الوقوف على المسوغات القانونية التي دعت لهذا التدخل، والبحث في مدى الاهتمام وتعاطي الأمم المتحدة مع نزاع دارفور بالمقارنة بينه وبين النزاعات الداخلية الأخرى وحتى النزاعات الخارجية.

ومن خلال هذا الموضوع توصلت إلى أن للأمم المتحدة ومن خلال تدخلها في نزاع دارفور تركت آثاراً إيجابية وأثاراً سلبية كل يظهر في موضعه، وحقيقة الأوضاع تُدلل على ما ذهبنا إليه أن للأمم المتحدة دوراً إيجابياً ودوراً سلبياً من خلال ما انتهجته وتعاملت به مع نزاع دارفور.

مشكلة البحث: يكمن تحديد مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:-

١. ما مفهوم التدخل وما هي حدوده وأنواعه ومشروعيته ؟
٢. ما هو الهدف من إقرار مبدأ التدخل في العلاقات الدولية ؟
٣. هل هنالك آثار تترتب على إعمال مبدأ التدخل في العلاقات الدولية ؟
٤. ما هو الأثر الذي تترتب على تدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور؟
٥. هل كان تدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور مشابهاً تدخلها في النزاعات الداخلية الأخرى ؟

أهداف البحث: يهدف الباحث من خلال الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:-

١. التعرف على إقليم دارفور من حيث الجغرافيا والتاريخ وطبيعة السكان وحقيقة النزاع والأبعاد السياسية المتعلقة به.
٢. توضيح مفهوم التدخل وأهميته وتحديد نطاقه وأهدافه وضوابطه والتعامل به استناداً على المواثيق العالمية ومنها ميثاق الأمم المتحدة.
٣. بيان دور الأمم المتحدة الإيجابي والسلبي من خلال تدخلها في نزاع دارفور والأثر الذي تترتب على ذلك.

أهمية البحث: تأتي أهمية الموضوع من حيث الاعتراف بمبدأ التدخل وما يجب أن تقوم عليه العلاقات الدولية، مع الإشارة إلى أن التعامل بهذا المبدأ يجب ألا تتأثر به الأوضاع الداخلية للدولة التي حدث فيها التدخل، باعتبار أن أسبابه مبررة في العلاقات الدولية لارتباطها بالمجتمع الدولي بأسره.

وتبدو أهمية الموضوع واضحة إذا اشرنا للوضع السلبي الذي تترتب على تدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور وكذلك الوضع الإيجابي، بالإضافة إلى إجراء مقارنة في مدى التدخل في نزاع دارفور مع نزاعات داخلية أخرى جرى فيها تدخل، وكذلك حدوث نزاعات أخرى كانت تقتضي التدخل من قبل الأمم المتحدة ولم يحدث ذلك.

← حدود البحث: للبحث حدود موضوعية وزمانية ومكانية فالحدود الموضوعية آثار التدخل الأممي في نزاع دارفور، والحدود الزمانية منذ نشأة النزاع إلى العام ٢٠١٥م، أما الحدود المكانية هي منطقة دارفور بولاياتها الخمس .
منهج الباحث:- اتبع الباحث المنهج الوصفي والتاريخي وهما من المناهج التي تناسب دراسة الموضوع مع إجراء بعض المقارنات في الموضوعات محل البحث.
هيكل البحث:- تناول الباحث هذا الموضوع بالدراسة في أربعة مباحث هي على النحو الآتي:-

المبحث الأول: إقليم دارفور الجغرافيا والتاريخ.

المبحث الثاني: الأمم المتحدة النشأة والتدخل الدولي.

المبحث الثالث: الأثر الإيجابي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور.

المبحث الرابع: الأثر السلبي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور.

المبحث الأول

إقليم دارفور الجغرافيا والتاريخ

المطلب الأول: جغرافيا إقليم دارفور:

ونحن نتحدث عن إقليم دارفور من حيث الجغرافيا والتاريخ كمدخل لدراسة هذا الموضوع، لا بد من الإشارة إلى أن السودان من ناحية تاريخية كان مقسماً لعدة تقسيمات، ومن ضمن هذه التقسيمات السودان الشمالي والذي قامت فيه ثلاث ممالك إسلامية هي (مملكة الفونج، وسلطنة دارفور، ومملكة دنقلا)^(١).

ونحن بصدد دراسة تتعلق بنزاع دارفور فلا بد من الإشارة إلى المملكة التاريخية التي ينسب إليها وهي سلطنة الفور، وتعتبر سلطنة الفور في دارفور من ناحية تاريخية هي أول حركة مقاومة سودانية ضد الاحتلال البريطاني، حيث أجبرت السلطات البريطانية على استخدام القوة في سبيل القضاء على هذه الحركة فهزمت السلطان على دينار بن ذكريا^(٢) سلطان الفور وكان ذلك في ٢٠ رجب ١٣٣٤هـ - ٢٢ مايو ١٩١٦م^(٣).

(١) مملكة الفونج كانت في الفترة من (١١٢٢٧/هـ)، (١٥٠٥م / ١٨٢١م) وسلطنة دارفور من (١٠٠٥هـ / ١٣٣٥هـ)، (١٥٩٦م - ١٩١٦م) ومملكة دنقلا (٩٧٨هـ / ١٢٩٨هـ)، (١٥٧٠م - ١٨٨٠م).

(٢) السلطان على دينار بن ذكريا (١٨٥٦م) إلى: (١١ محرم ١٣٣٥هـ / ٦ نوفمبر ١٩١٦م) آخر سلاطين الفور من السلالة الكيراوية في سلطنة دارفور بالسودان، أقام في مدينة الفاشر (عاصمة دارفور)، وأقام مصنعاً لصناعة كسوة الكعبة وظل طوال عشرين عاماً تقريباً يرسل كسوة الكعبة إلى مكة المكرمة، وينسب إليه حفر أبار علي ميقات أهل المدينة للإحرام للحج والعمرة حوار المدينة المنورة و تجديد مسجد ذو الحليفة، ولد في قرية "شوية" بدارفور والده "ذكريا بن محمد فضل" ساند عمه السلطان "أبو الخيرات" في تمرد "أبو حمزة"، وأعلن سلطاناً بعد وفاة السلطان أبو الخيرات، وانضم للثورة المهديية وقدم إلى الفاشر عام ١٨٩١م، واستشهد مدافعاً عن استقلال البلاد في اليوم السادس من نوفمبر عام ١٩١٦م. https://ar.wikipedia.org/wiki/السلطان_على_دينار_بن_ذكريا

(٣) إسماعيل أحمد ياغي والشيخ محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الجزء الثاني، قارة أفريقيا، دار العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية - ١٩٩٨م، ص (٤٨-٤٩، ٥٦-٥٧).

أما من ناحية الجغرافيا تعتبر مساحة دارفور (٥١٠ ألف كلم^٢)، وتساوي مساحة بلاد الشام (سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين)، وهي أكبر من مساحة فرنسا.

أما من حيث الموقع يتمتع إقليم دارفور بموقع استراتيجي مهم حيث تشكل حدوده الغربية حدود السودان الخارجية مع مصر وليبيا وتشاد وأفريقيا الوسطي^(١)، وبسبب هذه الموقع الاستراتيجي ظل لقبائل دارفور دور كبير في تشكيل حركة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الدول المجاورة من خلال التركيبة السكانية. السكان في دارفور يزيد عددهم عن ربع سكان السودان بقليل، ومنطقة دارفور تشتهر بالكثافة السكانية المسلمة وتسمي ولاية القرآن الكريم عندما كانت ولاية واحده قبل التقسيمات الحالية لكثرة وجود حفظة القرآن بها.

ويتكون سكان هذه المنطقة من قبائل عربية وهم ينتمون إلى (١٥٠) قبيلة من أصل (٥٧٢) قبيلة تشكل مجموعة قبائل السودان،^(٢) هذه القبائل متصاهره ومتداخلة فيما بينها في العادات والتقاليد والأعراف، ومشكلاتها مزمنة وصراعاتها متجددة بداية حول الماء والمرعي نتيجة لجغرافية الإقليم التي يغلب عليها التصحر.

والنزاعات في هذا الإقليم في السابق ما إن تبدو وإلا عمل الزعماء في الإقليم على حلها بالوسائل السلمية والودية عن طريق جلسات الصلح وما شابهها، ويرجع الفضل في ذلك لعقيدة أولئك الزعماء ومدى تدينهم وعمق أيمانهم، بخلاف الفئات الموجودة حالياً التي تدعي الزعامة والتصدي لقضايا الإقليم.

المطلب الثاني: دارفور التاريخ:

من الناحية التاريخية كانت دارفور مملكة إسلامية مستقلة ذات حكم ذاتي، تعاقب على حكم هذه المملكة عدد من السلاطين وآخرهم السلطان (علي

(١) نورا عبد القادر حسن، التمرد المسلح في دارفور، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٥٢)، يوليو ٢٠٠٢م، ص ٣٦٦.

(٢) السيد مصطفى احمد أبو الخير، أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر، الطبعة الأولى، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة - ٢٠٠٦م، ص ٣٥.

دينار)، وكان للإقليم عملته الخاصة ويحكم في ظل حكومة فيدرالية، ويحكم بموجبها زعماء القبائل مناطقهم، وكانت هذه الفيدراليات مستقلة تماماً حتى سقطت في الحقبة العثمانية، حيث استمرت هذه الفيدراليات مستقلة نحو عشر سنوات، وشكل الأمراء والأعيان حكومات ظل كانت مسؤولة عن قيادة جيش دارفور الموحد الذي كان يشن عمليات المقاومة ضد الجيش العثماني تحت راية واحدة.

أما عن طبيعة النزاع فتختلف الروايات حول النزاع الأول الذي ظهر على السطح كحالة تستحق المعالجة الخارجية في دارفور، فوفقاً لمركز أبحاث تراث دارفور أنه لم تسجل حالة تخطى فيها النزاع حدوده الطبيعية كخلاف صغير بين رعاة ومزارعين إلا عام ١٩٦٨م^(١)، وكان خلافاً عربياً عربياً (رعوياً) بين الرزيقات و المعاليا، وقيل خلاف إداري وسياسي حيث وعدت الأحزاب المعاليا بالاستقلال عن إدارة الرزيقات وإعطائهم نظارة منفصلة من أجل كسب أصواتهم الانتخابية.

ومع ذلك يمكن القول أن طبيعة الصراع في دارفور شأنه شأن الصراعات في أفريقيا حيث يتداخل فيها الماضي بالحاضر، وكذلك الشأن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والداخلي والإقليمي والخارجي وتسارعت الأحداث في الإقليم بفضل الاهتمامات الدولية والإقليمية لهذا النزاع.

والناظر إلى التطور التاريخي للنزاع يجده بدأ في الستينات عندما نشأت (حركة سوني)^(٢)، والتي تحولت إلى حزب سياسي (حزب نهضة دارفور) وكان ذلك عقب ثورة ١٩٦٤م، ولكن شهد الإقليم نمواً متزايداً في النزاعات

(١) مركز أبحاث تراث دارفور: تم تأسيسه عام ١٩٩٨م بهدف جمع وتوثيق المكون الحضاري لدارفور من التراث المادي والفكري والوثائق الرسمية والأهلية والتراث الشفهي وهو يتبع لجامعة الفاشر.

(٢) سوني: أول حركة تدعو صراحة لحمل السلاح على غرار أنانيا بجنوب السودان وتأثرت هذه الحركة بأدييات مقاومة المستعمر والاشتراكية الأفريقية، ولكن معظم قيادات حركة (سوني) التحقت في وقت لاحق ببعض الأحزاب السياسية خاصة الشيوعي بينما بقي جزء منها مستقلاً بأطروحاته حتى انقلاب مايو في مايو ١٩٦٩م.

القبليّة والإقليميّة شأنه شأن الأقاليم الأخرى وكان ذلك ١٩٨٩م. بعد ذلك ظهرت العديد من حركات التمرد المسلحة كحركة داوود بولاد ١٩٩١م، وغيرها من الحركات الأخرى وهي تنادي جميعاً في أجندتها وتتشتر بقسمة عادلة للموارد بين مكونات دارفور من ناحية وبين دارفور والمركز من ناحية أخرى، مما أخرج القضية إلى دائرة أكبر متعددة الأبعاد ودخل فيها البعد السياسي وتمرد على السلطة المركزيّة^(١)، وبعد ذلك جاء التحالف الفيدرالي الديمقراطي السوداني والذي فشل أيضاً بسبب النزاعات القبليّة في دارفور^(٢).

ولكن الصراع أخذ منحني خطيراً بظهور حركتي تحرير دارفور (السودان لاحقاً) والعدل والمساواة حيث انطلقت منها شرارة الصراع الحالي وبالتحديد في ولايتي شمال وغرب دارفور، ومن ثم لحقتها بالظهور الحركة الوطنيّة للإصلاح (حوات)^(٣). وتنامي ظهور الحركات بعد ذلك فما وقعت الحكومة على اتفاق مع حركة إلا وظهرت حركة جديدة، والسبب في ذلك لأن الحكومة لم تتخذ موقفاً موحداً اتجاه هذه الحركات، ابتداءً من وصفها بقطاع الطرق إلى الإقرار بوجود معارضة سياسيّة إلى نعتها بحركات متمردة .

وإذا أردنا أن نحدد أسباب تنامي الصراع نجد منها ما هو عامل داخلي

- (١) أحمد آدم بوش - جدلية العلاقة بين العوامل البيئية والنزاعات في دارفور - مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا - الملف الدوري - نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٣م، ص ٢٤.
- (٢) هو تنظيم فيدرالي يضم غالبية أبناء دارفور بقيادة أحمد إبراهيم دريح وهذا التحالف بني وحدات مسلحة، وأسس معسكرات تدريب وقد شارك هذا التحالف في اضطرابات شرق السودان.
- (٣) هي حركة دارفور أعلنت في بيان لها أنها أول فصيل مسلح في دارفور وهما حركة سياسيّة سودانية المنطلق والأهداف قومية التكوين والرؤية وطنية الهوية والأجندة شعبية ثورية.

كالصراعات بين المزارعين والرعاة، ومنها ما يتعلق بالصراعات القبلية الداخلية^(١)، ومنها ما هو سياسي داخلي كسياسات الحكومة الخاصة بإضعاف الإدارة الأهلية وغياب التنمية، ومنها ما هو سياسي خارجي كالحروب الأهلية في تشاد وأفريقيا الوسطى والعلاقات الخارجية السيئة مع ليبيا ومصر.

وإذا نظرنا إلى غياب التنمية نجده نتاج طبيعي لتراكم سياسات خاطئة للحكومات المختلفة اتجاه الإقليم منذ فترة ليست بالقليلة، وبالتالي حدث هذا الصراع كتعبير حقيقي للشعور بعدم العدالة في توزيع الثروة^(٢).

وقد ركزت وسائل الدعاية والإعلام الغربية المعرّضة على جعل نزاع دارفور صراع ثقافي اجتماعي خاصة بين العرب والأفارقة، وهذا ليس سبب صحيح حيث نفته الحكومة السودانية مراراً وتكراراً، ومع ذلك نشير إلى أن أسباب الصراع عديدة ومع ذلك كان يمكن حلها بدراية وحكمة زعماء القبائل في دارفور، وفي إطار النطاق الداخلي (سوداني - سوداني) دون الحاجة إلى تدخلات خارجية من الأمم المتحدة والمنظمات المختلفة وكذلك الاتحاد الأفريقي.

-
- (١) في عام ١٩٦٨م دار قتال بين قبيلتي الرزيقات و المعاليا، وفي عام ١٩٨٠م نشب صراع بين السلامات والتعايشه وفي عام ١٩٩٠م بين الزغاوة والقمر.
- (٢) محمد مورد، ملاحظات حول مشكلة دارفور، مجلة المختار الإسلامي، العدد (٢٦٦)، نوفمبر/٢٠٠٤م، ص ٢٠.

المبحث الثاني

الأمم المتحدة النشأة والميثاق والمبادئ

المطلب الأول: نشأة الأمم المتحدة:

بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الضرورة إلى تكوين تنظيم وهيئة دولية لحفظ السلم والأمن الدوليين بين أفراد المجتمع الدولي، وبالتحديد في عام ١٩٤٥م شهد العالم والمجتمع الدولي ميلاد أول منظمة أو هيئة دولية جديدة ودخولها في ميدان العمل وهي منظمة الأمم المتحدة^(١).

وفكرة إنشاء منظمة الأمم المتحدة جاءت بعد محاولات عديدة في سبيل منع اندلاع الحروب بين الشعوب، فعملت العديد من الدول على تبني هذه الفكرة خاصة الدول المتحالفة، والتي انتهت بعد ذلك إلى تشكيل ميثاق عالمي أجمعت عليه جميع الدول من حيث مبادئه وأهدافه .

وعليه يمكن القول بأن المنظمة نشأتها كانت نتيجةً واستجابةً لإعلانات فردية وتصريحات ثنائية تشير إلى ضرورة وجود تنظيم دولي أو هيئة دولية تعمل على حل النزاعات بصورة سلمية وودية بعيداً عن الاحتراب^(٢).

ومع وجود هذه الإعلانات الفردية والثنائية كانت توجد تصريحات ثنائية تعمل على تعزيز أحكام السلم والأمن بين دول العالم، بالرغم من أن هذه التصريحات لم تشير صراحة إلى وجود تنظيم دولي معين، إلا أنه يستخلص من مدلولاتها ضرورة وجود

(١) إبراهيم احمد شلي - أصول التنظيم الدولي (النظرية العامة و المنظمات الدولية) - القاهرة - الدار الجامعية - ١٩٨٠م - ص ١٤٥.

(٢) مثال التصريحات الفردية ما صدر من الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت في شأن ضرورة وجود تنظيم دولي يعمل علي منع الحروب و حل النزاعات بالصورة الودية من خلال الرسالة التي بعث بها للكونغرس الأمريكي في ١/٦/١٩٤١م.

تنظيم دولي من خلال مضامين الأمن الجماعي ومبدأ عدم اللجوء إلى القوة في حل النزاعات بين الدول^(١).

ومع وجود هذه الإعلانات الفردية والتصريحات الثنائية كانت هناك تصريحات متعددة الأطراف من بعض دول العالم، تهدف إلى تحقيق اتفاق دولي في ظل وجود تنظيم دولي يحفظ السلم ويمنع الحرب في المستقبل^(٢)، ولعل أبلغ مثال لتلك المشروعات المتعددة الأطراف التصريح المشترك بين كل من كندا وإنجلترا وأستراليا ونيوزلندا وجنوب إفريقيا والعديد من الدول الأخرى^(٣).

وجاءت تبعاً لهذه الأعمال المذكورة تصريح الأمم المتحدة في واشنطن، والذي تم فيه اقتراح مسمى (الأمم المتحدة) ولذلك استحق وصفه صراحة بتصريح الأمم المتحدة، والذي نص على ضرورة وجود إنشاء منظمة دولية دائمة تقوم على مبادئ وأهداف واضحة، وتزود بسلطات ملائمة وأجهزة مناسبة وإمكانات مادية بقدر ما يوكل إليها من مهام، وتوالت بعد ذلك التصريحات فكان تصريح موسكو وتصريح طهران ومؤتمر يالطا على البحر الأسود في الاتحاد السوفيتي^(٤).

ومن خلال المؤتمرات التي تم انعقادها لهذا الشأن تم الاتفاق على المسائل الإجرائية والمسائل التنظيمية للمنظمة، فمن المسائل الإجرائية كانت المهلة الزمنية للدول الكبرى لتعديل اقتراحاتها بخصوص المنظمة وكذلك جداول الأعمال الخاصة بها.

(١) ومثال التصريحات الثنائية (تصريح الأطلنطي) وهو الصادر من مخرجات اجتماع الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت مع رئيس وزراء إنجلترا تشرشل والذي استمر لعدة أيام صدر بما هذا التصريح في الرابع عشر من أغسطس من عام الف وتسعمائة وواحد و أربعون ميلادي.

(٢) د. محمد حافظ غانم - الأمم المتحدة - القاهرة - ١٩٦٣م - ص ٨٥.

(٣) هذا التصريح المتعدد الأطراف تم إقراره في الثاني عشر من شهر يونيو لعام الف و تسعمائة وواحد و أربعون ميلاديه، وقد وردت في المادة الثالثة منه (إن الأساس الوحيد والممكن لسلام دائم هو التعاون التلقائي للشعوب الحرة في عالم يزول فيه التهديد بالعدوان، و يطمس فيه الجميع علي امنهم الاقتصادي و الاجتماعي و انه لديهم النية في العمل علي تحقيق هذه الأغراض معاً و مع الشعوب الحرة الأخرى سواء وقت الحرب أو السلم).

(٤) حسن الجلي - مبادئ الأمم المتحدة وخصائصها التنظيمية - بغداد - ١٩٧٠م - ص ٢٠.

ومن المسائل التنظيمية التي تم نقاشها والاتفاق عليها رئاسة المنظمة وتكوين اللجان وتحديد المقرر، وطريقة عمل المنظمة وكيفية اتخاذ القرارات بداخلها وتحديد السلطات والاختصاصات وكذلك الأعمال التكميلية^(١).

تم إجماع الدول على ميثاق الأمم المتحدة وكذلك الوثيقة الخاصة بالأحكام الوقتية في ٢٦/يونيو ١٩٤٥م، وقد دخلت هذه الوثائق حيز التنفيذ في ٢٤/أكتوبر ١٩٤٥م. وفي عام ١٩٤٦م تم اختيار الأمين العام والأعضاء غير الدائمين بمجلس الأمن وكذلك قضاة محكمة العدل الدولية^(٢)، بالإضافة إلى إقرار الكثير من الأمور من ضمنها أعمال الأمانة العامة وإجراءات التوظيف والامتيازات والنظام المالي للهيئة وتسجيل المعاهدات.

المطلب الثاني: ميثاق ومبادئ الأمم المتحدة:

من المبادئ الأساسية لميثاق الأمم المتحدة حفظ السلم والأمن الدوليين وفض النزاعات الداخلية بالوسائل السلمية^(٣)، وأشار الميثاق إلى أن الوسائل السلمية تتمثل في وجوب التزام أطراف النزاع جانب المفاوضات والتحكيم والتسوية القضائية أو اللجوء إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية^(٤).

كما أقر الميثاق مساواة الدول أمام القانون كقاعدة عامة، دون تفریق بينهما بحسب الدولة أو إمكاناتها الاقتصادية أو العسكرية، فمبدأ المساواة في العلاقات

(١) هذه المسائل الإجرائية و التنظيمية والتكميلية تم حسمها عبر سكرتارية مؤقتة قامت بإعداد أحكام انتقاله، فوافقت لجنة التوجيه علي هذه المقررات في الثالث عشر من شهر يونيو لعام الف وتسعمائة وخمس وأربعون ميلادي، ومن ثم وافق عليها المؤتمر الدولي بالإجماع في الخامس و العشرون من شهر يونيو لعام الف و تسعمائة و خمس و أربعون ميلادي.

(٢) كان هذا الاجتماع في لندن العاشر من يناير لعام ألف وتسعمائة وست وأربعون ميلادي، والأمين الذي تم اختياره للمنظمة هو المستر ترغفي لي.

(٣) للمزيد انظر المادة (٢) من ميثاق الأمم المتحدة ١٩٤٥م.

(٤) المادة (٣٣) من ميثاق الأمم المتحدة ١٩٤٥م.

الدولية يعمل على صيانة حياة الدولة نفسها^(١). كما يفرض على المجتمع الدولي احترامه حتى تتحقق التبعية للدول والمحافظة عليها، والمساواة لها قيمة كبرى تستمد محتواها وتكتسب لونها من النطاق الذي فيه، والناظر إلى الحياة الدولية يجد الغالب فيها انعدام المساواة في حياة الدول من خلال النظر للدول بمعايير مزدوجة قوامها حجم الدولة واقتصادها ونفوذها .

ومن مبادئ الميثاق احترام سيادة الدول التي تعتبر بمثابة الحرية للفرد في القانون الوطني من حيث حرته في أن يتصرف كيف يشاء، وفق القانون دون أن يتعرض لحریات الآخرين أو الإخلال بالنظام العام والآداب^(٢)، وبناءً على ذلك فحرية الدول مضبوطة بالتزام القواعد القانونية الدولية التي نص عليها الميثاق، وفي إقرار مبدأ سيادة الدول كفالة وضمن لعدم التدخل في شئونها الداخلية^(٣).

ونص الميثاق في الفقرة الثانية من المادة الثانية على أنه (لكي يكفل أعضاء الهيئة لأنفسهم جميعاً الحقوق والمزايا المترتبة على صفة العضوية يقومون بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق في حسن نية)، وحسن النية من المبادئ التي لا تستقيم الحياة بدونها، وانتفاء حسن النية في النظام القانوني الداخلي يكون من شأنه تقرير بطلان التصرف والتفويض، أما إذا انعدم حسن النية في القانون الدولي فإنه يؤدي إلى انهيار التنظيم الدولي بأكمله.

وحل النزاعات بالطرق السلمية من أوجب واجبات الميثاق والسبب في ذلك لأنه يجعل الحياة الدولية في مأمن وبعيدة عن الخطر^(٤)، وإذا لم يتوصل أطراف النزاع إلى حل

(١) على إبراهيم، حقوق والواجبات الدولية في علم متغير، المبادئ الكبرى والنظام الدولي الجديد، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٧ - ص ٥١.

(٢) إبراهيم احمد شلي أصول التنظيم الدولي، النظرية العامة والمنظمات الدولية، مرجع سابق - ص ١٨١.

(٣) مبدأ المساواة في السيادة بين الدول، أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة عشر في أول ديسمبر ١٩٦٠م، تحت مسمى إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة.

(٤) للمزيد انظر المادة ٣/٢ من الميثاق.

سلمي عليهم البحث عن طرق أخرى يتم الاتفاق عليها والامتناع عن أي عمل يؤدي إلى تفاقم الخلاف^(١).

المطلب الثالث: مفهوم التدخل وضوابطه وأنواعه:

الضلع الأول: مفهوم التدخل:

أولاً: تعريف التدخل في اللغة:

مفردة التدخل من دخل يدخل دخولاً وتقول دخل الشيء إذا أصبح بداخله والدخول ضد الخروج، وداخل الشيء خلاف خارجه ودخلت الدار دخولاً صرت داخلها فهي حاوية لك، ودخل في الأمر دخولاً أخذ فيه ودخلت علي زيد الدار إذا دخلتها بعده وهو فيها^(٢)، وتدخل في الأمر أقحم وأدخل نفسه فيه أي دخل وشارك فيه.

وعرف التدخل أيضاً بمعني العيب والريبة ويقال لهذا الأمر دخل ولذا قال الله تعالى (وَلَا

تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ)^(٣)، أي مكروهاً وخديعة^(٤).

ثانياً: تعريف التدخل في الاصطلاح:

أما من الناحية القانونية فمن الفقهاء من نظر إلى التدخل بمفهوم (ضيق ومنهم من نظر إليه بمفهوم واسع) وسبب الاختلاف في المفهوم مرده الاختلاف في وجهات النظر. حيث عرفه أوبنهايم: (أنه تدخل قسري أو ديكتاتوري من قبل دولة في شئون دولة أخرى يتم تنفيذه لفرض سلوك أو تبعات معينة على تلك الدولة)^(٥).

(١) الطرق السلمية لحل النزاعات كثيرة منها الاتفاق بين الدولتين دون تدخل طرف ثالث، وقد تكون بتدخل طرف ثالث، أو إحداث تسوية بتدخل منظمة دولية من هذا الشأن.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - الرافعي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - المجلد الأول - المكتبة العلمية - بيروت لبنان - ص ١٩٠.

(٣) سورة النحل الآية ٩٤.

(٤) المختار الصحاح - الشيخ محمد أبي بكر عبد القادر الرازي - دار التنوير - بيروت - لبنان - ص ٢٠٠.

(5) Oppenheim's international law vd. Ninth Edition 1992 page No430.

وعرفه أحد فقهاء القانون: (بأنه فعل إرادي على درجة من الجسامة يباشره شخص قانوني دولي بنية حرمان الدولة من التمتع بسيادتها واستغلالها)^(١).

وورد التدخل أيضاً في القانون بمعنى: (التدخل لتسوية النزاع أو التدخل بالقوة أو التهديد بها في الشئون الداخلية للدول الأخرى)^(٢)

ويبدو هذا الاتجاه واقعياً ومنسجماً مع العلاقات الدولية في عالمنا المعاصر، كما يمثل التدخل كل عمل إرادي من جانب دولة أو منظمة دولية تتعرض به للشئون الداخلية أو الخارجية لأي دولة أخرى دون سند من القانون، كما يمكن القول أيضاً أن التدخل يعني قيام دولة أو منظمة دولية بتصرفات مباشرة أو غير مباشرة، من شأنها المساس بسيادة الدول أو اختصاصاتها الداخلية أو الخارجية دون مبرر قانوني لذلك.

الفرع الثاني: ضوابط التدخل الدولي:

وبناء على ما سبق يتضح لنا أنه لا بد من توافر عناصر وشروط أساسية للتدخل الدولي حتى يصبح أمراً مشروعاً، وإلا كانت فيه مخالفة للقوانين الدولية ومن ضمنها ميثاق الأمم المتحدة هذا إذا لم تتوفر الشروط والمبررات والتي تتمثل في الآتي:

أولاً: الطرف الفاعل في التدخل دائماً وأبداً ما يكون دولة أو منظمة دولية، فلا يتصور التدخل إلا ممن تتوافر لديه الشخصية القانونية الدولية سواء كانت دولة أو منظمة دولية.

ثانياً: الطرف الآخر المستهدف من التدخل دائماً وأبداً ما يكون دولة، فلا يتصور التدخل الدولي إلا عندما يحدث هذا السلوك في مواجهة دولة.

ثالثاً: محل التدخل مظاهر السيادة والاستقلال التي تتمتع بها الدولة وتميزها ككيان يتمتع بالشخصية القانونية الدولية.

(١) محمد مصطفى يونس - النظرية العامة لعدم التدخل في شؤون الدولة دراسة فقهية تطبيقية في ضوء مبادئ القانون الدولي المعاصر - ١٩٨٥م - ص ٣١.

(٢) منير البعلبكي - المورد - دار العلم للملايين - ط ٢ - ١٩٩٤م - ص ٤٧٧.

رابعاً: السلوك الصادر من الطرف المتدخل لا بد وأن يكون من شأنه المساس بسيادة الدولة أو حقها في الاستقلال، ويعني ذلك أن يصوب هذا السلوك (أي سلوك التدخل) نحو الشؤون الداخلية أو الخارجية للدولة.

خامساً: تكون صور التدخل حسب قصد الطرف الفاعل في التدخل.
سادساً: وجود سند قانوني يبرر فعل التدخل^(١).

أهداف التدخل الدولي تختلف من حالة إلي أخرى، إذ يمكن أن يشمل التدخل حماية الرعايا وحماية الأقليات، وإنهاء الاعتداءات الداخلية، واحتواء الهجرة من خلال توطين المهاجرين من اللاجئين، والتصدي للمآسي الإنسانية نتيجة الكوارث الطبيعية أو البشرية، ودعم حركات التحرر الوطني بناء علي حق تقرير المصير^(٢)

الفرع الثالث: أنواع التدخل الأممي:
أولاً: التدخل الفردي:

أما عن أنواع التدخل فإنه ينقسم إلي تدخل (فردى وجماعى)، أما عن التدخل الفردي (وشكله أن تتدخل دولة في شئون دولة أخرى إنابة عن المجتمع الدولي)، والذي قد تأكد رفضه في العديد من الوثائق الدولية أهمها الإعلان الخاص بعدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول الصادر بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٨١ م ، والذي يوجب على الدول الامتناع عن استقلال وتشويه المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان بهدف التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وكذلك ممارسة الضغط على الدول أو إحداث الشك أو الاضطراب داخل دولة أخرى أو بين مجموعة من الدول،

(١) سامح عبد القوي السيد، التدخل الدولي بين المشروعية وعدم المشروعية وانعكاساته علي الساحة الدولية، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) عبد المعز عبد الغفار نجم، مفهوم التدخل الإنساني في القانون الدولي مع دراسة لبعض تطبيقاته، مجلة الدراسات القانونية، العدد الثاني ١٩٩٠م، ص٣٥.

وبالرغم من ذلك انقسم الفقه الدولي حول مشروعية التدخل الدولي المنفرد بين من يعتبره مشروعاً ومن يعتبره غير مشروع^(١).

ثانياً: **التدخل الجماعي**: أما عن التدخل (الجماعي) والذي يسمى الأجنبي أحياناً فصورته أن يتم التدخل تحت مظلة وغطاء الأمم المتحدة، ومرجعته في ذلك ميثاق الأمم المتحدة الذي يرى أن أي تهديد للأمن والسلم الدوليين من جانب دولة ما يشكل استثناء على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء بناء على النص الآتي: ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق، على أن هذا المبدأ لا يخل بتدابير القمع الواردة في الفصل الرابع من الميثاق^(٢)، وهذا يعني أن منظمة الأمم المتحدة لها الحق في التدخل في الشؤون الداخلية للدول بواسطة قرار صادر من مجلس الأمن الدولي استناداً إلى الفصل السابع من الميثاق.

وبناءً على ذلك يتفق البعض على أن التفسير الضيق للتدخل يتفق مع المرحلة الأولى لإنشاء منظمة الأمم المتحدة، حيث كانت الحروب وسيلة مشروع ومقبولة لتسوية النزاعات الدولية، غير أنه لا يتفق مع المرحلة اللاحقة لإبرام ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، حيث تم حظر استخدام القوة في العلاقات الدولية إلا في حالتين الأولى تدابير الأمن الجماعي التي يتخذها مجلس الأمن بموجب الفصل السابع من الميثاق، والثانية الدفاع الشرعي بموجب المادة الواحدة بعد الخمسين من الميثاق^(٣).

(١) عبد الكريم علوان، التدخل لاعتبارات إنسانية، مجلة الحقوق، جامعة البحرين، العدد (٢) يوليو ٢٠٠٤م، ص ٢٢٨.

(٢) انظر نص المادة ٧/٢ من الميثاق.

(٣) ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص من الحق الطبيعي للدول فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلا أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدوليين والتدابير التي اتخذها الأعضاء إعمالاً لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فوراً، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال على المجلس في مقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى بالضرورة اتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدوليين أو إعادته إلى نصابه.

ومن ثم فإن عدم إدراج التدخل الدولي الإنساني ضمن هاتين الحالتين إضافة إلى حصر التدخل في اللجوء إلى القوة العسكرية يعني القضاء عليه، وهذا ما لا يتفق مع الانتهاكات الجسمية والخطيرة لحقوق الإنسان في عدة دول ولاسيما حينما يكون الإنسان مهدداً في حياته ووجوده بسبب انتمائه لفئة معينة أو تكلمه بلغة خاصة أو إيمانه بعقيدة مختلفة أو اتسامه بلون مغاير للآخرين.

المبحث الثالث

الأثر الإيجابي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور

مثل ما كان لتدخل الأمم المتحدة دور سلبي في نزاع دارفور فإن له كذلك دوراً إيجابياً، وذلك يتمثل في الاعتبارات الإنسانية خاصة من خلال اهتمام هذه المنظمة باللاجئين والمشردين والجرحى والأسرى، فالتدخل في النزاعات الداخلية لحل هذه الإشكالات لا يعد تدخلاً في مسائل تعد من صميم الاختصاص الداخلي للدول، بل هو من صميم أهداف وغايات المنظمة^(١).

- أولاً: إن الاعتداء على حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وتعرض اللاجئين إلى إبادة ومجاعات أو اضطهاد الأقليات، كل ذلك يجعل حداً للسيادة المطلقة للدولة ويفرض لها قيوداً حتى يفسح مجالاً لسيادة المجتمع الدولي^(٢)، وهذا ما حدث فعلاً من الحركات المسلحة التي تعرضت للاجئين والمشردين وكذلك المدنيين بأشد أنواع الانتهاكات مما جعلت هنالك مبرراً لتدخل الأمم المتحدة في ذلك النزاع لمنع هذه الظواهر الخطيرة أو الحد منها.

- ثانياً: دخول الأمم المتحدة في كثير من النزاعات الداخلية ليس الغرض منه إلا حصر آثار الصراع في نطاق محدد، لأن كثيراً من النزاعات ونزاع دارفور خير مثال امتدت آثاره إلي الخارج مما كان لها أثر في تدفقات اللاجئين والمشردين بالخارج مما أدى ذلك إلي انتشار الجريمة بسببهم في دول لم تكن جزءاً من أطراف النزاع مما يشكل ذلك فعلاً يهدد السلم والأمن الدوليين^(٣)، لذلك فإن دور الأمم في هذا

(١) للمزيد انظر المادة ٧/٢ من ميثاق الأمم المتحدة.

(٢) حازم حسن جمعه، مفهوم اللاجئين في المعاهدات الدولية والإقليمية، مركز الدراسات السياسية، القاهرة، ١٩٩٧م،

ص ١٦

(٣) إبراهيم احمد نصر الدين، اللاجئين في المنازعات الداخلية في أفريقيا، مركز الدراسات السياسية، جامعة القاهرة،

١٩٩٧م، ص ١٥٨.

الشأن عمل حصر آثاره في نطاق ضيق حتى لا يتعدى إلى بقية الدول المجاورة للسودان.

- ثالثاً: العديد من النزاعات الداخلية ومثل ما حدث بالفعل في دارفور قد تؤدي إلى تهديد الدولة في كيانها السياسي، من حيث سعي الإقليم إلى الانفصال عن بقية أقاليم الدولة الأخرى، وذلك من خلال تكوين كيان سياسي مستقل مما يدفع الأقاليم الأخرى إلي حذو نهج ذلك الإقليم في سبيل الحصول على الاستقلالية من الدولة الأم، والشاهد أن دور الأمم المتحدة في تدخلها في هذا النزاع كان إيجابياً وذلك للحد من هذا الاتجاه.^(١)

- رابعاً: في أحيان كثيرة نجد أن هذا النوع من النزاعات يتطلب تدخل الأمم المتحدة لتلعب دوراً في إيقافه، لأنه في بعض الحالات قد تستمر إلى نحو يصعب معه التنبؤ بانتهائها بل في قد تؤدي إلى انهيار الحكومة المركزية، وذلك لخلق نوع من الاضطرابات السياسية المستمرة وعدم الاستقرار كما حدث في العديد من الدول الأفريقية.^(٢)

- خامساً: الدور الإيجابي للأمم المتحدة أيضاً في نزاع دارفور يتمثل في الحد من الآثار الاقتصادية لذلك النزاع، إذا نظرنا إلى أنه يؤدي إلى إعاقة حركة التنمية وتدمير البنية التحتية، وخلق أعباء جديدة تتمثل في عمليات الإغاثة اللازمة لضحايا هذا النزاع، بالإضافة إلى انشغال المواطن بحماية نفسه بعيداً عن المساهمة في عملية التنمية بالبلاد وهذا ما وفرته الأمم المتحدة.

- سادساً: العديد من الدول وهي في ظل هذه الأجواء السياسية المضطربة والعمليات العسكرية المتكررة والمستمرة قد تستعين ببعض الجهات حتى

(١) نجوى أمين الفوال، الأزمة الصومالية و عام من التدخل، السياسة الدولية، عدد ١١٥، ١٩٩٤م، ص ٦٤.

(٢) احمد محمد فرج، ماذا بعد أربعين عاماً من الحكم العسكري؟ السياسة الدولية، عدد ١١٥، يناير ١٩٩٤م - ص

تحقق انتصارها على الأطراف المعارضة لها، ولكن في ظل تواجد الأمم المتحدة من خلال منسوبيها ومراقبيها قد يصعب ذلك وهذا ما حدث فعلاً في نزاع دارفور.

- سابعاً: هذا التدخل ألقى بظلاله على السلطة الحاكمة لإبرام العديد من الاتفاقيات الخاصة بالتوزيع العادل للسلطة والثروة التي وفرت قدراً من التنمية للإقليم وقللت من المشاحنات حول الموارد القليلة المتوفرة، ولكن حقيقة أن الصراع هناك يدور حول الأرض والموارد بين مكونات سكان دارفور يتطلب اتفاقاً من نوع آخر بين السكان أنفسهم ومؤتمرات دينية وشعبية ومواثيق إخاء وتصالح بين سكان دارفور، وبغير هذا فسوف يبقى النزاع مشتتلاً ينتظر أن تنفخ فيه الأيدي الأجنبية التي وضعت أقدامها بالفعل هناك، والتي ليس من مصلحتها انتهاء هذه العداوة بين الطرفين وإلا انتفت حجة وجود قوات دولية في الإقليم^(١).

- ثامناً: تدويل النزاع من قبل المجتمع الدولي ترتبت عليه إيجابيات عديدة لأهل الإقليم منها تمثيل أهل دارفور في مستويات الحكم كافة في السودان وفي الخدمة المدنية والقضاء والقوات المسلحة وقوات الشرطة والأمن والمخابرات، مع الأخذ في الاعتبار الكفاءة والمؤهلات لهذه المناصب، والحظ من التقسيم العادل للثروة لتحقيق التنمية المتوازنة وتشكيل لجنة تقييم مشتركة وإنشاء صندوق خاص لتنمية وإعمار مناطق دارفور، وكذلك حماية النازحين وقوافل

(١) من أمثلة هذه الاتفاقيات (أبوجا) هذه الاتفاقية وقعت بين الحكومة السودانية والفصيل الأكبر بـ"جيش تحرير السودان" كبرى حركات التمرد في دارفور يوم الجمعة ٥-٥-٢٠٠٦ م في العاصمة النيجيرية أبوجا / واتفاقية سلام الدوحة حيث تمّ التوصل لوثيقة الدوحة لسلام دارفور في مؤتمر أصحاب المصلحة الذي انعقد في الدوحة بدولة قطر في مايو ٢٠١١م.

المساعدات الإنسانية وحماية النساء والأطفال وإعادة نشر القوات والسيطرة على السلاح^(١).

- تاسعاً: المنطقة كانت من أكثر مناطق السودان تخلفاً، ففي هذا الشأن يعتقد المهتمون بقضايا دارفور أنها لم تتل حظها من التنمية إبان العهود الماضية لسببين رئيسيين أولهما أن أغلب الذين كانوا يمثلون دارفور في البرلمانات الأولى ممن عرفوا في الساحة السياسية (بالتواب المصدرين) الذين لم يتكبد أغلبهم مشقة زيارة دوائرهم الجغرافية التي فازوا بها إلا مرة واحدة، مما يعني عدم إلمامهم بالمشكلات الحقيقية لدوائرهم للمطالبة بها والدفاع عنها، ثانياً أن الأحزاب الكبرى التي كانت تشكل الحكومات في الماضي كانت تضمن الفوز في دوائر بعينها عبر كل البرلمانات لذلك سميت (بالدوائر المقفولة) آنذاك، وفي سبيل استقطاب أكبر عدد من النواب يمكنها من تشكيل الحكومة القادمة كانت حكومات الأحزاب تميل إلى توجيه خدمات التنمية لمناطق أخرى بعيدة عن هذه الدوائر المضمونة للحزب طمعاً في كسب أصوات الناخبين في أماكن أخرى، وهذا ما حرم معظم مناطق دارفور من حظها من التنمية ومن نصيبها العادل من قسمة الثروة، وعليه يمكن القول بأن النزاع عمل على توجيه رسالة إلى السلطة الحاكمة لمعالجة هذا الأمر وتفادي سلبياته مستقبلاً^(٢).

- عاشرأً: من خلال التدخل الأممي ظهرت إيجابية تبيين موقف الاتحاد الإفريقي الذي أصبح عاجزاً في التصدي والمدافعة عن دولة تعتبر من مؤسسيه، وظهر ذلك عقب نجاح الضغوط الأجنبية الغربية في إقصاء السودان عن رئاسة منظمة

(١) كل هذه البنود كانت في اتفاق النجمينا في إبريل ٢٠٠٤، واتفاق أديس أبابا في مايو ٢٠٠٤، وإعلان المبادئ حول دارفور الذي وقع في أبوجا.

(٢) تيم لينوك - صراع السلطة والثروة في السودان منذ الاستقلال وحتى الانقراض - ترجمة الفاتح النجاني، محمد علي

- بدون دار نشر - ١٩٩٠م - ص ٥٩.

الوحدة الإفريقية، حيث أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية خطة لاستخدام قوات أجنبية للتدخل في إقليم دارفور غرب السودان بدلاً من قوات الاتحاد الإفريقي، وكانت المفاجأة هي موافقة قيادة الاتحاد الإفريقي على الخطة الأمريكية رغم رفض السودان (نائب رئيس الاتحاد) للخطة^(١). ويعتبر من الإيجابيات تضامن بعض الدول العربية والإسلامية وتفاعلها مع الوضع في السودان، والذي ترتب عليه الوقوف مع السودان في المحافل الدولية والإقليمية، وتبني بعض مشاريع التنمية والإعمار وخير مثال لذلك ما تقوم به الحكومة القطرية في الإقليم.

(١) هذه الضغوط الغربية التي مورست على دول الاتحاد الإفريقي في دورته الأخيرة بالخرطوم يومي ٢٣ و ٢٤ يناير ٢٠٠٦م لرفض رئاسة السودان للاتحاد الإفريقي وهذا الذي حدث بالفعل.

المبحث الرابع

الأثر السلبي لتدخل الأمم المتحدة في نزاع دارفور

من المسلم به أن ميثاق الأمم المتحدة نص على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول حيث قال أنه ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي للدول^(١)، وهذا النص يمثل أحد القيود المفروضة على المنظمة العالمية لمصلحة سيادة الدول الأعضاء فيها، بل يعد تأكيداً لفكرة السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، ولكن القانون الدولي سمح بالتدخل بصفة استثنائية في حالة انتهاك السلم والأمن الدوليين وتعرضهما للخطر^(٢).

والناظر إلى دور الأمم المتحدة في نزاع دارفور يجدها انتهكت مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول^(٣) ومن السلبيات ما يمكن الإشارة إليه في الآتي:

- أولاً: لم تتدخل الأمم المتحدة في أزمة الأزمات مثلما تدخلت في السودان خاصة نزاع دارفور والدليل على ذلك صدور القرارات الكثيرة في هذا الشأن من مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة، لذلك صعد نزاع دارفور على الصعيد العالمي في حين إن هناك قضايا دولية لم تلق هذا الاهتمام مثل قضية فلسطين والشيشان، مما ساعد ذلك الاهتمام على ظهور ازدواجية المعايير التي جعلت الأمم المتحدة سيئة السلوك والسمعة^(٤)، والسبب في ذكر ذلك هذه النماذج التي تحتاج لدور الأمم

(١) هذه الأحكام منصوص عليها في المادة الثانية الفقرة السابعة من الميثاق.

(٢) احمد أبو الوفاء، منظمة الأمم المتحدة والمنظمات المتخصصة والإقليمية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٤١٧هـ/

١٩٩٧م، ص ٢١.

(٣) مسعد عبد الرحمن زيدان قاسم، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات السلمية غير ذات الطابع الدولي، دار جامعة

الجديدة للنشر، ٢٠٠٣م، ص ٢٦١.

(٤) السيد مصطفى احمد أبو الخير، أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

المتحدة للحاجة لحماية حقوق الإنسان فيها بل وحماية الإنسان نفسه من القتل والنهب والدمار.

ثانياً: إن الأمم المتحدة تصدت للانتهاكات التي حدثت في دارفور كما لم تتصدى للانتهاكات التي حدثت في بعض الدول الغربية، كما هو الحال بشأن أيرلندا الشمالية مع بريطانيا، ومشكلة إقليم الباسيك مع إسبانيا، وكذلك الاعتداءات ضد الأجانب والجماعات العرقية في بعض الدول الأوربية، وعلى سبيل المثال ما حدث في ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية^(١).

رابعاً: في ظل قيام الأمم المتحدة بالعمليات الإنسانية في دارفور ارتكبت بعض المنظمات التابعة لها أعمالاً تعد مخالفة لقواعد القانون الدولي العام، وكذلك الأهداف التي قامت من أجلها هذه المنظمات وبسبب ذلك تم طردها من السودان^(٢).

خامساً: إن تدخل الأمم المتحدة في السودان باستخدام أحكام الفصل السابع وإصدارها قرارات تتعلق بالعقوبات العسكرية والاقتصادية على اعتبار أنه نزاع يهدد السلم والأمن الدوليين ترتب على هذه العقوبات آثار إنسانية خطيرة أصابت الشعب كله^(٣).

سادساً: وإقامة الدليل على الدور السلبي للأمم المتحدة في نزاع دارفور الاهتمام المذهل لهذا النزاع أكثر من غيره من الصراعات، وصدور العديد من القرارات طبقاً للفصل السابع عن طريق مجلس الأمن في فترة وجيزة مما أساء ذلك لسمعة السودان داخل الجماعة الدولية.

(١) مسعد عبد الرحمن زيدان قاسم، تدخل الأمم المتحدة في النزاعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي، مرجع سابق، ص ٤٣٢.

(٢) المنظمات التي تم طردها من السودان (لجنة الإنقاذ الدولية - كير العالمية الأمريكية - العسل ضد الجوع الفرنسية ACF - التضامن الفرنسية - مرسى كورب الأمريكية - أطباء بلا حدود الهولندية - مؤسسة التمويل والتعاون الأمريكية CHF - انقاذ الطفولة البريطانية - المجلس الترويجي للاجئين NRC - اوكسفام البريطانية

(3)murphy-Sean – d. op- cite , pp.- 204/205

- سابعاً: بسبب ذلك التدخل اختص السودان بجل نشاط مجلس الأمن حيث كان المجلس يناقش العديد من القرارات لممارسة الضغوط على حكومة السودان لتقديم المزيد من التنازلات، في حين وقف مجلس الأمن في نزاعات أخرى مشلولاً لم يصدر فيها أي قرار مثل أزمة فلسطين والعراق^(١).
- ثامناً: في الفترة من (يونيو ٢٠٠٤م حتى أبريل ٢٠٠٥م) أي مدة أقل من عام أصدر مجلس الأمن عشر قرارات بدءاً من القرار رقم (٢٠٠٤/١٥٤٧م) الصادر في ١١ يونيو ٢٠٠٤م، والقرار رقم (٢٠٠٤/١٥٥٦م) الصادر في ٣٠ يوليو ٢٠٠٤م، والقرار رقم (٢٠٠٤/١٥٦٤م) الصادر في ١٨ ديسمبر ٢٠٠٤م، والقرار رقم (٢٠٠٤/١٥٧٤م) الصادر في ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤م، والقرار رقم (٢٠٠٥/١٥٨٥م) الصادر في العاشر من مارس ٢٠٠٥م، والقرار الصادر رقم (٢٠٠٥/١٥٨٨م) الصادر في السابع عشر من مارس ٢٠٠٥م، والقرار الرقم (٢٠٠٥/١٥٩٠م) الصادر في ٢٤ مارس ٢٠٠٥م والقرار رقم (٢٠٠٥/١٥٩١م) الصادر في ٢٩ مارس ٢٠٠٥م ، والقرار رقم (٢٠٠٥ /١٥٩٣م) الصادر في ٣١ مارس ٢٠٠٥م، والقرار رقم (٢٠٠٥/١٥٩٥م) الصادر في السابع من أبريل ٢٠٠٥م^(٢).

فهناك تساؤلات تفرض نفسها:

١. لماذا هذه القرارات الكثيرة في هذه الفترة الوجيزة؟
٢. وهل هناك دواعي أو ضرورات تستدعي إصدار مثل هذا الكم من القرارات الكثيرة؟

(1) 1/pin line, net/ Arabica /poetics/2004/07/article 13. Shtme

Http:// WWW.Islam

(٢) القرار الصادر من الأمم المتحدة والذي يحمل الرقم (١٥٩١) والصادر في مارس ٢٠٠٥م، مكون من سبع صفحات من القطع الكبيرة، ومكون من دياحة طويلة مكونة من تسعة عشر فقرة، فضلاً عن تسع بنود إحداها وهو البند الثالث مكون من (٢٢) فقرة.

٣. وهل ما كان في دارفور كان أهم من مما يحدث من النزاعات الدولية في فلسطين والعراق والشيشان؟ والى ماذا تشير صدور القرارات المتلاحقة؟^(١).

- تاسعاً: تدويل نزاع دارفور لم يكن من خلال قرارات الأمم المتحدة فقط، بل نجد أن الأمين العام للأمم المتحدة لم ينشط في صراع مثل نشاطه في نزاع دارفور، ففي الفترة من ٣ ديسمبر ٢٠٠٤م حتى ٢٣ يونيو ٢٠٠٥م أي فترة (سبعة أشهر) كتب الأمين العام تسعة تقارير عن السودان من الحجم الكبير، حيث كانت كتابة التقرير الواحد تطلب أكثر من شهر، وفي هذا المحور أيضاً تثار مجموعة من التساؤلات هل هناك من الضرورة لإصدار هذه الجملة من التقارير؟ وهل يستقيم الوضع الدولي باستقرار الوضع في إقليم دارفور فقط؟

- عاشرًا: هناك ثمة ملاحظة مهمة يمكن الإشارة إليها وهي أن هذه القرارات والتقارير الأهمية يتم إعدادها وإقرارها متزامنة دائماً مع انعقاد جلسات المفاوضات بين الحكومة والحركات المسلحة حتى يكون الطرف الحكومي المفاوض تحت ضغط الأمم المتحدة.

- حادي عشر: كل قرارات الأمم المتحدة وبيانات وتقارير الأمين العام كانت ردة فعل للولايات الأمريكية للتدخل في صراع دارفور، وبالتالي كانت تؤدي إلى أبعاد أخرى بعيدة عن البعد القانوني في نشاط الأمم المتحدة^(٢)، بل أصبحت المنظمة الدولية مطية في يد المندوب الأمريكي الذي يمرر رغبات بلاده تجاه السودان عبر هذه المنظمة.

- ثاني عشر: وللشواهد على فرض الهيمنة الأمريكية على الأمين العام ففي الثلاثين من يونيو ٢٠٠٤م أصدر مجلس الأمين القرار رقم (١٥٥٦/٢٠٠٥م) في جلسته (٥٠١٥)، والقرار يتكون من ديباجة طويلة و(٢٢) فقرة فضلاً عن البنود التي بلغت

(١) خير مثال لصدور القرارات المتلاحقة صدور قرارين في يومين القرار الأول رقم (١٥٩١) صدر في ٢٩ / من مارس ٢٠٠٥م، والقرار الثاني رقم (١٥٩٣) الصادر في ٣١ / مارس ٢٠٠٥م.

(2) Http // WWW.Sudanese Online.Com

(١٧) بنداً، والقرار رغم صدوره بعد مشاورات عديدة ومداولات كبيرة في مجلس الأمن، إلا انه لم يختلف عن النص الأصلي الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية، والتعديل الذي طرأ عليه استبدال كلمة (عقوبات) بكلمة تدابير وربطها بالمادة الواحدة والأربعين من ميثاق الأمم المتحدة مما يمهد للتدخل العسكري في السودان والذي حدث فعلاً^(١).

ثالث عشر: يعتبر نزاع دارفور أول فرصة حقيقية للولايات المتحدة للتدخل في السودان ومناطق إنتاج النفط الجديدة في إفريقيا بذريعة وقف الإبادة العرقية هناك، والظروف مهيأة لهذا التدخل حيث يأتي برغبة إفريقية ورغبة من متمردي جنوب وغرب السودان، وضغوط عديدة من منظمات إغاثة غربية وتبشيرية بهدف تطبيق نموذج مشابه للحظر الأمريكي على شمال وجنوب العراق تمهيداً لتقسيم السودان فعلياً وإسقاط حكومته القائمة التي أضعفتها نزاعات الجنوب والغرب والشرق، وتنفيذ سيناريو المحافظين الجدد القائم على "تفتيت الأطراف" كحل غير عسكري لهدم الحكم السوداني الحالي والسيطرة على المنطقة بأسرها^(٢).

رابع عشر: هناك تفكير إستراتيجي أمريكي قديم بشأن التحول إلى خلق منطقة نفوذ أمريكية جديدة يتم نقل القوات إليها بعد تصاعد الهجمات والانتقادات ضد القوات الأمريكية في الخليج، وأنسب مكان هو منطقة القرن الإفريقي لأهميتها الاستراتيجية في التحكم في مداخل ومخارج بحار ومحيطات، فضلاً عن كونها

(١) استبدال كلمة عقوبات بكلمة تدابير مفاده في حالة اتخاذ القرار بهذه المادة يعني إن السودان سوف يتعرض لتدابير اقتصادية ودبلوماسية وليس عسكرية.

(٢) هذه المبادرة تبناها الكونجرس الأمريكي خاصة بعد تشكيل ما سمي "تحالف إنقاذ دارفور" الذي يضم ١٥٠ جماعة دينية وإنسانية ومدافعة عن حقوق الإنسان، حيث تم تنفيذ جولات تشمل ٢٢ مدينة أمريكية لإلقاء الخطب لزيادة الوعي وحشد الرأي العام الأمريكي للضغط على إدارة بوش آنذاك للتحرك في قضية دارفور.

منطقة بترولية بكرة لم يبدأ الإنتاج الحقيقي فيها وأنسب موضع لذلك هو السودان.^(١)

هذه الآثار السلبية لتدخل الأمم المتحدة في النزاعات الداخلية وفي دارفور كدراسة حالة تعتبر كثيرة بالمقارنة مع الحالات التي تم ذكرها، والقصد من ذكرها الاستشعار والتبويه للموضع الذي تدار به المنظمة الدولية في سبيل تحقيق رغبات وسياسات دول بعينها، والأخطر من ذلك استغلال المبادئ السامية التي تبيح التدخل لاستباحة سيادة الدول والعبث بأمنها واستقرارها وكرامتها كل ذلك تحت غطاء الأمم المتحدة.

1/ حيدر إبراهيم علي - كتابات سودانية، دارفور إلى أين؟ - مركز الدراسات السودانية - السودان - العدد ٤٢ - ديسمبر ٢٠٠٧م - ص ٨.

الخاتمة

في ختام هذا الدراسة أشير إلى أنه من خلال التطرق إلى هذا الموضوع من جوانبه السلبية والإيجابية، وفي إشارة إلى الدور المنوط بهذه المنظمة الأممية بالمقارنة مع الواجبات الملقاة على عاتقها، قد خلصت إلي العديد من المعلومات والنقاط في شكل نتائج وتوصيات منها.

أولاً: النتائج:

١. تدخل الأمم المتحدة في النزاعات الداخلية أمر غير مشروع إلا في حالة المحافظة على مصالح الجماعة الدولية.
٢. استخدام مبدأ التدخل لأسباب إنسانية قد تترتب عليه أضرار بحقوق الإنسان باسم الإنسانية وهذا ما برز في التدخل في نزاع دارفور.
٣. عدم وجود اتفاقات دولية تنص صراحة على تطبيق قانون النزاعات المسلحة على القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة في حالة مخالفتها لمبادئ التدخل.
٤. صعوبة تحديد أسباب النزاعات الداخلية يعد سبباً رئيساً في استمرارية الصراعات وعدم معرفة موعد انتهائها، والذي يلقي بظلاله على معرفة مدى انتهاء التدخل الدولي.
٥. التدخلات الدولية في نزاع دارفور كان القصد منه إضعاف الدولة، وخلق امتيازات إستراتيجية لبعض الدول الكبرى والغربية بعيداً عن الأهداف الإنسانية التي شرع من أجلها التدخل.
٦. ظهرت الأمم المتحدة في بعض النزاعات الداخلية عاجزة عن فعل أي شيء، ولكنها في نزاع دارفور ظهرت كأنها قوة طاغية تسيطر على كل شيء، بالمقارنة مع ظهورها في كثير من النزاعات الموجودة الآن حتى على المستوى الدولي.

٧. نزاع دارفور ليس فيه ربح لأطرافه الداخلية بل هو خسارة عليهم، والرابح الوحيد هو الاستعمار في ثوبه الجديد والدول الكبرى ذات الأطماع السياسية والاقتصادية.
٨. مثل ما كان لتدخل الأمم المتحدة في نزاع آثار ونتائج سلبية، كان لهذا التدخل أيضاً آثار إيجابية مع الإشارة إلى أن سلبياته أكثر من إيجابياته، بحكم أن الإيجابيات تنحصر على الإقليم والسلبيات تشمل الدولة بأكملها.

ثانياً: التوصيات:

١. عدم استخدام شعار الإنسانية للتدخل في الدول الفقيرة والضعيفة، ذريعة لانتهاك وانتقاص سيادتها من الدول الكبرى باسم الأمم المتحدة وتحت غطاءها، لأن الشعار السائد والمعمول به التدخل تحت مسمى الإنسانية.
٢. ما جاء في المادة الثانية الفقرة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة، فيما يتعلق بمبدأ الاختصاص الداخلي للدول يحتاج لتوضيح أكثر لعمومية عباراتها وعدم تحديدها.
٣. ضرورة إيجاد اتفاقات دولية تنطبق على القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة وهي تمارس نشاطها في النزاعات الداخلية.
٤. على القوات الدولية الالتزام بروح ومبادئ القانون الدولي الإنساني في أداء مهامها خاصة في الصراعات الداخلية.
٥. على الأمم المتحدة أن تنظر للنزاعات الداخلية بصفة إنسانية وقانونية وبمساواة بين الدول دون اعتبار للدولة المتدخل فيها.
٦. على الأمم المتحدة وهي تنفذ مواثيقها الدولية النظر إلى النزاعات الداخلية بمعياري واحد دون ازدواجية بين الدول والنزاعات، وأن يكون هدفها من التدخل تطبيق المبادئ الأساسية التي شرع من أجلها التدخل بعيداً عن الأجندة السياسية والغايات الدولية لبعض الدول الكبرى.

٧. تبني سياسة الحلول الداخلية في الإطار الداخلي (السوداني - السوداني) لأن التجارب أثبتت عدم نجاح التدخل الدولي في وضع الحلول للنزاعات الداخلية وخير مثال لذلك ما ذهب إليه الوضع في قضية جنوب السودان سابقاً.
٨. على الاتحاد الإفريقي أن يكون له دورٌ في حماية الدول التي تتضوي تحت لوائه من خطر الهيمنة الغربية، مع العلم بأن أفريقيا هي أكثر القارات التي تتدخل فيها الأمم المتحدة بالمقارنة مع القارات الأخرى، ويرجع ذلك إلى ضعف الاتحاد الإفريقي هذا إذا قارنا بينه وبين المنظمات الإقليمية الأخرى المشابهة له.

وبالله التوفيق،،،

المصادر والمراجع:-

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: كتب اللغة العربية:

١. الرافي أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - المجلد الأول - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.
٢. الشيخ محمد أبي بكر عبد القادر الرازي - المختار الصحاح - دار التنوير - بيروت - لبنان .

ثالثاً: كتب الثقافة الإسلامية:

٣. إسماعيل احمد ياغي والشيخ محمود شاکر - تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر - الجزء الثاني - قارة أفريقيا - دار العبيكان - الرياض - السعودية - الطبعة الثانية - ١٩٩٨م

رابعاً: كتب القانون:

٤. د. السيد مصطفى احمد أبو الخير - أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر - الطبعة الأولى - ايتراك للنشر والتوزيع - القاهرة ٢٠٠٦م.
٥. د. إبراهيم احمد شلبي - أصول التنظيم الدولي (النظرية العامة و المنظمات الدولية) - القاهرة - الدار الجامعية - ١٩٨٠م.
٦. د. محمد حافظ غانم - الأمم المتحدة - القاهرة - ١٩٦٣م.
٧. د. حسن الجلي - مبادئ الأمم المتحدة.
٨. د. علي إبراهيم - الحقوق والواجبات الدولية في علم متغير - المبادئ الكبرى والنظام الدولي الجديد - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٩٧م.
٩. د. محمد مصطفى يونس - النظرية العامة لعدم التدخل في شؤون الدولة دراسة فقهية تطبيقية في ضوء مبادئ القانون الدولي المعاصر - ١٩٨٥م.
١٠. منير البعلبكي - المورد - دار العلم للملايين - ط ٢ - ١٩٩٤م.

١١. د. أحمد أبو الوفاء - منظمة الأمم المتحدة والمنظمات المتخصصة والإقليمية - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
١٢. د. مسعد عبد الرحمن زيدان قاسم - تدخل الأمم المتحدة في النزاعات السلمية غير ذات الطابع الدولي - دار جامعة الجديدة للنشر - ٢٠٠٣م.
١٣. د. حازم حسن جمعه - مفهوم اللاجئين في المعاهدات الدولية والإقليمية - مركز الدراسات السياسية - القاهرة - ١٩٩٧م.
١٤. د. إبراهيم احمد نصر الدين - اللاجئين في المنازعات الداخلية في أفريقيا - مركز الدراسات السياسية - جامعة القاهرة - ١٩٩٧م.

خامساً: الموثيق والقرارات والتقارير الدولية:

١٥. ميثاق الأمم المتحدة ١٩٤٥م.
١٦. مبدأ المساواة في السيادة بين الدول - أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها (٢٥) في ١٢/١٢ / ١٩٦٠م، تحت مسمى إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة.
١٧. قرارات الأمم المتحدة الخاصة بدارفور.
١٨. تقارير الأمين العام للأمم المتحدة الخاصة بدارفور.

سادساً: الاتفاقيات:

١٩. اتفاق أنجمينا في إبريل ٢٠٠٤.
٢٠. اتفاق أديس أبابا في مايو ٢٠٠٤م.
٢١. إعلان المبادئ حول دارفور الذي وقع في أبوجا.
٢٢. اتفاقية الدوحة ٢٠٠٦م.

سابعاً: المنشورات:

٢٣. أ. نورا عبد القادر حسن - التمرد المسلح في دارفور - مجلة السياسة الدولية - العدد (١٥٢) يوليو ٢٠٠٢م.
٢٤. أحمد آدم بوش - جدلية العلاقة بين العوامل البيئية والنزاعات في دارفور - مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا - الملف الدوري - نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٣م.
٢٥. د. محمد مورد - ملاحظات حول مشكلة دارفور - مجلة المختار الإسلامي - العدد (٢٦٦) نوفمبر/ ٢٠٠٤م.
٢٦. عبد الكريم علوان - التدخل لاعتبارات إنسانية - مجلة الحقوق - جامعة البحرين - العدد (٢) يوليو ٢٠٠٤م.
٢٧. د. نجوى أمين الفوال - الأزمة الصومالية وعام من التدخل - السياسة الدولية - عدد ١١٥ - ١٩٩٤م.
٢٨. احمد محمد فرج - ماذا بعد أربعين عاماً من الحكم العسكري؟ السياسة الدولية - عدد ١١٥ - يناير ١٩٩٤م.
٢٩. حيدر إبراهيم علي - كتابات سودانية، دارفور الى أين؟ - مركز الدراسات السودانية - السودان - العدد ٤٢ - ديسمبر ٢٠٠٧م.
٣٠. عبد المعز عبد الغفار نجم - مفهوم التدخل الإنساني في القانون الدولي مع دراسة لبعض تطبيقاته - مجلة الدراسات القانونية - العدد الثاني ١٩٩٠م.

ثامناً: المراجع الأجنبية:

31. Oppenheim's international law vd. Ninth Edition 1992.

32. Murphy-Sean - d. op- cite , pp.- 204/205.

التفتيش والمعاينة في جرائم المعلوماتية
(دراسة تحليلية)

د. كمال عبد الله أحمد المهلاوي*

*-أستاذ الفقه المقارن المشارك كلية الشريعة، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

ملخص البحث

الحمد لله حمد الذاكرين الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

إن ظهور ثورة المعلومات وسرعة انتشارها وما صاحبها من تطور سريع في تقنية المعلومات وخاصة في مجال الإنترنت أدى إلى بروز سلبيات كثيرة بجانب محاسنها ، ومن أبرز هذه السلبيات هي استغلال المجرمين لهذه الشبكة في عملهم الإجرامي وذلك لأنها شبكة دولية واسعة الانتشار يصعب حصر كل من يستخدمونها وكل ما يتم فيها من عمليات ، حيث يستطيع أي شخص أن يفعل كل ما يريده ثم يمحو ذلك بكل سهولة ويسر. وهدفت الدراسة إلى: معرفة الجريمة الإلكترونية. ومعرفة كيفية التفتيش والمعاينة في مثل هذه الجرائم. ولأغراض البحث اتبعت المناهج الآتية: المنهج الوصفي و المنهج التحليلي والمنهج المقارن . ثم خلصت الدراسة إلى بعض النتائج الآتية: إن الجرائم المعلوماتية ذات طبيعة خاصة تختلف عن الجرائم التقليدية وذلك نسبة لأنها تتم في مسرح افتراضي وأحياناً يكون غير ملموس. ومسرح الجريمة قد يمتد بين أكثر من دولة فهي جريمة عابرة للحدود وأحياناً متعددة المسارح. وإن المجرم المعلوماتي يتمتع بذلك في مجال الحاسب الآلي على العكس في الجانب الآخر فإن جهات التحقيق تعاني من فقر ونقص شديد في الخبرة الفنية والكفاءة في هذا المجال. وكان لابد أن أوصي بالآتي: إنشاء محاكم ونيابات وشرطة متخصصة في جرائم المعلوماتية، وما نص عليه في قانون جرائم المعلوماتية ٢٠٠٧م لا يكفي لأن الإنشاء والتخصيص محلها القانون الإجرائي. والتدريب المستمر للقائمين على أمر التحري لمواكبة مستجدات العولمة. تعديل قانون الإجراءات الجنائية وقانون الإثبات حتى يواكب التطور الحادث في الضبط والتفتيش والمعاينة والإثبات.

Abstract

ALL praise due to Allah, bless, peace and mercy to the prophet of the world, his family, his followers and companions.

The emergence of the information revolution and the speed of deployment and the accompanying rapid development in information technology, especially in the area of the Internet has led to the emergence of many cons beside its merits, and the most prominent of these negatives are exploiting the criminals of this network in their criminal because it is a broad international network is difficult to inventory all of the use and all what are the processes, where anyone can do whatever he wants and then erase it with ease. The study aimed at: knowledge of electronic crime. And know how to inspect and Preview in such crimes. For research purposes we follow the following methods: the descriptive, analytical and comparative method. The study raised some of the following results: The Information Technology (IT) crimes has special nature different from traditional crimes because they are in default scene and sometimes intangible. And the crime scene may extend between more than one country are passing offense border multiple scenes, If the offender informational enjoyment sharp intelligently in the field of computers on the contrary, on the other side, the investigation centre suffer from lack of expertise and competence in this area. It was necessary to recommend the following: Establish courts, prosecutors' offices and police specializing in computer crime. Ongoing training of those in charge of the investigations to keep abreast of developments in globalization and cybercrime is the result of this globalization. Modifying the law of Criminal Procedure and Evidence so as to develop control, inspection, Preview and evidence.

مقدمة

الحمد لله حمد الذاكرين الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

إن ظهور ثورة المعلومات وسرعة انتشارها وما صاحبها من تطور سريع في تقنية المعلومات وخاصة في مجال الإنترنت أدى إلى بروز سلبيات كثيرة بجانب محاسنها ، ومن أبرز هذه السلبيات هي استغلال المجرمين لهذه الشبكة في عملهم الإجرامي وذلك لأنها شبكة دولية واسعة الانتشار يصعب حصر كل من يستخدمونها وكل ما يتم فيها من عمليات ، حيث يستطيع أي شخص أن يفعل كل ما يريده ثم يمحو ذلك بكل سهولة ويسر.

ثم أفرز هذا الاستخدام ما يسمى بالجرائم المعلوماتية ذات الطبيعة الخاصة التي تميزها عن الجرائم التقليدية ولمرتكبي هذه الجرائم أيضاً خصائص تميزهم عن المجرمين التقليديين وبهذا يتوجب على المحقق الجنائي أن يتمتع بصفات خاصة لكي يتمكن من فك لغز الجريمة التي أمامه والتي يكون مسرحها هو جهاز الحاسب الآلي أو الشبكة العنكبوتية.

أسباب الاختيار:

١. لحدثة الجريمة المعلوماتية.

٢. صعوبة التفتيش والمعاينة لمثل هذه الجرائم.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع في خطورة هذه الجريمة وصعوبة الكشف عنها.

أهداف البحث:

١. معرفة الجريمة الإلكترونية.

٢. معرفة كيفية التفتيش والمعاينة في مثل هذه الجرائم.

منهج البحث:

المنهج الوصفي المتمثل في وصف الحالة أو الظاهرة. والمنهج التحليلي المتمثل في تحليل عناصر الموضوع والوصول إلى نتائج مرضية. والمنهج المقارن المتمثل في المقارنة بين الجريمة المعلوماتية والجريمة التقليدية، في التنقيش والمعينة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في:

١. ما هي الجريمة المعلوماتية؟
٢. ما الفرق بين التنقيش في الجرائم المعلوماتية والجرائم التقليدية؟
٣. ما الفرق بين المعينة في الجرائم المعلوماتية والجرائم التقليدية؟

هيكل البحث:

لغرض البحث قسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث: (المبحث الأول: مفهوم الجريمة المعلوماتية والمبحث الثاني: التنقيش والمبحث الثالث: المعينة) وخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم الجريمة المعلوماتية

المطلب الأول: تعريف الجريمة المعلوماتية

أولاً: تعريف الجريمة:

(أ) تعريف الجريمة في اللغة:

الجُرْمُ هو التَّعْدِي ، والجُرْمُ الذَّنْبُ ويجمع على أَجْرَامٌ ، وهو الجريمة ، وقد جَرَّمَ يَجْرِمُ جَرْمًا و أَجْتَرَمَ وَأَجْرَامٌ ، فهو مُجْرِمٌ وجَرِيمٌ^١.

(ب) تعريف الجريمة في الاصطلاح الفقهي:

الجريمة مفرد وجمعها جرائم، هي محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير^٢، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية ، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجيئه الأحكام الشرعية^٣.

(ج) تعريف الجريمة في الاصطلاح القانوني:

هي كل فعل معاقب عليه بموجب أحكام القانون الجنائي لسنة ١٩٩١م أو أي قانون آخر غيره^٤. وقانون جرائم المعلوماتية لسنة ٢٠٠٧م لم يذكر تعريف للجريمة ولكن ينسحب عليه هذا النص في قوله: (أو أي قانون آخر غيره).

(١) لسان العرب ، بن منظور ، دار إحياء التراث - مؤسسة التاريخ العربي . لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٣م ، ٢/٢٥٨.

(٢) الموسوعة الفقهية ، مطبعة المقهوي الأولى ، الكويت ، ط٥ ، ٢٠٠٨م ، ١٦/٥٩.

(٣) الأحكام السلطانية، المؤلف : الماوري، موقع الإسلام، ، غير موافق للمطبوع ، ٤٣٨/١.

<http://www.al-islam.com>

(٤) القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م ، م٣.

ثانياً: تعريف المعلوماتية:

(أ) تعريف المعلوماتية في اللغة:

المعلوماتية جمع معلومة من العلم، والعلم هو نقيض الجهل، علم علماً وعلماً، وعلّم الأمر وتعلّمه أي أتقنه^١.

(ب) تعريف المعلوماتية في الاصطلاح:

المعلوماتية هي البيانات الموجودة داخل الحاسب الآلي أو شبكة الإنترنت التي تتم معالجتها لترتيبها وتنظيمها وتحليلها بقصد الاستفادة منها^٢.

(ج) تعريف المعلوماتية في الاصطلاح القانوني:

المعلوماتية هي نظم وشبكات ووسائل المعلومات والبرمجيات والحواسيب والإنترنت والأنشطة المتعلقة بها^٣.

ثالثاً: تعريف الجريمة المعلوماتية:

تم تعريف الجريمة المعلوماتية بعدة تعريفات نذكر منها ما يلي.

- أولاً: هي كل فعل يقوم به الفرد أو الجماعة من خلال استخدام الأجهزة الإلكترونية، ويكون لهذا الفعل أثر ضار على الفرد أو المجتمع^٤.

(١) لسان العرب ، بن منظور ، مرجع سابق ، ٣٧١/٩.

(٢) الجرائم الإلكترونية وآثارها على النسيج الاجتماعي ، حسام محمد بدوي - هشام محمد بدوي ، جرائم المعلوماتية ، ورشة عمل، د(ن) ، السودان ، د(ط) ، ص ٣١.

(٣) مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات ، ج: ٢٠١٢ ، ٩/ ١١٤.

(٤) الجرائم المعلوماتية، محمد علي العريان، دار الجامعة الجديدة، طبعة ٢٠١١م، ص(٥٣ ، ٥٤).

(٥) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ، /أ/ عفيفي كامل عفيفي ، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان ، د(ط) ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٢.

- ثانياً: هي كل نشاط إجرامي تستخدم فيه تقنية الحاسب الآلي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لتنفيذ الفعل الإجرامي المقصود^١.

- ثالثاً: هي كل فعل إجرامي متعمد ينشأ عنه خسارة تلحق بالمجني عليه أو مكسب غير مشروع يحققه الفاعل^٢.

- نستطيع من خلال ما ذكر من تعريفات أن نخلص إلى هذا التعريف:

هي كل فعل إجرامي يتم على شبكة الإنترنت، أو بواسطة الحاسب الآلي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كوسيلة أو هدف لتنفيذ الفعل الإجرامي ينشأ عنه خسارة تلحق بالمجني عليه أو مكسب غير مشروع يحققه الفاعل.

المطلب الثاني: خصائص الجريمة المعلوماتية:

للجريمة المعلوماتية خصائص تميزها عن الجريمة التقليدية

نسبة لطبيعتها الخاصة، وهذه الخصائص تتمثل فيما يلي:

- أولاً: ترتكب عبر الحاسب الآلي :

أن الحاسب الآلي هو الأداة المستخدمة لارتكاب هذا النوع من الجرائم لأنه هو الذي يمكن الأشخاص من الدخول على شبكة الإنترنت وتنفيذ الجريمة من خلالها أي كانت هذه الجريمة^٣.

هذه الخاصية هي الأساس الذي تبنى عليه بقية الخواص، وحتى الجرائم التي تقع على الشبكة العنكبوتية لا تتم إلا عبر الحاسب الآلي.

(١) نفس المرجع ص ٣٢.

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢.

(٣) قانون الحاسوب د/ عزة علي محمد الحسن ، منشور جامعة السودان المفتوحة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ، ص ٢١٣.

- ثانياً: الجريمة المعلوماتية عابرة للحدود :

إن الجريمة المعلوماتية عابرة للحدود أي غير محدودة أو محصورة برقعة جغرافية معينة، ويمكن أن ترتكب الجريمة المعلوماتية في مكان وتظهر آثارها في مكان آخر سواء كان قريب منه أم بعيد وذلك لأن شبكة المعلومات ترتبط بين كل أجهزة الحاسب الآلي في مختلف أنحاء العالم^١.

إن هذه الخاصية تصعب علينا اختيار القانون الواجب التطبيق، فإذا تم ارتكاب جريمة معلوماتية في دولة وظهرت آثارها في نفس هذه الدولة فالقانون الواجب التطبيق هو القانون الوطني أو الداخلي، وهذا لا خلاف فيه، لكن الخلاف فيما إذا ظهرت آثار هذه الجريمة في دولة غير التي ارتكبت الجريمة فيها، فهل يكون القانون الواجب التطبيق هو قانون الدولة التي ارتكبت فيها الجريمة أم قانون الدولة التي ظهر فيها آثار الجريمة؟، حيث إن السلطات لا تستطيع التعدي على سيادة هذه الدولة لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة للوصول إلى الجاني مرتكب هذه الجريمة^٢.

- ثالثاً: الجريمة المعلوماتية لا يستخدم فيها العنف:

إن الجرائم التقليدية في أغلب الأحيان يستخدم فيها العنف، من قبل من يرتكبها كالقتل والسرقة والاختصاب، ولكن الجرائم المعلوماتية على عكسها تماماً لا تحتاج إلى استخدام العنف من قبل مرتكبها بل كل ما تطلبه من الجاني

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، د/ سامي جلال فقي حسين، دار الكتب القانونية، مصر، (دط)، ٢٠١١م، ص٢٧-٢٨.

(٢) نفس المرجع ص٢٧-٢٨.

استخدام ذهنه وعقله في ارتكابها ومعرفته بتقنيات الحاسب الآلي، ولا بد أيضاً من أن يتوافر لديه العلم الكافي ببعض البرامج التشغيلية^١.

- رابعاً: الجريمة المعلوماتية صعبة الإثبات:

إن المسرح التي تتم فيه الجريمة المعلوماتية هو مسرح افتراضي رقمي لا تترك خلفها آثاراً مادية يمكن من خلالها الوصول إلى التعرف على الجريمة المعلوماتية والوصول إلى مرتكبها وحتى لو وجدت هذه الآثار المادية فإنه يصعب حفظها كدليل، لذلك يجب عند إيجادها أن يتم التعامل معها بواسطة مؤهلين فنياً وأكاديمياً^٢.

وتعود صعوبة الإثبات في الجرائم المعلوماتية إلى:

١. صعوبة الاحتفاظ الفني بآثارها.
٢. أنها تعتمد على الخداع في ارتكابها مما يؤدي إلى صعوبة التعرف على مرتكبيها.
٣. أنها تنفذ بذكاء عالي ومهارة فائقة.
٤. البعد الزمني له دور في صعوبة الإثبات ويتضح هذا في اختلاف المواقيت بين الدول. وكذلك البعد المكاني، وإمكانية تنفيذ الجريمة عن بعد. والقانون الواجب التطبيق له دوراً مهماً في تشتيت جهود التحري والتنسيق الدولي لتعقب مثل هذه الجرائم^٣.

(١) جرائم الحاسب الآلي والانترنت، /أ/ أسامة أحمد المناعسة- /أ/ جلال محمد الزعبي - /أ/ مایل فاضل الهواوشة ، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠١ن. ص١٠٧-١٠٨.

(٢) شرح قانون جرائم المعلوماتية السوداني ، /أ/ قيس عبد الوهاب حمد ، (د)ن) ، السودان ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص٩.

(٣) الجوانب الإجرائية لجرائم الإنترنت /أ/ نبيلة هبة هروال ، دار الفكر الجامعي ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٤٠.

٥. جرائم المعلوماتية تحتاج إلى خبرة فنية وتقنية من قبل المتحري الجنائي، فيصعب على المتحري الجنائي التقليدي، لأنه يفتقر لتلك الخبرة الفنية التقنية مما يجعل تعامله مع هذا النوع من الجرائم صعب جداً.

المطلب الثالث: خصائص المجرم المعلوماتي:

يطلق على المجرم المعلوماتي مصطلح (هاكرز)^٢ وهو مفهوم لوصف الأشخاص الذين يستخدمون الحاسب الآلي في الأفعال غير القانونية والأنشطة التدميرية^٣، ويتميز المجرم المعلوماتي بالخصائص الآتية:

- أولاً: المجرم المعلوماتي شخص اجتماعي :

إن المجرم المعلوماتي عادة يعيش وسط الناس و يمارس عمله في مجال تخصصه أو غيره من مجالات الحياة الأخرى و يرتكب الكثيرون منهم جرائم معلوماتية بدافع (الكبرياء أو النصب أو الحسد أو إظهار قدرته على التفوق في هذا المجال أو بغرض الحصول على منفعة مادية).^٤ أو لشغفهم بالمعلوماتية أو بغرض إضرار الغير^٥. أو غيرها من الأسباب التي تدفع به إلى فعل ذلك دون أن يمارس مثل هذه الجرائم بشكل مستمر.

- (١) جرائم الإنترنت والحاسب الآلي ووسائل مكافحتها، أ/ منير محمد الجنيبي - أ/ منتصر محمد الجنيبي، دار الفكر الجامعي، مصر، د(ط)، ٢٠٠٥ م، ص ١٩.
- (٢) كلمة إنجليزية (Hackers) قرأصنة على شبكة الانترنت، المعاني لكل رسم معنى على الشبكة العنكبوتية www.almaany.com
- (٣) الجرائم الإلكترونية وآثارها على النسيج الاجتماعي، م/ حسام محمد بدوي - م / هشام محمد بدوي، جرائم المعلوماتية، ورشة عمل، مركز دراسات المجتمع مدا، السودان، ط١، ٢٠١٣ م، ص ٢٢.
- (٤) الجرائم المعلوماتية، أ/ محمد علي العريان، دار الجامعة الجديدة، مصر، د(ط)، ٢٠١١ م، ص ٧٧.
- (٥) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ٣١.

- ثانياً: المجرم المعلوماتي شخص ذكي :

يتميز المجرم المعلوماتي بالذكاء والفطنة، لأن هذه الجرائم لا يستطيع ارتكابها إلا من يتمتع بذكاء وفطنة ودراية فائقة بتقنيات الحاسب الآلي، وذلك لأنه لا يستطيع مواجهة المصاعب التي تواجهه عند ارتكابه للجريمة المعلوماتية ما لم يكن يتمتع بالذكاء الحاد، ومن أمثلة هذه الصعوبات التي تواجهه أن يكون الحاسب الآلي محمياً بكلمة سر معينة^١.

الذكاء الذي يتمتع به المجرم المعلوماتي له عدة أنواع وهي:

١. الذكاء الإبداعي: أن يكون عنده القدرة على التفكير بطريقة جديدة.

٢. الذكاء الشخصي: أن يكون عنده القدرة على معرفة ذاته وإرضائها.

٣. الذكاء الرقمي: أن يكون عنده القدرة العقلية على التعامل مع الأرقام واستخدامها فيما يحقق أهدافه الإلكترونية الرقمية الإجرامية.

٤. الذكاء الفراغي: أن يكون عنده القدرة على رؤية علاقة الأشكال بعضها ببعض وكذلك رؤية علاقة الأشياء في الفضاء الإلكتروني^٢.

- ثالثاً: المجرم المعلوماتي شخص ذو خبرة :

المجرم المعلوماتي يتمتع بخبرة فائقة في مجال الحاسب الآلي ومهارة عالية في كيفية التعامل معه ونسبة لهذه الخبرة والمهارة العالية تسهل لهم عملية ارتكاب الجريمة المعلوماتية وغالباً

(١) نفس المرجع ، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية ، د/ مصطفى محمد موسى ، دار الكتب القانونية ، مصر ، د(ط) ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢٢-٢٣.

يعملون كمبرمجين أو محللين أو مشغلين^١ وينيغي تدريب المتحررين في مثل هذه الجرائم حتى يصبحوا على نفس الدراية بهذا المجال .

- رابعاً: المجرم المعلوماتي شخص لا يستخدم العنف :

لا يحتاج المجرم المعلوماتي عند ارتكابه للجريمة المعلوماتية إلى استخدام العنف ، لأن هذا النوع من الجرائم التي يرتكبها تتم عن طريق جهاز الحاسب الآلي ويحتاج فيها إلى الذكاء الحاد فقط لا إلى غيره من الأساليب الأخرى كالعنف مثلاً^٢.

هذه الخصائص التي ذكرت تميز المجرم المعلوماتي عن نظيره المجرم التقليدي وهذا يقتضي أن يكون المتحري المعلوماتي أكثر كفاءة من المجرم المعلوماتي حتى يفك لغز الجريمة المعلوماتية.

(١) الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني ، د/ عزة علي محمد الحسن ، الزيتونة للطباعة ، السودان ، د(ط) ، ٢٠٠٩ م ، ص ٩ .

(٢) قانون الحاسوب ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

المبحث الثاني

التفتيش

المطلب الأول: مفهوم التفتيش:

أولاً: تعريف التفتيش في اللغة:

الفَتْشُ والتَفْتِيشُ: الطَّلَبُ والبحثُ^١. لأنَّ المُفْتِشَ يَبْحَثُ عن الدليل في مسرح الجريمة.

ثانياً: تعريف التفتيش في الاصطلاح القانوني:

هو إجراء من المتحري يقوم على أساس الاطلاع على محل منح له القانون حماية خاصة باعتباره مكن سر صاحبه، فلا يجوز كقاعدة عامة الاطلاع عليه إلا بحكم القانون أو برضا صاحبه^٢.

لم يعرف قانون الإجراءات السوداني لسنة ١٩٩١م التفتيش^٣.

المطلب الثاني: الأماكن التي يطالها التفتيش:

في مسرح الجريمة الإلكتروني يقع التفتيش على:

- أولاً: تفتيش المكونات المادية للحاسب الآلي :

قد تقع بعض الجرائم على المكونات المادية للحاسب الآلي مثل كابلاته وشاشة العرض الخاصة به ومفاتيح تشغيله وغيرها وذلك في حال سرقتها أو إتلافها أو اختلاسها^٤.

(١) لسان العرب ، مرجع سابق ، ١٠/١٧٥.

(٢) شرح قانون الإجراءات الجنائية ، د/ حاج آدم حسن الطاهر ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، السودان ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص١٤٨.

(٣) أنظر قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م المواد (٥ و ٨٦ وما بعدها).

(٤) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ، مرجع سابق ، ص٣٦٣.

ويكون الغرض دائماً من تفتيش المكونات المادية للحاسب الآلي هو البحث عن شيء يتصل بالجريمة المعلوماتية التي قد وقعت، ويفيد التفتيش في كشف الحقيقة عن الجريمة المعلوماتية وعن مرتكبها ، وأن تفتيش المكونات المادية للحاسب الآلي يتوقف على أمر واحد وهو طبيعة المكان الموجودة فيه هذه المكونات هل هو مكان عام أم خاص؟ فإذا كانت موجودة في مكان خاص كمسكن المتهم أو أحد ملحقاته كان له حكمه فلا يجوز تفتيشها إلا في الحالات التي يجوز فيها تفتيش مسكنه وبنفس الضمانات المقررة قانوناً، ويجب داخل المكان الخاص التمييز بين ما إذا كانت هذه المكونات المادية منعزلة عن غيرها من الحاسبات الأخرى أم أنها متصلة بحاسب أو بنهاية طرفيه في مكان آخر كمسكن أو محل تجاري لا يخص مسكن المتهم فإذا كانت هنالك بيانات مخزنة في أوعية هذا النظام الأخير تؤدي إلى كشف الحقيقة، وجب مراعاة القيود والضمانات التي يستلزمها المشرع لتفتيش هذه الأماكن ، أما في الأماكن العامة إذا وجد شخص وهو يحمل هذه المكونات المادية أو مسيطراً عليها أو حائزاً لها فإن تفتيشها لا يكون إلا في الحالات التي يجوز فيها تفتيش الأشخاص بنفس الضمانات والقيود المنصوص عليها قانوناً^١.

إن التفتيش الذي يقع على المكونات المادية للحاسب الآلي تطبق بشأنه نفس القواعد التقليدية للتفتيش دون أدنى صعوبة أو عائق يحول دون ذلك مع مراعاة الجانب الفني عند القيام بالتفتيش وذلك لأن التفتيش فيها يتم بحثاً عن عناصر مادية معلوماتية وهي أشياء خلفت جريمة تقليدية ذات آثار مادية ملموسة^٢.

(١) الجرائم المعلوماتية على شبكة الإنترنت ، /أ/ أمير فرج يوسف . دار المطبوعات الجامعية ، مصر ، (دط) ، ٢٠٠٨ م ، ص٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ، مرجع سابق ص١٩٤-١٩٥.

- ثانياً: تفتيش المكونات غير المادية للحاسب الآلي:

في حالة أن يكون محل الجريمة المعلوماتية هو المكونات غير المادية للحاسب الآلي وهي البرامج والبيانات أو تمت الجريمة بواسطتها فهنا يثار أهم سؤال وهو هل يمكن تطبيق القواعد التقليدية للتفتيش أم لا^١.

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من معرفة مكونات الحاسب الآلي غير المادية:

أ- برامج الحاسب الآلي :

لا يحتاج الأمر إلى وضع إجراءات وقواعد جديدة للتفتيش عن أدلة الجرائم التي يكون يستخدم فيها برامج الحاسب الآلي كالسرقة أو الإتلاف أو استعمال هذه البرامج كأداة في ارتكاب بعض الجرائم كالتزوير أو التلاعب في البيانات أو الإتلاف الفني للأنظمة المعلوماتية وذلك لأن القواعد التقليدية كافية لمواجهة هذه الأحوال أياً كانت الطريقة المستخدمة لارتكاب الجريمة سواء أكانت تقليدية أو كانت معلوماتية حيث يمكن إثبات الجرائم المعلوماتية عن طريق الالتجاء إلى الفنيين المتخصصين في هذا المجال^٢.

ب- بيانات الحاسب الآلي:

أما في حالة يكون محل الجرائم هو البيانات المخزنة بالأنظمة المعلوماتية وهي بالتأكيد ليست ذات طابع مادي ملموس فهنا تواجهنا بعض الصعوبات، ولكن يحاول بعض أهل الفقه التغلب عليها باللجوء إلى حيلة التمييز بين المعلومات وبين البيانات المعالجة آلياً، فينفي الطابع المادي عن أولها أو يؤكد للثانية طابعاً مادياً على أساس أنها نبضات أو ذبذبات إلكترونية وإشارات أو موجات كهرومغناطيسية قابلة لأن تسجل وتخزن على وسائط معينة ويمكن قياسها وبالتالي ينفون الطابع غير المادي لهذه البيانات مؤكداً أنها شيء يمكن لمسه في المحيط الخارجي وأنها كيان مادي لا يمكن جرده مستنديين

(١) نفس المرجع، ص ١٩٥.

(٢) نفس المرجع، ص ١٩٥.

في ذلك إلى حكم صدر من محكمة جناح بروكسل الذي أكد على كون هذه البيانات أشياء مادية ملموسة وانتهوا إلى إمكانية خضوع هذه البيانات لقواعد التفتيش التقليدية وبالتالي إمكانية ضبطها^١. ولكن المشكلة ليست في أن هذه البيانات ذات طابع مادي أولاً بل تكمن في وجود صعوبات وعوائق إجرائية من شأنها إعاقة خضوع البيانات المخزنة آلياً لقواعد التفتيش التقليدية والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أ- حالة وجود النظام المعلوماتي داخل إحدى المساكن مع وجود النهاية الطرفية له في مكان آخر، الأمر الذي يعطي الجاني فرصة سانحة للتخلص من البيانات التي يستخدمها التفتيش، الأمر الذي يتطلب منح الشخص المخول بالتفتيش السلطة الكاملة للتوصل إلى النهاية الطرفية وتسجيل ما تحويه من بيانات تعد أدلة على ارتكاب جريمة ما دون التقييد بالحصول على إذن القاضي بذلك كما هو مقرر قانوناً في حالة تفتيش منزل غير منزل المتهم.
- ب- إذن التفتيش يشترط أن يكون محدداً فيما يخص محله والأشياء التي يهدف التفتيش إلى ضبطها ويقتصر ذلك أن يقوم مصدر الإذن بتحديد الأشياء المراد ضبطها بطريقة فنية الأمر الذي لا يكون في مقدوره لأنه يتطلب نوع من المعرفة تتجاوز المعرفة العامة.
- ج- يقتضي التفتيش عن البيانات المخزنة آلياً للقيام بعملية ولوج للأنظمة المعلوماتية التي تحويها لضبط ما يعد صالحاً من هذه البيانات كدليل لارتكاب جريمة ما وهذا الأمر يقتضي أن يكون الشخص القائم بالتفتيش لديه معرفة كافية بكيفية التعامل مع البرامج والملفات والبيانات المخزنة بالحاسب الآلي وكذلك كيفية فك كلمة السر والمرور اللازمين للدخول إلى النظام^٢.

(١) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ .

(٢) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

المطلب الثالث: شروط التفتيش:

عند القيام بعملية التفتيش عن جريمة من الجرائم المعلوماتية لا بد من أن تتوافر في التفتيش العديد من الشروط منها ما هو موضوعي وما هو شكلي ، و تتمثل في الآتي:

- أولاً: الشروط الموضوعية^١:

نذكر هنا أهم الشروط الموضوعية للتفتيش والمتمثلة في:

١- سبب التفتيش:

وقوع الجريمة أي أنه لا بد لكي يتم التفتيش أن تكون الجريمة قد وقعت بالفعل وليست محتملة الوقوع، لأن التفتيش من الإجراءات الخطيرة التي تمس حرية الأشخاص وحرمة حياتهم ، أما مجرد احتمال وقوعها لا يصوغ التفتيش^٢.

وتحديد وقوع جريمة ما من عدمه يرجع إلى مبدأ الشرعية (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص) وهنا لا بد للمشرع من مواكبة التطور في ظل ثورة المعلومات لا نستطيع أن نجرم أي فعل بدون أن ينص عليه قانوناً، خاصة عندما تعجز النصوص التقليدية عن احتوائها ، مثل الاعتراض غير المصرح به للاتصالات الإلكترونية أو الهجوم على مواقع الإنترنت^٣.

٢- محل التفتيش:

هو مستودع سر الإنسان وهو الحاسب الآلي، أو ما في حكمه وهذا المحل أما أن يكون موجوداً في مكان معين منحه

(١) شرح قانون الإجراءات الجنائية مرجع سابق ص(١٥٣-١٥٤).

(٢) لأدلة الالكترونية وحجيتها في الإثبات الجنائي . أ/ محمد علي إبراهيم محمد ، د(ن) ، السودان ، ط١ ، ٢٠١٤م ، ص٦٨-٦٩.

(٣) جرائم الحاسب الآلي والإنترنت ، أسامة أحمد المناعسة- جلال محمد الزغيبي - صايل فاضل الهاوشة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٢٧١.

القانون حرمة خاصة كالمسكن أو بحوزة شخص

كالحاسوب المحمول ولا بد من توافر شرطين فيه هما:

أ- أن يكون المحل معيناً: يجب أن يكون المحل معين بصورة دقيقة، بمعنى أن يتم تحديد المكان المراد تفتيشه بدقة سواء كان مكاناً واحداً أم عدد من الأماكن، أما إذا كان محل التفتيش شخصاً فيجب أن يتم تحديد هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص ما دامت التحريات والدلائل الكافية قد توافرت لدى هؤلاء الأشخاص.

ب- أن يكون المحل مما يجوز تفتيشه: أن يكون محل الجريمة حصانة معينة فيمنع إجراء تفتيشه على الرغم من توافر الشروط اللازمة للتفتيش ويرجع ذلك إلى تعلقه بمصلحة معينة عامة كانت أم خاصة و يرى المشرع أنها أولى بالرعاية من مصلحة التحقيق التي تتطلب إجراء التفتيش^١.

٣- الغاية من التفتيش:

لابد أن تكون الغاية من التفتيش هي الحصول على أشياء تتعلق بالجريمة التي تم التفتيش من أجلها أو أي أشياء تفيده في كشف الحقيقة وذلك لأن التفتيش هو أهم إجراء من إجراءات التحقيق لذا لابد أن تكون هنالك غاية معينة من أجلها تنفذ عملية التفتيش، وإذا خلا التفتيش من هذه الغاية يكون باطلاً.

٤- الجهة المختصة بإصدار إذن التفتيش:

إذن التفتيش هو تفويض يصدر من سلطة التحقيق المختصة إلى أحد مأموري الضبط القضائي مخولاً إياه إجراء التفتيش الذي تختص به تلك السلطة، ويعد إذن التفتيش من الشروط المهمة التي يجب توافرها لصحة هذا الإجراء، وبدون هذا الإذن

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٢٧ - ١٣١.

(٢) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت، مرجع سابق، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

يبطل هذا الإجراء، ولا تجوز مباشرته إلا بعد توافر المبرر لذلك فإن تحديد مدى توافر هذه المبررات من عدمها مناط بسلطة معينة مهمتها التأكد من مدى ضرورة هذا الإجراء للوصول إلى حقيقة الجريمة وكشفها قبل أن تصدر الإذن بمباشرته.

وقد منحت غالبية التشريعات سلطة إصدار إذن التفتيش للسلطة المختصة بإجراء التحقيق^١.

وقد نص قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م في المادة (٨٦) على من له حق إصدار إذن التفتيش:

أ- يجوز لوكيل النيابة أو القاضي في أي وقت من تلقاء نفسه أو بناء على طلب من الجهة المختصة في أي دعوى جنائية أن يصدر أمراً بإجراء التفتيش الخاص لأي مكان أو شخص إذا رأى أن ذلك يساعد في أغراض التحري أو المحاكمة أو التنفيذ بحسب الحال.

ب- يجوز للقاضي في أي وقت بناء على طلب من الجهة المختصة أن يصدر أمراً بإجراء التفتيش العام لأي أمكنة أو أشخاص متى رأى أن ذلك يساعد في أغراض اكتشاف الجريمة^٢.

٥- الجهة التي تباشر التفتيش:

نصت معظم التشريعات على أن سلطة مباشرة التفتيش هي السلطة المختصة بالتحقيق^٣ وذلك لكون التفتيش إجراء من إجراءات التحقيق، تباشر جهات التحقيق عملية التفتيش

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٤١-١٤٩.

(٢) شرح قانون الإجراءات الجنائية مرجع سابق، ص ٨٦. وقانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م المادة (١٩).

(٣) استخدم قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م كلمة التحري بدلاً من التحقيق للمادة (٨٦).

بنفسها إذا كان المكان المراد تفتيشه ضمن اختصاصها المكاني ولكن إذا كان خارج نطاق اختصاصها المكاني فتقوم جهات التحقيق بإنابة السلطات التي توجد في تلك الأماكن لمباشرة التفتيش بالنيابة عنها ويتم ذلك من خلال أحد الأمرين التاليين:

أ- الندب بالتفتيش: الندب بالتفتيش يعني أن يتم تكليف مأمور الضبط القضائي من قبل السلطة المختصة بالتحقيق بعمل محدد أو أكثر من أعمال التحقيق، ويترتب عليه اعتبار العمل من حيث قيمته القانونية كما لو كان صادراً عن سلطة التحقيق المختصة.

ب- لإنابة القضائية: الإنابة القضائية هي إجراء بموجبه تنيب محكمة التحقيق المختصة محكمة تحقيق أخرى لاتخاذ إجراء أو أكثر من إجراءات التحقيق ضمن الاختصاص المكاني للمحكمة المناوبة^١.

- ثانياً: الشروط الشكلية:

يتطلب التفتيش بعض الشروط الشكلية المتمثلة في :

١. وقت مباشرة التفتيش:

إن الوقت في عملية التفتيش هو من أهم الأمور التي تساعد في الحصول على الدليل المعلوماتي في الجرائم المعلوماتية من عدمه، وحتى لا يتم التلاعب في الدليل أو محوه لابد أن يكون زمن التفتيش قريباً من زمن اكتشاف الجريمة^٢.

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٥٥-١٥٩ .

(٢) أنظر قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م المادة (٨٦ وما بعده)، شرح قانون الإجراءات الجنائية مرجع سابق ص ١٤٩.

(٣) شرح قانون الإجراءات الجنائية، حاج آدم الطاهر مرجع سابق ، ص ٣٠٣ وقانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م المادة (٤٨).

٢. حضور شهود للفتيش:

إن حضور الشهود لعملية التفتيش أمر مهم جداً بالنسبة لكل من المتهم والشخص القائم بعملية التفتيش، بالنسبة للمتهم يكون حضور الشهود مهماً من أجل أن يكون مطمئناً لإجراء التفتيش أمامهم، وأما بالنسبة للشخص القائم بالتفتيش فإن حضور الشهود أيضاً مهم حتى لا يتم اتهامه من قبل المتهم أو أصحاب المكان بأن هنالك أشياء قد اختلفت بعد إجراء التفتيش.^١

ويشترط في الشهود أن يكونوا عاقلين بالغين مميزين مبصرين، وإذا ما تم التفتيش بدون حضور الشهود يعتبر باطلاً.^٢

٣. تحرير المحضر:^٣

بعد الانتهاء من إجراء التفتيش يجب على القائم على التفتيش، أن يحرر محضراً للفتيش بحيث يدون فيه كل ما قام به من عملية التفتيش سواء تحصل على دليل أم لا، وأن يحتوي محضر التفتيش على الآتي:

- أ- الإجراءات التي اتبعتها القائم بالفتيش؛ ويقصد بها جميع التدابير والإجراءات التي اتخذها القائم بالفتيش أثناء إجراء عملية التفتيش.
- ب- مكان التفتيش؛ أن يثبت في محضر التفتيش مكان إجرائه.
- ج- زمان التفتيش؛ كذلك أن يثبت في محضر التفتيش تاريخ إجراء التفتيش ووقت إجرائه.

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٦٧ - ١٦٩.

(٢) شرح قانون الإجراءات الجنائية، مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٣) لفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٧١-١٧٣.

د- تدوين أسماء كل الموجودين أثناء عملية التفتيش: تدوين أسماء كل من المتهم أو صاحب المكان وأسماء الشهود.

هـ- تدوين الملاحظات التي أبدتها كل من المتهم أو صاحب المكان ومن ثم تفتيشه ومن حضر التفتيش وذلك حتى تكون المحكمة المختصة على إطلاع تام بما قد حدث في أثناء إجراء عملية التفتيش^١.

- رابعاً: عرض المضبوطات على وكيل النيابة أو القاضي:

ثم على القائم بالتفتيش عرض المضبوطات وقوائمها على وكيل النيابة أو القاضي لتلقي التوجيهات بشأنها بما يحقق مصلحة التحري وفق الإجراء اللازم بشأن تلك المعروضات وفي حالة الجرائم المعلوماتية يكون الإجراء اللازم هو إرسالها إلى الجهات الفنية أي المعامل الجنائية^٢.

المطلب الرابع: صعوبات التفتيش:

نظراً لما يتميز به مسرح الجريمة المعلوماتية من طبيعة خاصة تختلف عن طبيعة مسرح الجريمة التقليدية لذا فقد تواجه جهات التحقيق العديد من الصعوبات أثناء إجراء عملية التفتيش، وهذه الصعوبات تتمثل فيما يلي:

- أولاً: سهولة محو الدليل أو تدميره:

لما كانت الجريمة المعلوماتية ترتكب بواسطة الحاسب الآلي عن طريق إشارات وأوامر معنوية تعطى من الجاني إلى الحاسب الآلي بكل سهولة ويسر وعن طريق ضغط زر واحد تصبح مسألة التخلص من تلك الأوامر في غاية البساطة والسهولة^٣، ومن

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) شرح قانون الإجراءات الجنائية، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٣) جرائم الحاسب الآلي والانترنت، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

الطبيعي أيضاً أن يكون من السهل على مرتكب هذه الجريمة المعلوماتية محو وإتلاف وتدمير كل دليل من شأنه أن يدينه حتى لا تتمكن جهات التحقيق من إيجاد دليل يدل على من ارتكب هذه الجريمة.

- ثانياً: حماية الدليل بواسطة كلمة السر:

قد يعتمد الجاني إلى وضع كلمة سر معينة على جهاز الحاسب الآلي الذي ارتكبت عن طريقه الجريمة المعلوماتية حتى لا يتمكن أحد من الدخول عليه والاطلاع على ما فيه من معلومات وأدلة تدينه.

إن وضع كلمة سر لجهاز الحاسب الآلي هي من الأمور السهلة ولكن فك كلمة السر هذه يمثل صعوبة ليست بالنسبة لووضعها ولكن لمن يقوم بعملية التفتيش إذ يحتاج في أغلب الأحيان إلى جهد كبير ومدة زمنية طويلة وفي كثير من الأحيان تكون كلمة السر سهلة مثل إن يضع الجاني اسمه أو تاريخ ميلاده أو السنة الميلادية وغيرها من الرموز التي يسهل عليه تذكرها لذلك ينبغي جمع بعض المعلومات الخاصة بالجاني من قبل جهات التحقيق كالاسم وميلاده واسم الأب والأم واسم الزوجة ورقم الهاتف... الخ لمحاولة فتح كلمة السر فإن تعذر عليهم أن يلجأوا إلى البرامج الخاصة بفتح الرموز^١.

- ثالثاً: حماية الدليل بواسطة التشفير:

التشفير هو تحويل المعلومات عبر اتفاقات تحتوي على رموز غير مفهومة بحيث يجب إعادتها إلى حالتها الأصلية لأجل قراءتها وفهمها، وقد يلجأ مرتكب جريمة من الجرائم المعلوماتية إلى

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

التشفير كوسيلة لمنع الوصول إلى الدليل الذي يدينه^١ ، على الرغم من قيام بعض الجهات التي تتبنى في نشاطها نظاماً معلوماً معلوماً لتيسير حركتها بقصد حماية نظمها عن طريق التشفير وغيرها من طرق الحماية الإلكترونية الأخرى، إلا أن قرصنة الحاسب الآلي والعاملين في ذات الجهات يستطيعون اختراق هذه الأنظمة ويجعلون حمايتها لا جدوى منها وذلك بدخولهم إلى المعلومات السرية أو الأسرار التجارية بغرض بيعها أو استخدامها في مؤسسات جديدة يسعون إلى إنشائها أو يكون هدفهم فقط تغيير الأرقام والبيانات لتخريب المعلومات ويقومون بعد ذلك بفرض تدابير أمنية لمنع التفتيش المتوقع بحثاً عن أدلة إدانة ضدهم ويستخدمون كلمة سر حول مواقعهم تمنع الوصول إليها أو تشفيرها لإعاقة الإطلاع على أي دليل يتخلف وراء نشاطهم الإجرامي^٢.

إذاً لابد أن يتم استخدام التكنولوجيا لفك هذه الشفرة عن طريق عملية تسمى بعلم تحليل الشفرة وهو عبارة عن استرجاع النص الواضح بعبارة معينة بدون معرفة المفتاح وتتم هذه العملية من قبل شخص يسمى بمحلل الشفرة ولا بد أن يكون ذلك الشخص يتمتع بإمكانيات عملية عالية حتى يسهل عليه فك الشفرة ولا يستغرق في ذلك وقتاً طويلاً وذلك حتى لا يتمكن الجناة من الهرب أو عمل أي شيء يعيق جهات التحقيق من الوصول إليهم أو الوصول إلى أي دليل يدينهم.

(١) الأدلة الإلكترونية وحجيتها في الإثبات الجنائي، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت، مرجع سابق، ص ٨٩ - ٩١.

(٣) التفتيش في الجرائم المعلوماتية، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

- رابعاً: وجود فايروسات داخل الجهاز:

الفيروس هو عبارة عن برنامج تم إعداده من قبل شخص أو أكثر من درجة متقدمة من العمل بالبرمجة عن طريق استخدام تقنية متطورة بحيث يكون من خصائص هذا البرنامج الانتقال إلى أجهزة الحاسب الآلي والتكاثر والانتشار فيها وهي برامج غير مرئية بالطرق العادية وتحتاج إلى أسلوب علمي للكشف عنها.

وتستخدم الفيروسات لغرضين أحدهما حمائي ويكون لحماية الحاسب الآلي لما يحتويه من بيانات وبرامج من خطر النسخ غير المصرح به وهنا ينشر الفيروس بمجرد النسخ ويدمر نظام الحاسب الآلي الذي يعمل عليه، والآخر لغرض التخريب إذ يهدف صانعه لتخريب نظام الحاسب الآلي أو الحصول على منافع شخصية أو بيانات، وقد يقوم الجاني مرتكب الجريمة المعلوماتية بإدخال فايروس لغرض إعاقة الوصول إلى الدليل الإلكتروني الذي يدينه⁽¹⁾.

- خامساً: تخزين المعلومات في جهاز آخر:

قد يعتمد مرتكب الجريمة المعلوماتية أحياناً إلى تخزين المعلومات التي قد تدينه في جهاز آخر غير الذي ارتكب به الجريمة فإذا كان جهاز الحاسب الآلي الموجودة فيه المعلومات هو غير الجهاز الذي ارتكبت به الجريمة ويوجد في مكان آخر غير المكان الذي يوجد فيه الجهاز المخزنة فيه المعلومات ولكن داخل حدود نفس الدولة ففي هذه الحالة يثار تساؤل مهم حول مدى إمكانية امتداد إذن التفتيش للحاسوب الآخر عن طريق الشبكة إذ تبين أن المعلومات المطلوب ضبطها مخزونة على ذلك الحاسوب.

(1) نفس المرجع ، ص ٢٢٤.

يرى جانب من الفقه في ألمانيا إمكانية امتداد التفتيش إلى البيانات المخزونة في حاسوب آخر خارج موقع التفتيش^١.

ويرى جانب آخر أن الغاية من التفتيش أصلاً هي جمع الأدلة الإجرامية أينما وجدت ولكن يجب مراعاة شرطين هما:

أ- يجب أن تكون المعلومات المخزونة على الحاسوب تفيده في كشف الحقيقة.

ب- مراعاة ضوابط شروط التفتيش المقدره للمكان الذي يوجد فيه الحاسوب الآخر كأن يكون المكان متمتعاً بالحصانة مثلاً.

أما إذا كان الجهاز المخزنه فيه المعلومات يقع في مكان آخر خارج حدود الدولة يجمع الفقه على عدم إمكانية تجاوز نطاق التفتيش لحدود الدولة لأن هذا النوع من التفتيش يشكل انتهاكاً لسيادة الدولة التي يقع الجهاز على أراضيها ومخالفة لقواعد الاختصاص المكاني والولاية القضائية لقضاء الدولة ، ويقول رأي آخر أنه من الممكن تفتيش الجهاز حتى لو كان خارج حدود الدولة إذا كان الهدف منه إظهار الحقيقة^٢، ومما يعيق عملية التفتيش خارج حدود الدولة بالإضافة إلى الكشف على كل ما يشمله الجهاز من معلومات داخله هو عدم الدقة في إذن التفتيش الذي قد يصدر في هذا الصدد^٣.

والشروط الشكلية والشروط الموضوعية، للتفتيش لا بد منها حتى تتحقق العدالة، وهي مطلوبة سواء كانت الجريمة عادية تقليدية أم جريمة معلوماتية، مع خصوصية التفتيش في الجرائم المعلوماتية كما بينا.

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤.

(٢) التفتيش في الجرائم المعلوماتية ، مرجع سابق ، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٣) جرائم الحاسب الآلي والانترنت ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣.

المبحث الثالث

المعاينة

المطلب الأول: مفهوم المعاينة:

- أولاً: تعريف المعاينة في اللغة:

العَيْنُ والمُعَايِنَةُ هي النَظْمُ ، وقد عاينَهُ مُعايِنَةٌ وعايناً أي رآه^١. وقد عاينَهُ مُعايِنَةٌ وعايناً^٢. وراه عياناً^٣ : لم يشك في رؤيته إياه . ورأيت فلاناً عياناً أي مواجهة^٤ .

- ثانياً: تعريف المعاينة في الاصطلاح :

المعاينة هي فحص مكان أو شيء أو شخص له علاقة بالجريمة وإثبات حالته، مثل معاينة مكان ارتكاب الجريمة أو أداة الجريمة^٥.

إذن المعاينة هي إجراء بمقتضاه ينتقل المتحري إلى مكان وقوع الجريمة ليُشاهد بنفسه ويجمع الآثار المتعلقة بالجريمة.

(١) لسان العرب ، مرجع سابق ، ٥٥/٩ .

(٢) نفس المرجع

(٣) التحقق وجمع الأدلة في الجرائم المعلوماتية ، المستشار ، إيهاب محمد التاج ، مجلة العدل ، السنة الحادية عشر ، العدد السادس والعشرون ، ٢٠٠٩ ، المكتب الفني ، وزارة العدل ، جمهورية السودان - الخرطوم ، ص ٣٩٤ .

المطلب الثاني: أنواع المعاينة:

- أولاً: معاينة المكونات المادية للحاسب الآلي :

المكونات المادية في الحاسب الآلي تتمثل في وحدة الإدخال (لوحة المفاتيح، الفأرة، الماسح الضوئي) ووحدة المعالجة المركزية (الذاكرة الرئيسية ،وحدة الحساب والمنطق، وحدة السيطرة والتحكم) ووحدة الإخراج (الشاشة ، الطابعة ، الأشرطة المغنطيسية ، الأقراص المغنطيسية ووسائط الخزن الأخرى)^١.

الجراءات التي تقع على المكونات المادية للحاسب الآلي هي مثل الاعتداء على أشرطة الحاسب الآلي وكابلاته وشاشة العرض الخاصة ذات الطابع المادي المحسوس^٢ وعموماً ليست هنالك أي صعوبة كتقرير صلاحية مسرح الجريمة الذي يضم هذه المكونات لمعاينته من قبل مأموري الضبط القضائي والتحفظ على الأشياء التي تعد أدلة مادية على ارتكاب الجريمة ونسبتها إلى شخص معين وكذلك وضع الأختام في الأماكن التي تمت المعاينة فيها ، وضبط كل ما استعمل في ارتكاب الجريمة والتحفظ عليها ، مع إخطار النيابة العامة بذلك.

والسبب في سهولة المعاينة في هذه الحالة ، أنها تتم على عناصر أو مكونات مادية ملموسة كانت محلاً للجريمة أو تخلفت عنها^٣.

(١) التفتيش في الجرائم المعلوماتية ، مرجع سابق ، ٢١١-٢١٦.

(٢) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ، مرجع سابق ، ص٣٥٦.

(٣) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ، د/ عبد الفتاح بيومي حجازي ، دار الكتب القانونية ، مصر ، د(ط) ٢٠٠٧ م ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

- ثانياً: المكونات غير المادية للحاسب الآلي :

المكونات غير المادية للحاسب الآلي تتمثل في البيانات والبرامج ، البيانات مثل النصوص والخرائط وغيرها من البيانات التي تتحول إلى معلومات ، أما البرامج هي مثل برامج نظم التشغيل ونظم إدارة وقواعد البيانات أو برامج تطبيقية مثل الأفراد والأجور وغيرها^١.

ومن الجرائم الواقعة على المكونات غير المادية للحاسب الآلي الجرائم الواقعة على برامج الحاسب الآلي أو بياناته أو تتم بواسطتها ، وكذلك الجرائم التي تتم بطريق الإنترنت ومنها كذلك جرائم التزوير المعلوماتي والتخريب الذي يتم بطريق الفيروس المعلوماتي^٢.

ويوصي البعض بضرورة اتباع بعض القواعد والإرشادات الفنية عند إجراء معاينة مسرح الجريمة المعلوماتية وتتمثل هذه الإجراءات فيما يلي:

١. تصوير الحاسب الآلي وما قد يتصل به من أجهزة طرفية ومحتوياته وأوضاع المكان الذي يوجد به بصفة عامة مع العناية بتصوير أجزائه الخلفية وملحقاته الأخرى على أن يراعى تسجيل زمان وتاريخ المكان الذي التقطت فيه كل صورة.

٢. ملاحظة طريقة إعداد نظام الحاسب بعناية بالغة.

٣. يجب أن يلاحظ وأن يتم إثبات الحالة التي تكون عليها توصيلات وكابلات الحاسب والتي تكون متصلة بمكونات النظام وذلك حتى يسهل القيام بعملية مقارنة وتحليل لها عند

(١) الجرائم المعلوماتية ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

عرض الموضوع على المحكمة.

٤. عدم التسرع في نقل أي (مادة معلوماتية) من مكان وقوع الجريمة وذلك قبل إجراء الاختبارات اللازمة للتيقن من عدم وجود أي مجالات مغناطيسية في المحيط الخارجي حتى لا يحدث أي إتلاف للبيانات المخزنة.

٥. حفظ ما تحويه سلة المهملات (من الأوراق الملقاة أو الممزقة وأوراق الكريون المستعملة والشرائط والأقراص المغنطة غير السليمة أو المحطمة وفحصها ورفع البصمات التي قد تكون على ما له منها بالجريمة المرتكبة صلة).

٦. القيام بحفظ المستندات الخاصة بالإدخال وكذا مخرجات الحاسب الورقية التي قد تكون ذات صلة بالجريمة وذلك من أجل رفع ومضاهاة البصمات التي قد تكون موجودة عليها.

٧. يجب أن تقتصر عملية المعاينة على مأموري الضبط سواء كانوا من الباحثين أو المحققين ممن تتوافر فيهم (الكفاءة العلمية والخبرة الفنية في مجال الحاسبات واسترجاع المعلومات) ممن تلقوا التدريب الكافي لمواجهة هذه النوعية من الجرائم والتعامل مع أدلتها وما تخلفه من آثار على مسرح الجريمة^١.

المطلب الثالث: صعوبات المعاينة :

- أولاً: إحجام المجني عليهم عن الإبلاغ:

إن المجني عليهم في كل الجرائم بصورة عامة وفي الجرائم المعلوماتية بصورة خاصة هم المتضررين الأساسيين من وقوع هذه الجرائم عليهم، ولذلك ينبغي عليهم أن يقوموا بإبلاغ الجهات المختصة بالتحقيق فور حدوث الجريمة بل وينبغي عليهم أيضاً أن

(١) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية، مرجع سابق ، ص ٣٥٧.

يدلوا بأي معلومات أو وقائع قد تعرضوا لها قبل وقوع الجريمة كالتهديد والابتزاز وغيرها وذلك حتى يسهل على الجهات المختصة بالتحقيق مساعدتهم ويتمكنوا معهم من الوقوف على دوافع ارتكاب الجريمة أو حل لغزها والوصول إلى الجاني الحقيقي ، ولكن المجني عليهم في الواقع لا يقومون بالإبلاغ عن الجريمة سواء كانوا طبيعيين أم اعتباريين وذلك لعدة أسباب هي:

أ- أهمها افتقارهم للقدرة الفنية التي تمكنهم من كشف الجريمة^٢.

ب- خوفهم على سمعتهم ومكانتهم وعلى فقدانهم ثقة الناس فيهم وفي كفاءتهم.

ج- محاولة إخفاء أسلوب الجريمة لكي لا يتم تقليدها من قبل مجرمين آخرين.

وبسبب هذه المخاوف لا يقومون بالإبلاغ عن الجرائم التي تقع عليهم وهذا يؤدي بهم إلى أنهم بذلك يقومون بإحاطة المجرمين بنقاط الضعف في أنظمتهم^٣ الأمر الذي يشجع ويدفع الكثير من الجناة على ارتكاب المزيد من الجرائم على هذه الجهات وعلى غيرها^٤.

إن عدم إبلاغ المجني عليهم عن وقع الجريمة يؤدي إلى الكثير من الأضرار والعوائق التي تقف في طريق من يقوم بعملية المعاينة وتجعل فهمه صعب عليه أكثر مما لو كان قد أبلغ عنها فور حدوثها وانتقل هو فوراً لمسرح الجريمة.

(١) البيئة الإلكترونية ، المستشار / عبد المنعم عبد الحافظ إبراهيم ، (ن) السودان ، (ط) ، ص ٥٢.

(٢) التفتيش في الجرائم المعلوماتية ، مرجع سابق ، ص ٢٩.

(٣) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت ، مرجع سابق ، ص ١١٠.

(٤) الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني ، مرجع سابق ، ص ١٠.

ومن أهم السوابق القضائية التي تدور حول مشكلة عدم إبلاغ المجني عليهم والأضرار المترتبة على ذلك وهي قيام مدير المبيعات في إحدى الشركات الإنجليزية باستخدام أسماء وهمية لشركات في حسابات الشركة التي تجرى معالجتها عن طريق الحاسب ثم وضع برنامجاً خاصاً في الحاسب لاستخراج سبيل من الشيكات لحساب هذه الشركات الوهمية حيث كان يقوم بالاستيلاء على قيمتها وقد اكتشف تلاعبه نتيجة شكوى أحد موظفي إعداد البيانات يكلفه به، وبرغم تلاعبه قرر مديرو الشركة عدم تقديم المتلاعب على القضاء خوفاً من أن يسيء الدعاية التي تستخدم عن المحاكمة إلى سمعة الشركة وبدلاً عن إبداء الامتنان تجاه هذا التصرف طالب المتلاعب بإعطائه خطاب توصية لمساعدته في إيجاد عمل آخر، وخوفاً من قيام المتلاعب بإعطائه خطاب توصية لمساعدته في إيجاد عمل آخر وخوفاً من قيام المتلاعب بدعاية سيئة ضد الشركة قرر المديرون تلبية طلبه وإعطائه خطاب توصية ساعدت في الحصول على وظيفة مدير تنفيذي بشركة أخرى وفي الشركة الجديدة عاد المتلاعب إلى ممارسة نفس أساليب الغش والاحتيال وتمكن من اختلاس ما يقارب ٣٥٠,٠٠٠ دولار في فترة لا تزيد عن ثلاثة أعوام وتم اكتشافه مرة أخرى واستطاع أيضاً أن يحصل على خطاب توصية من الشركة الثانية مقابل عدم قيامه بدعاية سيئة ضد الشركة بيد أنه لم يكلف بذلك بل طالب الشركة أيضاً بإعطائه ٦,٠٠٠ دولار تعويضاً عن فقد وظيفته غير أن الشركة رأت أن هذا الوضع قد فاق ما يمكن تحمله من هذا المتلاعب فقررت رفع دعوى

مدنية ضده لتخطيه حدود عقد العمل ولكنها لم تقم باتخاذ أي إجراء جنائي ضده لتلاعبه واحتياله واختلاسه لأموالها^(١).

- ثانياً: عدم وجود آثار مادية :

إن الجريمة المعلوماتية ذات طبيعة مختلفة عن الجريمة التقليدية حيث أن الجريمة التقليدية غالباً ما تترك آثاراً مادية يسهل من خلالها على المحقق الجنائي حل لغز الجريمة والوصول إلى مرتكبها في أقل وقت ممكن، ولكن الجريمة المعلوماتية لا توجد لديها آثار مادية يمكن من الوصول إلى مرتكبها بأسرع وقت لأنها تتم عبر نبضات إلكترونية غير ملموسة لذلك من الصعب جداً على المحقق الجنائي حل لغز هذا النوع من الجرائم لأن هنالك العديد من العمليات التي يجري إدخال بياناتها مباشرة في جهاز الحاسب الآلي دون أن يتوقف على وجود وثائق أو مستندات يتم النقل منها كما لو كان البرنامج معداً ومخزناً على جهاز الحاسب الآلي ويتوافر أمام المتعامل عدة خيارات وليس له سوى أن ينقر على الخيار الذي يريده فتكتمل حلقة الأمر المطلوب تنفيذها كما في المعاملات المالية في البنوك أو برامج المخازن في الشركات والمؤسسات التجارية الكبرى، حيث يتم ترصيد الأشياء المخزنة أو حسابات العملاء أو نقلها من مكان إلى آخر بطريقة آلية، وحسب الأوامر المعطاة لجهاز كالاختلاس أو التزوير وذلك بإدخال بيانات غير مطلوبة وغير معتمدة في نظام الحاسب أو تعديل البرنامج المخزن في جهاز الحاسب الآلي تكون النتيجة مخرجات على هوى مستعمل الجهاز الذي أدخل البيانات أو

(١) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ودور الشرطة والقانون ، مرجع سابق ، ص ٣٥٧.

(٢) مرجع سابق ، ص ٣٥٦.

عدل البرنامج دون استخدام وثائق أو مستندات ورقية وبالتالي تفقد الجريمة آثارها المادية^١.

- ثالثاً: تردد الأشخاص على مسرح الجريمة :

قد تقوم أعداد كبيرة من الأشخاص بالتردد على مسرح الجريمة خلال المدة الزمنية التي غالباً ما تكون طويلة نسبياً وذلك ما بين اقرار الجريمة والكشف عنها الأمر الذي يمنح فرصة للجاني أو الآخرين لأن يقوموا بتغيير أو تلفيق أو العبث بالأثار المادية أو زوال بعضها وهو ما يؤدي إلى الشك في الدليل المأخوذ من المعاينة ولذلك ينبغي أن يتم التبليغ بأقصى سرعة عند حدوث الجريمة حتى لا يتم تغيير في مسرح الجريمة المعلوماتية.

- رابعاً: صعوبة المحافظة على الدليل المعلوماتي:

إن البيانات والمعلومات المتداولة عبر الانترنت تكون على هيئة رموز مخزنة على وسائط تخزين ممغنطة ولا تقرأ إلا بواسطة الحاسب الآلي ولذلك ولما تتميز به الجرائم المعلوماتية من طبيعة فنية معقدة لذلك يصعب المحافظة على الأدلة المعلوماتية وبالتالي فإننا نكون بحاجة إلى خبرة فنية معينة يتمتع بها رجال التحقيق أو كل من يقوم ويشارك في عملية المعاينة بحيث تتوافر لديهم المقدرات الفنية والتقنية التي تمكنهم من القيام بإجراء المعاينة على أدق وأكمل وجه^٢.

(١) مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والانترنت ، مرجع سابق ، ص ٨٣-٨٤.

(٢) مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢

(٣) جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية ودور الشرطة والقانون، مرجع سابق ، ص ٣٥٦.

(٤) مجلة الأبحاث ودراسات التدريب والمعلومات ، ص ١١٩.

- خامساً: إعاقة الوصول إلى الدليل المعلوماتي:

قد يقوم المجرم المعلوماتي بإعاقة الوصول إلى الدليل المعلوماتي بشتى الوسائل، فهو بعد ارتكاب جريمته يقوم بدس برامج أو وضع كلمات سرية كرموز تعوق من يقوم بإجراء المعاينة من الوصول إلى الدليل المعلوماتي أو يلجأ إلى تشفير المعلومات مما يصعب الوصول إلى دليل يدينه وذلك لأنه من السهل على المجرم المعلوماتي في أغلب الجرائم المعلوماتية محو الدليل في زمن قياسي ولا يستغرق ذلك سوى دقائق معدودة بالاستعانة بالبرامج المخصصة لذلك^١.

ولم يعالج المشرع السوداني أمر التفتيش والمعاينة المتعلق بجرائم المعلوماتية في قانون الإجراءات الجنائية، وهذا هو مكانه المناسب، ولم يشرع في إنشاء شرطة خاصة ونيابة خاصة ومحاكم خاصة، وفقاً للتوجيه الذي ذيل به قانون جرائم المعلوماتية، في الفصل الثامن تحت عنوان (إجراءات تنفيذ القانون) وسماها قواعد في المواد (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) (إصدار القواعد: دون الإخلال بأحكام قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١م يجوز لرئيس القضاء أن يصدر قواعد خاصة لتحديد الإجراءات التي تتبع في محاكمة الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون. المحكمة المختصة: ينشئ رئيس القضاء وفقاً لقانون الهيئة القضائية لسنة ١٩٨٦م محكمة خاصة للجرائم المنصوص عليها في هذا القانون. النيابة المختصة: تنشأ بموجب أحكام قانون تنظيم وزارة العدل لسنة ١٩٨٣م نيابة متخصصة لجرائم المعلوماتية. الشرطة المختصة: تنشأ بموجب أحكام قانون شرطة السودان لسنة ٢٠٠٨م شرطة متخصصة لجرائم المعلوماتية^٢.

(١) الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) قانون جرائم المعلوماتية لسنة ٢٠٠٧م.

الخاتمة

بعد استعراض وتحليل مفاهيم التفتيش والمعاينة والصعوبات التي تواجه التفتيش والمعاينة خرجت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات الآتية:

- أولاً: أهم النتائج:

١. إن الجرائم المعلوماتية ذات طبيعة خاصة تختلف عن الجرائم التقليدية وذلك نسبة لأنها تتم في مسرح افتراضي وأحياناً يكون غير ملموس.
٢. مسرح الجريمة قد يمتد بين أكثر من دولة فهي جريمة عابرة للحدود وأحياناً متعددة المسارح.
٣. إن المجرم المعلوماتي يتمتع بذكاء حاد في مجال الحاسب الآلي على العكس في الجانب الآخر فإن جهات التحقيق تعاني من فقر ونقص شديد في الخبرة الفنية والكفاءة في هذا المجال.

- ثانياً: التوصيات:

١. إنشاء محاكم ونيابات وشرطة متخصصة في جرائم المعلوماتية، وما نص عليه في قانون جرائم المعلوماتية ٢٠٠٧م لا يكفي لأن الإنشاء والتخصيص محلها قانون الجهة المختصة بالإنشاء حسب الحال.
٢. تعديل قانون الإجراءات الجنائية وقانون الإثبات حتى يواكب التطور الحادث في الضبط والتفتيش والمعاينة والإثبات.
٣. التدريب المستمر للقائمين على أمر التحري لمواكبة مستجدات

العولة وما الجريمة المعلوماتية إلا نتاج لهذه العولة.

٤. العودة إلى العمل بالشرطة المتخصصة من أجل التدريب والتأهيل في التخصص المعني.

المصادر والمراجع:

١. الأدلة الإلكترونية وحجيتها في الإثبات الجنائي، أ/ محمد علي إبراهيم محمد، (د ن)، السودان، ط ١، ٢٠١٤م.
٢. أساليب إجرامية بالتقنية الرقمية، د/ مصطفى محمد موسى، دار الكتب القانونية، مصر، (ط)، ٢٠٠٥م.
٣. البوليس العلمي أو فن التحقيق، دار مسيس بهنام، منشأة المعارف، مصر، (ط) ١٩٩٦م.
٤. البيئة الإلكترونية، المستشار/ عبد المنعم عبد الحافظ إبراهيم، (د ن)، السودان، (ط).
٥. التفتيش في الجرائم المعلوماتية، د/ سامي جلال فقهي حسين، دار الكتب القانونية، مصر، (ط) ٢٠١١م.
٦. جرائم الإنترنت والحاسب الآلي ووسائل مكافحتها، أ/ منير محمد الجنيهي - أ/ منصر محمد الجنيهي، دار الفكر الجامعي، مصر، (ط)، ٢٠٠٥م.
٧. جرائم الحاسب الآلي والإنترنت، أ. أسامة أحمد المناعسة - جلال محمد الزعبي، صايل فاضل هواوشة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م.
٨. جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية، أ/ عفيفي كامل عفيفي، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، (ط) ٢٠٠٣م.

٩. الجرائم المعلوماتية على شبكة الإنترنت، أ/ أمير فرج يوسف، دار المطبوعات الجامعية، مصر، د(ط)، ٢٠٠٨م.
١٠. الجرائم المعلوماتية، أ/ محمد علي العريان، دار الجامعة الجديد، مصر، د(ط) ٢٠١١م.
١١. الجريمة المعلوماتية في القانون السوداني، د/ عزة علي محمد الحسن، الزيتونة للطباعة، السودان، د(ط)، ٢٠٠٩م.
١٢. الجوانب الإجرائية لجرائم الإنترنت، أ/ نبيلة هبة هروال، دار الفكر الجامعي، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
١٣. شرح قانون جرائم المعلوماتية السوداني، أ/ قيس عبد الوهاب حمد محمد، د(ن)، السودان، ط١، ٢٠١٠م.
١٤. قانون الإثبات السوداني لسنة ١٩٩٤م.
١٥. قانون الإجراءات الجنائية، د/ حاج آدم حسن الطاهر، منشورات جامعة السودان المفتوحة، السودان، ط١، ٢٠٠٧م.
١٦. قانون الإجراءات الجنائية السوداني لسنة ١٩٩١م
١٧. القانون الجنائي السوداني لسنة ١٩٩١م.
١٨. قانون الحاسوب، د/ عزة علي محمد الحسن، منشورات جامعة السودان المفتوحة، السودان، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩. لسان العرب، بن منظور، دار إحياء التراث - مؤسسة التاريخ العربي - لبنان، ط٣، ١٩٩٣م
٢٠. مبادئ الإجراءات الجنائية في جرائم الكمبيوتر والإنترنت، د. عبد الفتاح بيومي حجازي، دار الكتب القانونية، مصر، د(ط) ٢٠٠٧م.

٢١. مجلة أبحاث ودراسات التدريب والمعلومات.
٢٢. مجلة العدل (العدد ٢٤ ، ٢٦).
٢٣. الموسوعة الفقهية، مطبعة المهوي الأولى، الكويت، ط٥،
٢٠٠٨م.

التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي رؤية تأصيلية

د. عبد المنعم الطيب حميدة علي*

* - أستاذ الأحياء، المساعد بقسم الأحياء والكيمياء، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

مستخلص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي، والتنوع الحيوي هو التباين والاختلاف والتعدد بين الكائنات الحية الأرضية حيث يوجد النبات والحيوان والكائنات الحية الدقيقة البكتيريا والفطريات والفيروسات وكذلك الطلائعيات (protista) المختلفة، وداخل هذه التجمعات والتباينات توجد الأجناس والأنواع والأصناف وتحت الأصناف.

وظهر الاختلال في التوازن الطبيعي للبيئة في عدد كبير من الصور، فهناك كثير من النباتات والحيوانات والكائنات البحرية والبرية التي انقرضت أو أصبحت مهددة بالانقراض، وتوجد غابات متعددة في العالم تحولت إلى صحارى، وهنالك احتمال أيضاً أن يختفي ما يقارب 14% من الغابات الإستوائية قبل نهاية القرن العشرين.

ويؤكد الإسلام أن استعمال نعم الله على غير المقصود منها يحيلها إلى نقم، كما أن تعطيلها وإهمالها يخل بالتوازن الذي أوجده الله عليه، مشدداً على ضرورة المعالجة الفورية للفساد الذي قد يقع، واتخاذ السبل والوسائل الممكنة للوقاية مما يتوقع من فساد.

ولا يزال الإنسان ومنذ مر العصور يعمل دائماً وأبداً على استغلال موارد الطبيعة في حياته اليومية ولبناء تقدمه وحضارته، إلا أن استغلاله لهذه الموارد يتم في أغلبها بطرق عشوائية وخاطئة الأمر الذي أدى إلى الأضرار بالبيئة واختلال توازنها بحيث أصبحت ضعيفة هشّة لا تستطيع الوفاء بمتطلباته.

Abstract

This study aimed to find out biodiversity and its impact on the ecological balance , biodiversity is the variation and differences and diversity among living terrestrial organisms where plant and animal organisms and bacteria, fungi and Elvirossiat minute, as well as different parasites (protista), and within these communities and disparities are exist genera, species and varieties under varieties. ere appeared at the natural balance of the environment in a large number of images, there are a lot of flora, fauna, and sea and terrestrial organisms that have become extinct or are threatened with extinction, and there are multiple forests in the world turned to deserts, and there is the possibility of also disappear approximately 0/014 of tropical forests before the end of the twentieth century. Islam emphasizes that the use ease God is meant to refer them to the let, and the disabled and neglected upset the balance which God created it, stressing the need for immediate treatment of the corruption that might occur, and to take possible ways and means of prevention than would be expected from corruption. Human still and since over the centuries has always worked and never on the exploitation of natural resources in their daily lives and to build progress and civilization, but the exploitation of these resources are mostly random and in wrong ways which led to damage to the environment and the disruption of balance so that has become weak, fragile and meet its requirements.

مقدمة

بدأ الإنسان يخشى اليوم الذي لا يجد فيه ملاذاً يحميه من غول التلوث وما تواجه بيئته الآن من عوامل التدهور السريع الذي أصاب كل مرافق الحياة البشرية بسبب التقنيات المتطورة التي لعبت دوراً كبيراً في تخريب البيئة الطبيعية وتدميرها دماراً لم تعهده من قبل.

ومن هنا تعالت الأصوات المتعالية في العالم محذرة من المصير الذي ينتظر الإنسان إذا تمادى في غيه ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر: ٤٩].
ظهر هذا الاختلال في التوازن الطبيعي للبيئة في عدد كبير من الصور ، فهناك كثير من النباتات والحيوانات والكائنات البحرية والبرية التي انقرضت أو أصبحت مهددة بالانقراض ، وتوجد غابات متعددة في العالم تحولت إلى صحارى ، وهناك احتمال أيضاً أن يختفي ما يقارب 14%^١ من الغابات الاستوائية قبل نهاية القرن الحادي والعشرين.^١

كذلك جفت أنهار وبحيرات، ولم يسلم الغلاف الجوي من عدوان الإنسان ، إذ يمثل ثقب طبقة الأوزون تهديداً مباشراً للحياة على كوكب الأرض، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ [الروم: ٤١].

وقد كان ذلك كله سبباً في تغير المناخ ، وارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، حتى أن هناك تقارير علمية تؤكد أن ارتفاع درجة الحرارة بمقدار ثلاث درجات مئوية بحلول عام ٢٠٥٠، سيترتب عليه ارتفاع مستوى سطح البحر بمقدار يتأرجح من ٥٠سم _ ١٠٠سم.

(١) التربية البيئية عن البيئة العالمية برنامج التعليم البيئي جامعة بير زيت مركز علوم صحة البيئة والمهنة ص ٧٨

وهذه الاحتمالات المروعة أدت إلى المناداة بضرورة نشر (علم توازن البيئة) لإيجاد حلول ناجعة للمشكلات البيئية قبل فوات الأوان.

ويؤكد علماء البيئة وخبرائها أن الإنسان هو العامل الرئيس في اضطراب البيئة (التوازن الطبيعي في هذا الكون قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم: ٤١].

والعجيب أن العالم اليوم يقف أمام قضية اختلال التوازن البيئي ، كما لو كانت مشكلة فجائية لم تتجم من تراكم ممارسات خاطئة وجشعة على امتداد أزمان طويلة ، لذلك فإن معظم المحاولات الرامية لتدارك العواقب الوخيمة التي أطلت برأسها وأصبحت تهدد الحضارة الإنسانية^١.

مشكلة البحث:

التنوع الحيوي هو التباين والاختلاف والتعدد بين الكائنات الحية الأرضية حيث يوجد النبات والحيوان والكائنات الحية الدقيقة (البكتيريا والفطريات والفيروسات) وكذلك الطلائعيات. ويمثل النظام البيئي وحدة تنظيمية أو مكانية تشمل كائنات حية وعوامل غير حية متفاعلة فيما بينها تؤدي إلى تبادل المواد بين المكونات الحية وغير الحية^٢ وللبيئة نظام تنظيمي في حيز معين يضم عناصر حية وغير حية تتفاعل مع بعضها وتؤدي إلى تبادل للمواد بين عناصرها الحية وغير الحية وحدث أي مؤثر على الكائنات الحية يؤدي إلى خلل في التوازن البيئي. ومن المشكلة يمكن صياغة التساؤلات التالية:-

- ١- وضع علاقة الكائنات الحية مع بعضها البعض.
- ٢- كيف نحافظ على الكائنات الحية من الانقراض .
- ٣- ما هي فائدة التنوع الحيوي بالنسبة للإنسان في الحياة.
- ٤- عدد أنواع التنوع الحيوي.

(١) المدخل إلى العلوم البيئية الأستاذ الدكتور سامح الغرابية الأستاذ الدكتور يحيى الفرحان ص ٦٥ .

أهداف البحث :

الدين الإسلامي الحنيف وتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم تحثنا وتدعونا إلى الحفاظ على توازن بيئي سليم ومرتز يكفل الحياة لجميع الكائنات الحية بما فيها الإنسان. وعليه فقد هدف هذا البحث إلى :-

١. توضيح الطرق التي تتخذ في بعض الدول للحفاظ على الكائنات الحية من الانقراض.
٢. كيف نحافظ على تنوع الكائنات الحية.
٣. توضيح كيف يقدر الفرد على مقاومة التغيرات البيئية الناتجة عن الوسط المحيط.
٤. توضيح العلاقة بين التنوع الحيوي والتوازن البيئي.
٥. توضيح مكونات النظام البيئي.

أهمية البحث :

أثبتت القضية الإيمانية بان للكون خالق واحد مبدع ومتفرد في خلقه . معرفة العلاقة بين التنوع الحيوي والتوازن البيئي وما هي فائدة التنوع الحيوي بالنسبة للكائنات الحية. ونحاول الاستعانة بومضات من الهدى النبوي الشريف للاستدلال على عظمة منهج البيئة. وإن مبدأ حماية التنوع الحيوي يجب أن يقوم على أساس خلق توازن بين احتياجات ومتطلبات المجتمعات والأفراد وبين التوازن البيئي والتنوع الحيوي دون الإخلال بأي من هذه العناصر ومن هذا المنطلق يجب أن تبدأ عملية المحافظة على البيئة والتنوع الحيوي. كل هذا التنوع الحيوي خلقه الله لمصلحة الإنسان

منهج البحث : استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

المصطلحات :

التنوع الحيوي : هو التباين والاختلاف والتعدد بين الكائنات الحية الأرضية حيث يوجد النبات والحيوان والكائنات الحية (الدقيقة البكتيريا والفطريات والفيروسيات) وغيرها من الكائنات.

البيئة : هي كل ما يحيط بالكائن الحي ويؤثر في بقائه وكثافته وتكاثره وتوزيعه.
التوازن البيئي : التوازن في مجمل الدورات الغذائية الأساسية والمسالك المتداخلة للطاقة داخل النظام البيئي ، وهذا يتطلب أن تكون جميع نواحي عمل النظام البيئي في اتزان ولذا لا بد أن يكون هناك توازن بين الإنتاج والاستهلاك والتحلل داخل النظام. ويوجد الاتزان في جميع مستويات التنظيم الحيوي.

حدود الدراسة :

الحدود المكانية : جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم - كلية التربية - قسم الأحياء والكيمياء

الحدود الزمنية : شهر ١١ - ٢٠١٥م

هيكل البحث:

مقدمة البحث، مشكلة البحث ، أهداف البحث ، أهمية البحث ، منهج البحث ، حدود البحث ، هيكل البحث.

المبحث الأول : الإسلام والبيئة

المطلب الأول: الإسلام وعلم البيئة:

- النظام البيئي ومكوناته

المطلب الثاني : النظم البيئية والاتزان

- النظم البيئية وأنواعها

- أهمية أتزان النظام البيئي

- مفهوم الاتزان البيئي
- المبحث الثاني: التنوع الحيوي، وتم تقسيمه إلى مبحثين
 - المطلب الأول : مفهوم التنوع الحيوي وأقسامه
 - التنوع الحيوي
 - تعريف التنوع الحيوي
 - أقسام التنوع الحيوي
 - المطلب الثاني: قضايا التنوع الحيوي ومناطقه
 - قضايا التنوع الحيوي
 - أهم مناطق التنوع الحيوي
 - فوائد التنوع الحيوي
- المبحث الأول : التنوع والتوازن
 - الأسباب التي أدت إلى انقراض الكائنات الحية
 - التنوع والتوازن
 - الأصناف المهددة بالانقراض
- المبحث الثاني : حماية البيئة
 - الكائنات الدخيلة
 - حماية التنوع الحيوي
 - فوائد التوازن البيئي ومصادره الحيوية
- الخاتمة، النتائج، التوصيات، المصادر والمراجع

المبحث الأول

الإسلام والبيئة

المطلب الأول: الإسلام وعلم البيئة

من المعلوم إن الدين الإسلامي لم يترك أي شاردة أو واردة إلا تطرق إليها ووضع الحلول اللازمة لها، ومن بين هذه العلوم التي كانت صلب مقومات الدين الإسلامي الحنيف هو علم البيئة وما حفل به القصص القرآني بأنباء هذه الأمم التي ابتعدت عن منهج الله وأقامت حضارتها على أسس مادية بحتة، أفسدت الأرض فكان مآلها إلى الفناء والزوال، وفي الوقت نفسه فإن الإسلام يقدم منظوراً متكاملًا للتفاعل الذي ينبغي أن يكون بين الإنسان والبيئة، بما يمكن الإنسان من استغلالها استغلالاً رشيداً من غير فساد ولا إفساد حتى يضمن استمرار انتفاعه بمكونات هذه البيئة التي سخرها الله له، وفي الوقت ذاته يحفظ لها توازنها، وقد وضع الإسلام القواعد والنظم الشرعية التي يتم بموجبها هذا الاستغلال، ويرمى الإسلام من وراء ذلك إلى الاستفادة القصوى من نعم الله دون إفساد الطبيعة قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر: ٤٩].

وفي هذا الإطار يؤكد الإسلام أن استعمال نعم الله على غير المقصود منها يحيلها إلى نقم، كما أن تعطيلها وإهمالها يخل بالتوازن الذي أوجده الله عليه، مشدداً على ضرورة المعالجة الفورية للفساد الذي قد يقع، واتخاذ السبل والوسائل الممكنة للوقاية مما يتوقع من فساد، ولا شك أن ذلك لا يتم إلا بالعلم وهنالك آيات قرآنية وأحاديث كثيرة تدعو إلى العلم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أطلبوا العلم من المهدي إلى اللحد، طلب العلم فريضة على كل مسلم".^١

(١) مساهمة العرب في علوم الحياة، بغداد وزارة الثقافة - ١٩٦٩م ص ٤٣، و المدخل إلى العلوم سامح الغرايبة وبجي الفرحان يحي

ويصعب كثيراً تفصيل المنهج الإسلامي المحدد لعلاقة الإنسان بالبيئة، لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تزخر بالعديد من التعاليم التي تبين دقائق هذا المنهج وتفصيلاته إضافة إلى التراث الضخم من الممارسة الواقعية الذي خلفه السلف.

ونحاول الاستعانة بومضات من الهدي النبوي الشريف للاستدلال على عظمة هذا المنهج، نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأن غرس شجرة يستظل بها صدقة، ناهيك عن شجرة مثمرة مظلة، بل أنه نهى الجيوش عن إحراق الزرع وقطع الشجر، كذلك التوجيه النبوي بعدم الإسراف واضح في نهيه صلى الله عليه وسلم - عن المبالغة في استخدام الماء في الوضوء، ولو كان المسلم على نهر جار.

ووجه الرسول الكريم إلى ضرورة الرفق بالحيوان، حتى أنه نهى عن قتل عصفور دون حاجة، وبين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.

وعلى نهجه سار السلف الصالح، فهذا الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز يحدد حجم الأثقال التي يجب أن يحملها البعير، بعد أن رأى أحد الرعية يثقل على بعيره. وقد جعل المسلمون أوقافاً مخصصة لإطعام الحيوانات الضالة وعلاجها وشراء الحبوب الغذائية للطيور، وهم بذلك سباقون في هذا المجال.

وفى مجال ما تركه العلماء العرب والمسلمون فيما يتعلق بمفاهيم البيئة وإن اختلفت المصطلحات القديمة عن المعاصرة اليوم، في ميدان النبات والحيوان فقد درسوا وطوروا الكثير من النظريات والآراء العلمية والنظرية والتطبيقية، ووضعوا أساساً للعديد من فروع علوم النبات والحيوان والبيئة، وبذلك كانت هذه الإسهامات قواعد استفادات منها الحضارة الغربية الحديثة بعد ذلك، وعرف العرب والمسلمون العلاقة الوثيقة التي تربط علم النبات من جهة وبين علوم أخرى كالطب والصيدلة والجيولوجيا والزراعة والمناخ وغير ذلك لأنهم كانوا مدركين العلاقة الوثيقة بين الحيوان والنبات

والعناصر غير الحية وكيفية الاستفادة من العناصر الحية وغير الحية في المجالات التطبيقية المختلفة^١.

ومن هنا يتضح أن الحضارة الإسلامية قد ساهمت بشكل كبير في مجال علوم الحيوان والنبات وبالتالي في علوم البيئة أيضاً وخير دليل على ذلك ما تركه العلماء العرب والمسلمون من مئات المصادر والمراجع في هذه العلوم التي كانت ولا زالت من أهم المراجع الأوروبية والأمريكية.

ولا يمكن حصر الإسهامات التي قدمها العرب والمسلمون فهي كثيرة في هذا المجال وسنورد بعض الأمثلة حسب تعاقبها الزمني :

- فقد درس الأصمعي (740-830م) بعض أصناف الحيوانات البرية والبحرية والأليفة والمتوحشة. وكان جل تركيزه على دراسة بيولوجية الخيل والإبل بشكل واسع.

- وقد كان أبو عثمان الجاحظ [767-869م] يتابع الحيوان في بيئته فيصف سلوكه ويتحدث عن بيولوجيته وسلوكه ويعد الجاحظ أول من قال عن أسس مكافحة الحيوية (Biological control)، حين ذكر في كتابه (الحيوان): [فعلت أن الصواب في جمع الذباب مع البعوض، فإن الذباب يفنيه]. هذا الكلام له مفهوم بيئي مهم في السيطرة على الكائنات الحية الضارة بدلاً من استعمال المبيدات والمواد الكيميائية التي تلوث البيئة.

وكان الجاحظ يلاحق الحيوان في ولادته فيتحدث عن نشأته وموطنه وكيفية تربيته لصغاره وإطعامهم ، ثم أنه حاول أن يستوضح تأثير الحرارة وضوء الشمس على الحيوانات المختلفة، وهذا ما يقوم به الآن علماء البيئة.

- ويعتبر العالم المجريطي [950-1008م] أول من وضع كتاباً أبرز في عنوانه كلمة البيئة من خلال كتابه (في الطبيعيات وتأثير النشأة و البيئة

(١) المسلمون علماء وحكماء د. حسن الشرقاوي مؤسسة مختار للنشر والطباعة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧م. ص ١٣، والمدخل إلى العلوم البيئية الأستاذ الدكتور سامح الغرابية، والأستاذ الدكتور يحيى الفرغان ص - ٧٥ - ٨٢.

- على الكائنات الحية) وهو أول من تحدث فيما يعرف اليوم بمراتب الهيمنة لدى الحيوانات (Dominance Hierarchy)، حيث أشار إلى أن للحيوانات رئيساً ومرؤوساً، فيقول: (إن الحيوانات فيها التفاضل موجود كوجوده في بني آدم وفيها رؤساء وقادة في كل جنس من أجناسها).¹
- ودرس بن سينا [980 - 1036] في موسوعته الشفاء (كتاب الحيوان) الحيوانات المائية والبرمائية، وعني بالحيوانات المائية بشكل كبير وقسمها إلى لحية وشطية، وقسم الشطية إلى طينية وصخرية.
 - ثم جاء بن البيطار [1197- 1249م] العالم الأندلسي المعروف فدرس مختلف النباتات وبيئاتها في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) وكان موفقاً في دراسته لها.
 - وقد أهتم القزويني [1208- 1283] في كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) بتأثير البيئة على الحيوانات، ثم تناول العلاقات الجيدة والعدائية بين الحيوانات أو ما يعرف بالتدخلات الحيوية (Biological Insertionships) فيقول: حيوان الببر لحيوان هندي أوفى من الأسد، بينه وبين الأسد معاداة وإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر].

وهكذا نلاحظ أن علماء العرب والمسلمين لم يعزلوا علم البيئة عن النبات والحيوان والمعادن، بل دائماً كانوا يربطون الحيوان والنبات وبيئته، وتحدثوا أيضاً عن العلاقات بين الحيوانات مع بعضها البعض، وبذلك أرسى علماء العرب والمسلمون قواعد علم البيئة وبذلوا كل ما في وسعهم في تجديد المعارف وتطويرها.

(1) المسلمون والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل مؤسسة المطبوعات الحديثة الطبعة الأولى ١٩٦٠م ص-٢٣. مساهمة العرب في علوم الحياة، بغداد وزارة الثقافة - ١٩٦٩م ص-٥٤

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤) [الأعراف: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [يوسف: ٥٦].

ومن هنا فإن كلمة البيئة مشتقة من الفعل لبوأ، ويقال تبوأ منزلاً أي نزلته، وبوأ الرجل منزلاً هياًته ومكنت له فيه ، هو العلم الذي يدرس الكائن الحي في مكان إقامته أو منزله، حيث يتأثر الكائن الحي بمجموعة عوامل حية (بيولوجية) وغير حية (كيميائية وفيزيائية) ينتج عنها علاقات قد تكون إيجابية أو سلبية أو كلاهما معاً.

٢- النظام البيئي ومكوناته:

يمثل النظام البيئي وحدة تنظيمية أو مكانية تشمل كائنات حية وعوامل غير حية متفاعلة فيما بينها تؤدي إلى تبادل المواد بين المكونات الحية وغير الحية. وللبيئة نظام تنظيمي في حيز معين يضم عناصر حية وغير حية تتفاعل مع بعضها وتؤدي إلى تبادل للمواد بين عناصرها الحية وغير الحية.

ومن هنا فإن النظام البيئي بما يشمل من جماعات ومجتمعات ومواطن بيئية مختلفة، أي التفاعل الديناميكي لجميع أجزاء البيئة مع التركيز بصورة خاصة على تبادل المواد بين الأجزاء الحية وغير الحية.

فالنظام البيئي بما يضم من جماعات ومجتمعات ومواطن بيئية مختلفة، يعني بصورة عامة التفاعل الديناميكي لجميع أجزاء البيئة مع التركيز بصورة خاصة على تبادل المواد بين الأجزاء الحية وغير الحية.

(١) البيئية مشكلات وحلول عادل الشيخ حسين الطبعة العربية -٢٠٠٩م ص ٢٣ - ٢٧، والمدخل إلى العلوم البيئية الأستاذ الدكتور سامح الغرايبة والأستاذ الدكتور يحيى الفرخان ص ٩٠ - ١٠٠

وموطن البيئة (Habitat) يمثل وحدة النظام البيئي حيث يمثل الملجأ أو المسكن للكائن الحي ليشمل جميع معالم البيئة من معالم لفيزيائية وكيميائية وحيوية في حين اعتبرت المواطن الدقيقة (Microhabitat) أصغر الوحدات البيئية المأهولة. ولإجمال هذا النظام تتكون البيئة في أبسط صورة من مكونات غير حية _ (Abiotic Component) ومكونات حية (Biotic Component) ومنها يتشكل النظام الديناميكي المتزن، وهذه المكونات تسمى أيضاً بالعوامل (Factors) تؤثر وتتأثر ببعضها البعض ضمن هذا النظام البيئي. والعوامل غير الحية مثل:

١. المواد اللا عضوية مثل الكربون والأكسجين والنيتروجين والفسفور وغيرها من العناصر الطبيعية الأخرى.
٢. المواد العضوية مثل البروتينات، الكربوهيدرات، الدهون، الفيتامينات، والأحماض النووية.
٣. عناصر المناخ كالحرارة والرطوبة والرياح والضوء.
٤. عناصر فيزيائية كالجاذبية والإشعاع.

أما المكونات (العوامل) الحية فتشمل المكونات الحية لجميع النظام البيئي المعني بالدراسة من حيوان ونبات وكائنات حية دقيقة وهي كالآتي :

أ- المنتجات (Producer):

تحتاج هذه الكائنات إلى الماء وثنائي أكسيد الكربون والأملاح المعدنية ومصدر للطاقة وبعض المعادن لكي تبقى حية، وتختلف هذه الكائنات عن الكائنات الأخرى بأنها تقوم بتحويل المركبات غير العضوية ذات الطاقة المنخفضة إلى مركبات عضوية ذات طاقة مرتفعة (كالكربوهيدرات) في البلاستيدات الخضراء في النبات بواسطة مادة الكلوروفيل، لذا فهي تسمى بالكائنات ذاتية التغذية (Autotrophs) تضم النباتات الخضراء والطحالب والسيانو بكتريا.

ب- المستهلكات (Consumers):

تستعمل المواد العضوية المنتجة من قبل الكائنات ذاتية التغذية سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبذلك تعتبر غير ذاتية التغذية لأنها غير قادرة على إنتاج

مركباتها العضوية اللازمة للأغراض الغذائية الأساسية. وتشمل الحيوانات والفطريات والكائنات الدقيقة وبعض الطلائعيات.

تصنف الكائنات الحية المستهلكة حسب مصدرها الغذائي إلى:
١. آكلات الأعشاب (Herbivores):

كائنات حية مستهلكة تتغذى على النباتات كالمواشي وأنواع من القوارض والغزلان والطيور آكلة البذور، والحشرات وبعض الكائنات المائية التي تتغذى على الهوائيم (الطحالب).

٢. آكلات اللحم (Carnivores):

كائنات حية مستهلكة تتغذى على اللحم ويختلف مستوى الغذاء لآكلات اللحم، يتغذى العقرب المائي لمستهلك ثانياً على القشريات وقد يؤكل من قبل الضفدع، وهذا قد يؤكل من سمكة صغيرة تقترب من قبل سمكة كبيرة وأخيراً يتغذى العقاب (مستهلك سادس) على هذه السمكة وهكذا.

٣. آكلات الإعشاب واللحوم (Omnivores):

كائنات حية تتغذى على النبات والحيوان معاً وتسمى بالكائنات الخلطية وهي بذلك يمكنها أن تكون مستهلكات أولية وثانوية وثالثية في نفس الوقت، ومنها الإنسان الذي يأكل الخضروات يسمى مستهلك أولي والذي يأكل لحوم يعتبر مستهلك ثانوي، وقد يكون مستهلكاً ثالثاً عندما يتغذى على لحوم مستهلكات ثانية كالأسماك، وكذلك الحال بالنسبة للعديد من الكائنات الحية.

٤. المحللات (Decomposers)

هذه الكائنات الحية تقوم بتحليل الكائنات الحية بعد انتهاء عملية التحلل الذاتي (Autolysis) (التي تحدث داخل الكائن الحي بعد الموت مباشرة) وذلك للحصول على الطاقة اللازمة لحياتها. وتشمل المحللات البكتيريا والفطريات التي تمتص ما تحتاج إليه من مواد عضوية محللة عن طريق غشائها الخلوي مباشرة.

المطلب الثاني

النظم البيئية وأنواعها

وهي تنقسم حسب توفر المكونات الحية وغير الحية وهناك نظامان مشهوران لها :
(أ) نظام بيئي طبيعي (متكامل) : ويسمى أحياناً بالنظام البيئي المفتوح (Open System)، وهو الذي يحتوى على جميع المكونات الأساسية الأولية المذكورة سابقاً (الحية وغير الحية) مثل الغابة والمستنقع والنهر والبحيرة.
(ب) نظام بيئي غير متكامل: وهو يعرف بالنظام البيئي المغلق (Closed Eco system) وهو الذي يفتقر إلى المكونات الأساسية مثل الأعماق السحيقة للبحر والكهوف المغلقة حيث تشترك في كونها لا تحتوى على الكائنات المنتجة لعدم توافر مصدر الطاقة الشمسية.

النظم البيئية حسب مصدر الطاقة :

تقسم النظم البيئية من ناحية مصدر الطاقة المحركة للنظام البيئي إلى ثلاثة أقسام:

١. نظام بيئي طبيعي يدار بالطاقة الشمسية مثل المحيطات المفتوحة والغابات.
٢. نظام بيئي بشري يدار بالطاقة الشمسية حيث يقوم الإنسان تبعاً لمصالحه المعيشية باستبدال النباتات الطبيعية ببعض المحاصيل الزراعية ويضيف إليها مواد جديدة كالأسمدة والمبيدات الحشرية ومن أمثلتها البساتين والحقول الزراعية، وهذا النوع ساهم في تلوث البيئة وأضر بعناصرها الحيوية وغير الحيوية.
٣. نظام بيئي صناعي: يدار بطاقة الوقود، حيث تعتمد طاقة هذا النظام على مصدر غير الشمس كالكهرباء والوقود وغيرها. ومن أمثلته المدن ومجتمعات المصانع الكبرى، وهذا هو الذي أدى إلى تلوث البيئة بشكل مباشر.

أهمية أتران النظام البيئي:

اتزان النظام البيئي أصبح أمراً ضرورياً لمجموعة الأنظمة البيئية الموجودة على الكرة الأرضية لاستمرارية الحياة وإدامتها. إن اتزان النظام البيئي يعني التوازن في مجمل الدورات الغذائية الأساسية والمسالك المتداخلة للطاقة داخل نظام بيئي ما ، وهذا يتطلب أن تكون جميع نواحي عمل النظام البيئي في اتزان قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤٩) ﴿ [القمر: ٤٩] ، ولذا لا بد أن يكون هناك توازن بين الإنتاج والاستهلاك والتحلل داخل النظام. ويوجد الاتزان في جميع مستويات التنظيم الحيوي، فلو أخذنا الاتزان داخل الفرد فنلاحظ أن هناك انتظاماً للعمليات الجسدية والوعائية والأيفية عن طريق تنظيم نبضات القلب والتنفس ودرجة حرارة الجسم ، كما يوجد هناك تداخل وتآزر بين الضبط العصبي والهرموني في النمو والتكاثر والسلوك ، لذا فالفرد قادر على مقاومة التغيرات البيئية الناتجة عن الوسط المحيط.^١

وإذا أخذنا مفهوم الاتزان على مستوى النظام البيئي فإننا نبحث في مدخلات بيئية (Inputs) تأتي من الوسط المحيط كالطاقة الشمسية وثنائي أكسيد الكربون والأكسجين والماء والعناصر الغذائية، ومخرجات بيئية (Outputs) تطرح في الوسط المحيط من عملية التنفس وحتى يتحقق الاتزان يجب أن يتوفر شرط التعادل في معدل دخول المدخلات وخروج المخرجات.

وقد يمارس النظام البيئي دوره بطرق عديدة من أجل العودة الصحيحة إلي الاتزان الطبيعي وعدم تخريب القدرة الذاتية لبيئة نظيفة ومرتزة بشكل جيد ومثالي ومن هذه الطرق المعروفة :

(١) البيئة المائية، رياض حامد الدباغ الجامعة المستنصرية حسين علي السعدي جامعة بغداد - الطبعة العربية ٢١-٢٠١١ م ص

٥٦ - ٦٦ ، والبيئة مشكلات وحلول عادل الشيخ حسين الطبعة العربية - ٢٠٠٩ م ص ٣٣- ٣٧.

١. المرونة البيئية (Ecological Resilience) :

وهي القدرة على امتصاص التغير ومن ثم البقاء ومن ثم العودة إلى الوضع الطبيعي عند تحسن الظروف ومن هذا المفهوم نستنتج أن تأرجح الجماعات السكانية تحت تأثير تغير معين لا يعني أن النظام البيئي قد انتكس بل أن أمامه فرصة لاسترداد عافيته إذا كانت الأفراد التي يتألف منها النظام البيئي متكيفة و مرنة.

ويفترض بعض علماء البيئة أن أهم نقطة يركز عليها اتزان النظام البيئي هي السرعة في العودة إلى نقطة الأصل (الحالة العادية) بعد التعرض لمؤثر معين، وبناءً على هذه الفرضية فإن المراعي مثلاً هي أكثر اتزاناً من الغابات، فقط لمجرد أن المرعى والأعشاب تستطيع أن تعود إلى ما كانت عليه بعد التعرض لحريق مثلاً بسرعة أكبر من النظام البيئي الغابي، أي أن مرونتها أكبر من مرونة الغابات وهكذا

٢. المقاومة البيئية (Ecological Resistance) :

وهي قدرة النظام البيئي على مقاومة التغير بأقل ضرر ممكن ، وتنتج المقاومة من مكونات النظام البيئي نفسه • وعادة ما يمتاز نظام المقاومة بقدرة حيوية عالية وبطاقة مخزنة تساعد على البقاء فيستطيع نظام الغابات مثلاً أن يقاوم درجات الحرارة المرتفعة والمنخفضة وكذلك الجفاف وانتشار الحشرات الفصلي وذلك لتمكن النظام من استخدام الطاقة المخزنة في أنسجته لاسترداد عافيته •

وعلى سبيل المثال فإن حالة التجمد التي تحدث في أول الربيع يمكن أن تقضي على الأوراق حديثة النمو إلا أنه يمكن للأشجار أن تورق من جديد بعد زوال المؤثر • ولكن لنفرض أن هذه الأشجار تعرضت لحريق ضخم أو قطع جائر كثيف فسوف لا يظهر هذا النظام مرونة كافية وتكون عملية العودة للوضع الطبيعي بطئيه جداً ويوصف هذا النظام بأنه مقاوم قليل المرونة •

وهنا تبرز سلبية اختفاء النوع أو الأنواع من السلسلة الغذائية والتي تعتبر على حد رأيهم من العوامل التي تدفع بنظام متزن إلى عدم الاتزان.
مفهوم الاتزان البيئي:

- ويمكن أن نستخلص هاتين الملحوظتين حول مفهوم الاتزان البيئي ما يلي:
١. إن معظم الأنظمة البيئية تتصف إما بالمرونة وإما بالمقاومة ونادراً ما تتصف بالميزتين معاً وعادة ما يكون النظام البيئي المقاوم قليل المرونة والنظام المرن قليل المقاومة.
 ٢. إن النظم البيئية لها القدرة على أن تؤدي قدراً معيناً من التنظيم الذاتي ضمن قدرة احتمالها، ولكن إذا حدث تجاوز لهذه الحدود فلن يكون في مقدورها أن تؤدي وظيفتها، وعندئذ قد تعاني من مختلف أنماط التغيير والتضرر والاضمحلال.

وعلى سبيل المثال فإن استمرارية تدفق المياه الملوثة في البحيرات العذبة يؤدي لزيادة نمو الطحالب، وازدهار العوالق الحيوانية ومن ثم يسود تحلل مضطرب يؤدي لإنتاج مواد سامة واستنزاف الأكسجين ومن ثم موت الأسماك والحيوانات المائية.

المبحث الثاني

التنوع الحيوي

المطلب الأول : مفهوم التنوع الحيوي:

١. التنوع الحيوي:

أن موضوع التنوع الحيوي يعتبر حديث نسبياً، وقد صيغ هذا المصطلح لأول مرة خلال الاجتماع الوطني للتنوع الحيوي والذي عقد عام ١٩٦٨م، برعاية الأكاديمية الوطنية للعلوم ومعهد Smithsonian. يوجد التنوع الحيوي في عدة مستويات مختلفة مثل تنوع الجينات في الأصناف، تنوع الأصناف نفسها وكذلك تنوع النظام البيئي حول الأرض، وقد قام العلماء بدراسة جزء صغير جداً من هذا التنوع الواسع. وبالرغم من بعض الاختلاف في تعريف التنوع البيولوجي إلا أن الجميع متفق تقريباً على ضرورة تفهم هذا التنوع الحيوي والبيئي المهم، والمحافظة عليه والاستعمال الرشيد لمكوناته والموارد الطبيعية التي تدعم بقاءه.

أ) تعريف التنوع الحيوي:

التنوع الحيوي هو التباين والاختلاف والتعدد بين الكائنات الحية الأرضية حيث يوجد النبات والحيوان والكائنات الحية الدقيقة (البكتيريا والفطريات والفيروسات) وكذلك الطلائعيات (protista) المختلفة، وداخل هذه التجمعات والتباينات توجد الأجناس والأنواع والأصناف وتحت الأصناف، وفي هذه الأجناس توجد الجينات والجزيئات الوراثية والقواعد النيتروجينية الأدينين والجوانين والثيامين والسيتوسين المترابطة مع بعضها بالروابط النيتروجينية والمرتبطة بالتوافيق والتباديل الكفيلة بإظهار التنوع والاختلاف الناتج عنه التعدد. ومن أجل توحيد

تقييم التنوع الحيوي على المستوى العالمي، فقد تم توحيد تعريفه على أنه^١: "كامل الاختلاف والتباين بين الكائنات الحية والنظم البيئية التي هي جزء منها. ويمكن تعريف الصنف أو النوع على أنه "مجموعة من الأفراد المتشابهة وراثياً والتي يمكن أن يقع بينها التزاوج.

ويضم التنوع الحيوي جميع أنواع الكائنات الحية نباتية أو حيوانية إلي جانب الكائنات الدقيقة، وتمثل هذه الكائنات الحية جزء من الثروات والموارد الطبيعية على الأرض. فالتنوع الحيوي باختصار هو تنوع كافة أشكال الحياة على وجه الأرض سواء كانت على اليابسة أو في باطن الأرض أو في المياه. ويوفر التنوع الحيوي للعالم ضمانة إمكانية الحصول على إمدادات متصلة من الأغذية ومن أنواع لا حصر لها من المواد الخام التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية ولبناء حاضره ومستقبله. ولا يشمل التنوع الحيوي الأنواع الموجودة في محيط بيئي مائي أو على اليابسة في وحدة زمنية محددة فحسب بل يشمل النظم البيئية والوراثية التي جاءت منها هذه الأنواع.

والقرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى ومعجزته الخاتمة للرسالات السماوية جاءت لتخرج الناس من المعجزات المادية الحسية إلى المعجزة العلمية التعليمية التعليمية.

وقد أولت الآيات القرآنية الكائنات الحية الأرضية عناية خاصة من أول أسماء السور القرآنية (البقرة، الأنعام، النحل، النمل، العنكبوت، العلق، العاديات، الفيل، الإنسان، التين، التكاثر، الناس)، كما حوت الآيات القرآنية في المجال الحيواني: (الإبل، البعوض، العنكبوت، النحل، الثعابين، الجراد، الخيل، البغال، الحمير، الحيات، الخنازير، الدواب، دابة الأرض، الطير،

(١) التنوع الحيوي في القرآن الكريم، نظمي خليل أبوالمعاطا موسى (٢٠١١م). ص ٣٣ / البيئية مشكلات وحلول عادل الشيخ حسين الطبعة العربية - ٢٠٠٩ م ص ٤٤.

الضأن، الضفادع، الأنعام، الأغنام، الغراب، القردة، القمل، الكلب، اللؤلؤ، المرجان، الهدد) وغيرها^١.

وفي المجال النباتي حوت الآيات القرآنية: (الأب، الأثل، البصل، البقل، التين، الخردل، الرمان، السدر، وحوت السنابل، السوق، الشجر، الأكمام، الطلع، العدس، العرجون، العصف، العنب، الفاكهة، الفوم، القثاء، القطمير، النقيير، القنوان، الكافور، النخل، النجم (نوع من النبات لا ساق قائمة له) نوى، يقطين وغيرها^٢.

وجاءت الكائنات الحية الدقيقة مجملة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِدُ بِهَا بُصْرُونَ﴾ (٣٨) وَمَا لِي بَصْرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ [الحاقة: ٣٨ - ٤٠].

وحوت الآيات القرآنية التباينات الحيوانية والنباتية والبشرية مثل: الأصواف والأوبار والأشعار في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَسَاعِلًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل - ٨٠]، وحوت سلوكها في المشي كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى مَرْجَلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور / ٤٥).

وكذلك حوت الآيات القرآنية تباينات النبات قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزُّبُونَ وَالرِّمَّانَ مَشَابِهًا وَغَيْرَ مَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام / ١٤١).

(١) قاموس القرآن الكريم، معجم الحيوان، عبدالحافظ حلبي محمد، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: الكويت (ط١) (ص ٣٨٩)، ١٩٩٩ م - ص ٨٨ - ٩٩.

(٢) التنوع الحيوي في القرآن الكريم، نظمي خليل أبو العطا موسى (٢٠١١ م) - ص ٧٨ - ٨٠.

ولا يزال الإنسان ومنذ مر العصور يعمل دائماً وأبداً علي استغلال موارد الطبيعة في حياته اليومية ولبناء تقدمه وحضارته، إلا أن استغلاله لهذه الموارد تتم في أغلبها بطرق عشوائية وخاطئة الأمر الذي أدى إلي الأضرار بالبيئة واختلال توازنها بحيث أصبحت ضعيفة هشة لا تستطيع الوفاء بمتطلباته. وعلى هذا الأساس، فإن النهوض بالبيئة من جديد لا يكون فقط بالقضاء على مصادر التلوث، وإنما العمل علي تنمية مواردها وتحسين استخدام هذه الموارد.

وبدأ يظهر تأثير الإنسان على البيئة والتوازن البيئي منذ بدئه في استخدام الأدوات في استغلال الأراضي والموارد الطبيعية، وبدئه في استخدام النار وتطوير الأسلحة للصيد. ومع تزايد عدد سكان الأرض ازداد الضغط على البيئة والتوازن البيئي حتى بدأ يهدد الكائنات الحية الأخرى والتنوع الحيوي .

إن أغلبية سطح الأرض يقع تحت سيطرة وإدارة الإنسان، والإنسان هو دائماً في حاجة إلى المسكن والمأكل والمشرب والملبس والعلاج وهي أمور ضرورية ولا بد من تحقيقها وتلبيتها، ولكن ليس على حساب البيئة والتنوع الحيوي. إن مبدأ حماية التنوع الحيوي يجب أن يقوم على أساس خلق توازن بين احتياجات ومتطلبات المجتمعات والأفراد وبين التوازن البيئي والتنوع الحيوي دون الإخلال بأي من هذه العناصر ومن هذا المنطلق يجب أن تبدأ عملية المحافظة على البيئة والتنوع الحيوي.

ويعتمد بقاء التنوع الحيوي بشكل رئيسي على استمرارية وبقاء المصادر الطبيعية وقد أدى استنزاف¹ المصادر الطبيعية المتجددة والغير متجددة إلى الإخلال بالتنوع الحيوي على الأرض. وللمحافظة قدر الإمكان على التنوع الحيوي، لا بد من إتباع طرق للحد من هذا الاستنزاف الحاد للمصادر الطبيعية مثل:

١. العمل على إيجاد مصادر طاقة جديدة.
٢. التخفيف من استهلاك المصادر غير المتجددة المتاحة حالياً، بتطوير تكنولوجيات معينة قادرة على استخدام المصادر المتاحة بكفاءة عالية وتقليل التلوث الناتج من استخدامها.

(١) التنوع الحيوي في القرآن الكريم، نظمي خليل أبو العظ موسى (٢٠١١م) ص ٨٢ - ٨٨

المطلب الثاني

أقسام التنوع الحيوي

يمكن تقسيم التنوع الحيوي إلى ثلاث فئات موزعة حسب التسلسل الهرمي وهي:

التنوع الوراثي:

ويقصد به تنوع المورثات داخل الصنف أو النوع الواحد مما يعطي مجموعات متميزة من نفس النوع، فنجد في النوع الواحد عدة أجناس أو أنواع فرعية، مثلاً نجد هناك أعداداً كبيرة من أنواع الأرز أو أنواع مختلفة من الخيول. ويعتبر التنوع الوراثي من أهم منتجات البيئة وعلى كل المقاييس الحيوية والاقتصادية والصحية والاجتماعية، فمثلاً مجتمع الطيور البرية والدجاج البري مقاوم لمعظم الأمراض وظروف انخفاض وارتفاع درجات الحرارة ونقص الغذاء بينما لا يحتمل نفس النظام الكثير من الأمراض إذا كان مربى بشكل قطعان كما في المداجن أو مزارع الطيور مثلاً:

(أ) تنوع الأصناف:

ويقصد به اختلاف الأنواع داخل وسط بيئي معين، ويختلف توزع هذه الأنواع من أماكن إلى أخرى في نفس الوسط. ويعتبر عدد الأنواع الموجودة في وسط بيئي محدد دلالة على غنى الأوساط بالأنواع الحيوية.

(ب) تنوع الأنظمة البيئية:

يقصد به النظم البيئية في البيئات المختلفة ، ويتضمن التنوع البيئي عدد الأنواع في مناطق معينة والأدوار البيئية التي تلعبها هذه الأنواع، والنمط الذي تتغير به البنية النوعية كلما عبرنا نطاقاً جغرافياً ما والنظم البيئية التي تتواجد فيها هذه الأنواع بما في ذلك العمليات التي تحدث بين وضمن هذه الأنظمة^(١).

(١) التربية البيئية عن البيئة العالمية، برنامج التعليم البيئي جامعة بير زيت مركز علوم صحة ص - ٦٩ .

المطلب الثالث

قضايا التنوع الحيوي

يعد فقدان التنوع الحيوي واحدة من أكثر الأزمات العالمية الملحة ومع أن الانقراض عملية طبيعية إلا أن معدلاته تبدو في ازدياد يفوق المعدلات الطبيعية كثيراً. إن ما نسبته ١١٪ من مجموع الطيور و ٢٥٪ من مجموع الثدييات و ٢٠ - ٣٠٪ من مجموع النباتات مهددة بالانقراض، لقد فقدت المحاصيل الزراعية أكثر من نصف أنواعها وإذا ما أخذت هذه الأرقام الإحصائية وطبقت على التنوع الحيوي بكامله فإنها ستجعل المستقبل يبدو كئيباً.

وتقدر عدد الأصناف الموجودة على الأرض في حدود ٣٠ مليوناً، وتشير الدراسات إلى أن ربع التنوع الحيوي في الأرض ربما يكون معرضاً لخطر الانقراض خلال العقدين القادمين.

إن خطورة استنزاف التنوع الحيوي يتمثل أن النوع هو الوحدة الأساسية في الجماعات له صفاته الوراثية ويقع ضمن السلسلة الغذائية ويقوم بعمل معين في النظام البيئي يتمثل في نقل الطاقة من مستوى غذائي إلى مستوى غذائي آخر. فعند انقراض هذا النوع تحدث ثغرة في السلسلة الغذائية وتضعف قدرتها على القيام بوظائفها في تحويل الطاقة والمواد الغذائية.

إن الانقراض وفقدان التنوع الحيوي لهما تأثير كبير على قدرة الأنظمة البيئية في توجيه الخدمات الفعالة إلى الجنس البشري. تبلغ نسبة الفاقد من الغابات بحوالي ١٥ مليون هكتار سنوياً على الأقل. وفي حين إن اهتمام العالم - في العقد الماضي - كان منصباً على الغابات الاستوائية، وبخاصة في مناطق حوض نهر الأمازون و إندونيسيا، فإن التحدي سيكون في الخمس والعشرين سنة المقبلة من (٢٠١١م - ٢٠٣٦م) حول كيفية وضع حلول إدارية إبداعية لأزمة غطاء الغابات مع ضرورة إعطاء اهتمام أكبر لأشكال استغلال الغابات ومنتجاتها.

١. أهم مناطق التنوع البيولوجي :

غابات المناطق المدارية: وهي من أكثر المناطق غني بالأنواع الحيوية وتحتوي على ٥٠ - ٩٠٪ من الأنواع في العالم رغم أنها لا تغطي سوى ٧٪ من مساحة اليابسة على سطح الكرة الأرضية، وتحتوي على ٣٠٪ من الفقاريات البرية وثلثي الأنواع العالمية من النباتات و٩٦٪ من المفصليات.

الغابات المطرية المعتدلة: وتحتوي هذه الغابات على تنوع حيوي واسع وكانت تحتل في وقت من الأوقات ما يقرب من ٣٠ مليون هكتار، وهذه المناطق شديدة التنوع وتقوم بدور أساسي في المحافظة على مخزون المياه العالمي ومجمعات المياه العالمية الجوفية .

الشعب المرجانية: وتعتبر النظير المائي للغابات المدارية حيث تحتوي على أنواع حيوية هائلة تتوزع على المحيطين الهندي حيث توجد به أكبر الشعب وأكثرها عدداً من حيث الأنواع والمحيط الهادي لاسيما الجزء المداري الغربي منه، وتتوزع الأحياء في مناطق الشعب المرجانية توزعاً عشوائياً بخلاف الغابات المدارية حيث توجد مناطق ترتفع فيها نسبة كثافة الأحياء مقارنة بمناطق أخرى .^١

البحيرات العذبة: كما هو الحال بالنسبة للجزر المنفردة حيث تعيش فيها أنواع منفردة كذلك تعيش في البحيرات العذبة أنواع مماثلة، وتحتوي هذه البحيرات على رصيد هائل من أنواع الأسماك والضفادع والثعابين المائية والنباتات، ففي بحيرات وادي الصدع الكبير في أفريقيا توجد كميات ونوعيات هائلة من الأحياء أكثر مما تحتويه أية بحيرة أخرى.

مناطق زراعة المحاصيل الحقلية: وتعتبر هذه المناطق من المناطق الغنية في العالم بالأنواع الحيوية لاسيما النباتات الزراعية التي استخدمها الإنسان منذ ١٢ ألف سنة عندما عرف الزراعة.

(١) برمائيات العالم العربي (موسوعة حيوانات وطيور العالم العربي) ص ٨٨ - ١٢٢ / التربية البيئية عن البيئة العالمية برنامج التعليم البيئي جامعة بير زيت مركز علوم صحة ص- ٧٧

٢. فوائد التنوع الحيوي:

- أ) إثبات القضية الإيمانية بان للكون خالق واحد مبدعاً ومتفرداً في خلقه.
- ب) أهمية التنوع الإحيائي في الحفاظ على التوازن البيئي ويجب على الإنسان ألا يسرف في استخدامه للموارد البيئية المختلفة لكي لا يحدث خلل.
- ج) كل هذا التنوع الحيوي خلقه الله سبحانه وتعالى لفائدة الإنسان في مختلف ضرورياته كالغذاء والمسكن والملبس والدواء.
- د) هنالك ظواهر كثيرة وكائنات لا تزال مجهولة بالنسبة للإنسان مما يدعو لاستمرار البحوث والدراسات.

المبحث الثالث

انقراض واختفاء الكائنات الحية

المطلب الأول: الأسباب التي أدت إلى انقراض واختفاء الكائنات الحية

الأسباب التي أدت إلى انقراض واختفاء الكائنات الحية :

- أ- أساليب الزراعة الخاطئة.
- ب- النشاطات العمرانية والحضرية، أن ازدياد عدد السكان والنمو الاقتصادي الذي شهده العالم خلال العقود الأخيرة أدى إلى اتساع نطاق المد العمراني متمثلاً في البناءات والطرق وخطوط أبراج الكهرباء والإنشاءات والنشاطات الصناعية والنفطية مما أثر على التنوع الحيوي بشقيه النباتي والحيواني والنظم البيئية التي تعيش فيها هذه الكائنات وتدعم حياة الإنسان فيها.
- ج- تدمير الموطن الطبيعي لها مثل إزالة الغابات وتجفيف بعض المناطق الرطبة والتي تستخدمها الأسماك والطيور كماؤوي لهم وتحويلها إلى أراضٍ زراعية.
- د- الصيد الجائر، وتتم ممارسة الصيد علي أنه إحدى الوسائل الرياضية إلى جانب أنه مصدر مهم من مصادر الغذاء.
- هـ- استخدام المبيدات الحشرية التي لا تقضي علي الآفات فقط وإنما يمتد أثرها للإنسان والطيور.
- و- الرعي بطرق غير سليمة مما يؤدي إلى تدهور المراعي الطبيعية.
- ز- الكشف عن البترول باستخدام المتفجرات كما أنه يتم تنظيف خزانات السفن البترولية وتفريغ المياه التي توجد بها الشوائب البترولية في مياه البحر.

إن مسألة الحفاظ على كافة أصناف الحياة وأشكالها على الكرة الأرضية تعتبر ذات بُعد علمي وعملي وأخلاقي وجمالي. وغالباً ما يتم تسليط الأضواء على الأصناف المهددة بالانقراض وبخاصة الحيوانات التي في مجموعة ما يسمى "الحيوانات

الضخمة الفاتنة" مثل النمر السومطري والباندا الآسيوية وذلك لتوجيه الأنظار إليها وإظهار مدى الخطر الذي يحيط بها جراء الممارسات البشرية نحوها ونحو البيئة التي تعيش فيها. ولكن هناك بعض خبراء البيئة الذين يدافعون عن مكافحة بعض النباتات والكائنات الحية الأقل نفعاً وتعريضها للانقراض مثل ديدان النيما تودا الضارة بالنباتات، حيث يعتقدون أنه لا بد أن يكون لها دور نافع في النظام البيئي مع أن منفعة هذه الكائنات للبيئة وما تقدمه من خدمات غير واضح في كثير من الحالات.

إن التهديد الرئيسي للتنوع الحيوي ناجم عن عملية استخدام الأراضي، حيث أن المدن والتجمعات السكانية الضخمة تحتل ١ - ٢٪ من سطح الأرض، ولكن التغيرات والتعديلات التي تجري على سطح الأرض بفعل الإنسان تحتل مساحة أكبر من هذه بكثير. إن الرغبة في امتلاك الأراضي لهدف الإنتاج الزراعي أو الاستفادة من الغابات هي في ازدياد مستمر في كثير من الدول النامية وخاصة التي تعاني من ازدياد في النمو السكاني مما سبب تقليص البقعة الطبيعية وتدمير الوسط البيئي للعديد من الكائنات الحية. ومن أشكال التهديد الحاصل على التنوع الحيوي هو تغيير الموطن الطبيعي للعديد من الكائنات الحية أو إجبارها على ترك موطنها والانتقال إلى بيئة جديدة بقصد أو بغير قصد من الإنسان مما قد يسبب في تغيير في التوازن البيئي للوسط الجديد والذي قد يؤدي هلاك هذه الكائنات أو هلاك الكائنات المستوطنة هناك في الأصل. كذلك لا يمكن إهمال دور التلوث والمواد السامة الناتجة عن مختلف نشاطات الإنسان في تدمير النظام البيئي والتنوع الحيوي.

التنوع والتوازن:

إن العلاقة بين التنوع الحيوي والتوازن البيئي كانت وما زالت موضع اهتمام العلماء والباحثين البيئيين. في بداية عهد الأبحاث البيئية توصل العلماء إلى أن أي نظام غير متناسق وغير مستقر سوف يصل في نهاية المطاف إلى حالة من التوازن والثبات. مع هذا، ومنذ سنين طويلة نفى علماء البيئة أن يكون هناك توازن بيئي في الطبيعة. في العام ١٩٤٢م قام العالم الإنجليزي تشارلز أيتون بدراسة التقلب الكبير في عدد الحيوانات

وتوصل إلى أنه لا تقوم الطبيعة بخلق توازن فيها. لكن الآن تبين أن الأنظمة البيئية تتعرض لاضطرابات طبيعية مثل الحرائق والزلازل والفيضانات والجفاف إضافة إلى الناتجة عن الممارسات البشرية وأن التوازن متغير باستمرار تجاوباً مع تأثير العوامل المختلفة. ويمكننا القول في نهاية المطاف أنه لا تزال هناك شكوك حول العلاقة التي تربط بين التنوع الحيوي والتوازن البيئي، ومعظم الأبحاث العلمية خرجت بنتائج متضاربة.

الأصناف المهددة:

أن توزيع الكائنات الحية على الأرض ليس متساوياً، وقد أظهرت إحدى الدراسات أن ما يقارب الـ ٧٠٪ من مجموع الأصناف الحية على الأرض يتواجد في ١٢ دولة فقط وهي أستراليا، البرازيل، الصين، كولومبيا، الإكوادور، الهند، إندونيسيا، مدغشقر، ماليزيا، المكسيك، البيرو وزائير. لكن ولأسوء الحظ، فإن معظم هذه الدول تعاني من نمو سكاني سريع مما يضطرها إلى استغلال مساحات واسعة من الأراضي لتغطية احتياجات السكان، ويتسبب الزحف العمراني والصناعي في تدمير مساحات واسعة من البيئة الطبيعية للكثير من الكائنات الحية. إن التهديد الذي تواجهه الكثير من أصناف الكائنات الحية من جراء الممارسات البشرية بحق بيئتها الطبيعية دفع عدداً من العلماء إلى القيام بتحديد أولويات العمل الرامي إلى حماية التنوع الحيوي والمحافظة عليه. ولتحديد هذه الأولويات، تم تصنيف المناطق على أساس درجة حساسيتها بيئياً من حيث مصادرها الطبيعية وتنوعها الحيوي، وقد قام العالم نورمان مايرز بتسمية المناطق الحساسة بيئياً ذات الأولوية بالبقع الساخنة للدلالة على المناطق التي يستوطن فيها عدد كبير من أصناف الكائنات الحية المهددة بالانقراض.

إن السبب الحقيقي وراء استيطان معظم الكائنات الحية في المناطق الإستوائية أكثر من غيرها غير واضح تماماً حتى الآن، لكن يعتقد أن استقرار البيئة الطبيعية في المناطق الاستوائية منحت معظم هذه الكائنات نوع من الخصوصية في حياتها مما يجعلها حساسة وسريعة التأثر لأي تغيير.

المطلب الثاني: الكائنات الدخيلة

الكائنات الدخيلة^١ هي الكائنات الحية التي تفقد موطنها الأصلي أو تجبر على تركه لتبدأ العيش في بيئة جديدة. تشكل الكائنات الدخيلة تهديداً حقيقياً للكائنات والنباتات الموجودة أصلاً "المحلية". تشير الدراسات إلى أن هناك أصناف كثيرة من الحيوانات والنباتات تم نقلها من بيئتها الأصلية عن قصد أو لسبب ما وإجبارها على العيش في بيئة مختلفة ووسط كائنات حية مختلفة. إن مثل هذا التنقل قد يخل في التوازن البيئي للموطن الجديد أو للموطن الذي انتقلت منه، وقد يكون أيضاً خطراً على الكائنات الدخيلة أو المحلية. ولعل أفضل مثال على ذلك هو ما حدث عندما قام أحد المزارعين بإحضار زوج من الأرانب إلى أستراليا، ولعدم وجود أعداء طبيعية لها في بيئتها الجديدة، فإن أعدادها تضاعفت بسرعة، وكانت النتيجة إتلاف وتدمير مساحات واسعة من المحاصيل والأراضي الزراعية. وكمثال على الإخلال بالتوازن البيئي هو ما حدث في المنتزه الوطني Yellowstone حين قررت إدارة المنتزه القضاء على جميع الذئاب، حرصاً على حياة المتزهين في عملية استغرقت عدة سنوات وكلفت مبالغ طائلة، وقد أدت هذه العملية إلى الإخلال بالتوازن البيئي في المنتزه، حيث أنه وبعد سنوات من اختفاء الذئاب، لاحظ المراقبون أعداد الطباء التي كانت تشكل مصدر غذائي للذئاب ازدادت بشكل كبير، وبنفس الوقت اختفت أنواع عديدة من النباتات من المنطقة نتيجة الرعي الجائر لها من قبل الطباء وانخفض أيضاً أعداد بعض الحيوانات والطيور الجارحة التي كانت تعتمد بشكل أساسي في حياتها على ما تقتاته من بقايا فرائس الذئاب. ولإعادة التوازن البيئي للمنتزه، تم إحضار ذئاب من كندا ومناطق أخرى في عملية كلفت أيضاً مبالغ طائلة .

(١) ابن الجزري القيرواني وجهوده في الطب والصيدلة ، جامعة بغداد-١٩٨٩م ص ٩٩- ١٠٢ التربية البيئية عن البيئة العالمية برنامج التعليم البيئي جامعة بير زيت مركز علوم صحة ص- ٨٨- ٩٤

حماية التنوع الحيوي:

إن الآثار الخطيرة الناتجة عن النشاطات البشرية واضحة في معظم مكونات البيئة كالماء والتربة والهواء والوسط الحيوي، مما يعني في الواقع أن التناقض بين المجتمع والطبيعة أصبح حاداً، وقد يصل إلى درجة الخطورة. فنشاطات الإنسان التحويلية (مثل استعمال الموارد الطبيعية، وتصريف المخلفات الناتجة عن الاستهلاك، وإحداث تغيرات في المظهر الطبيعي للأرض وخلق أنظمة جديدة من صنع الإنسان... الخ) تتعارض مع عمليات تنظيم التوازن الديناميكي ككل. وقد تؤدي إلى حدوث تغيرات خطيرة في الأنظمة الطبيعية، لا يمكن إلغاؤها على المستوى المحلي والعالمي، ويؤثر ذلك على سيرة الحياة العادية بالنسبة للأجيال الحالية والقادمة.

إن موضوع حماية التنوع الحيوي والاهتمام به ليس بالحديث - ففي نهاية القرن التاسع عشر بدأت فكرة إنشاء المحميات الطبيعية والمتنزهات الوطنية في أمريكا وتبعتها عدد من دول العالم في محاولة منها للمحافظة على البيئة الطبيعية والتنوع الحيوي. منذ بدأ مثل هذه الحملات كان هناك خلاف ولا يزال قائماً حول الهدف الرئيسي منها، فهل هو لإدارة واستغلال المصادر الطبيعية بطريقة علمية سليمة بدلاً من الاستغلال العشوائي أم لحماية التنوع الحيوي والحياة البرية من مختلف النشاطات البشرية إن هذين الهدفين وإن تعارضاً أحياناً، فإنهما ما زالا يعتبران نقطة الانطلاق نحو حماية البيئة والتنوع الحيوي.

إن معظم الجهود التي بذلتها الدول النامية "موطن أغلبية التنوع الحيوي في العالم" للحفاظ على البيئة الطبيعية والتنوع الحيوي أثبتت عدم فاعليتها عدا عن كونها مكلفة اقتصادياً. والعقبة الرئيسية أمام تحقيقها هو النمو السكاني المتزايد فيها واعتماد أغلبية السكان على الأرض والمصادر الطبيعية لتأمين حياتهم.¹

(١) الفاظ علوم الحياة في القرآن الكريم ، عمان - الأردن ١٩٩٧م ص ١٢٣ - ١٢٧ / التربية البيئية عن البيئة العالمية برنامج

التعليم البيئي جامعة بيرزيت مركز علوم صحة ص - ٩٥ - ١٠٢

فوائد النظام البيئي ومصادره الحيوية:

إن مدى الفوائد التي تجنيها المصادر الحيوية في النظام البيئي تعكس مدى الحاجة إلى المحافظة عليها ويعمل النظام البيئي على تقديم خدمات مثل السيطرة على عوامل التعرية وانجراف التربة، تنظيم المناخ- المحافظة على استمرار الدورة الغذائية- وكذلك ما يقدمه من منتجات مثل الغذاء والغابات وغيرها- هذا ويتم الاستفادة من المصادر الحيوية مثل النباتات في صناعة العديد من العقاقير الطبية مثل الأسبرين- كذلك إن التنافس القائم بين الكائنات الحية والصراع الدائم بينها من أجل البقاء يدفعها إلى إفراز بعض المركبات الكيميائية المعقدة لقتل أو تخدير عدوها أو فريستها. وقد أظهرت الأبحاث أن الكثير من هذه المركبات الكيميائية ذات قيمة عالية ويمكن الاستفادة منها في صناعة المبيدات الزراعية والعقاقير الطبية وغيرها من الاستخدامات الصناعية. كما أن هذه المزايا والخدمات أثارت اهتمام الناس بالنظام البيئي ومصادره الحيوية وشجعت على المحافظة عليها وبدأ الناس يتطلعون إليها من ناحية تجارية واقتصادية و لقد أدت هذه الاكتشافات إلى بعض الخلافات بين الدول النامية التي يوجد بها معظم المصادر الحيوية وبين الدول المتطورة والتي تقوم باستخراجها وتصنيعها والاستفادة منها.¹

(1) الموسوعة الحيوانية (سلوك الحيوان من خلال علم النفس)، عمان الأردن ١٩٩٧م ص ٣٥ - ٤٤ // التربية البيئية عن البيئة العالمية برنامج التعليم البيئي جامعة بير زيت مركز علوم صحة ص ١٠٢ - ١٠٧

الخاتمة

بحمد الله وعونه نختم هذا البحث الذي تناول موضوع (التنوع الحيوي وأثره على التوازن البيئي رؤية تأصيلية)، وقد حاول الباحث جهده أن يلم بأطراف هذا الموضوع المهم ، وقد خرج البحث بنتائج عديدة يمكن ذكرها فيما يلي :

النتائج :

1. التنوع الحيوي خلقه الله سبحانه وتعالى لفائدة الإنسان للاستفادة منه في مختلف ضرورياته الحياتية (للغذاء، والدواء، والمسكن، والملبس).
2. وجه الرسول الكريم إلى ضرورة الرفق بالحيوان و نهى عن قتل عصفور دون حاجة وبين أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.
3. تدفق المياه الملوثة في البحيرات العذبة يؤدي إلى نمو الطحالب والعوالق الحيوانية مما يؤدي إلى إنتاج مواد سامة واستنزاف الأكسجين ومن ثم موت الحيوانات المائية بما فيها الأسماك.
4. المراعي هي أكثر ائزان من الغابات لأن المراعي تعود إلى ما كانت عليه عند التعرض لحريق مثلاً بسرعة أكبر من الغابات.
5. يمتاز نظام المقاومة بقدرة حيوية عالية وطاقة مخزنة تساعد على البقاء مثلاً يستطيع نظام الغابات مقاومة درجات الحرارة المرتفعة والمنخفضة.

التوصيات :

1. يجب النهوض بالبيئة وذلك بالقضاء على مصادر التلوث والعمل على تنمية مواردها وتحسين استخدام هذه الموارد.
2. يجب على الإنسان ألا يسرف في استخدامه للموارد البيئية المختلفة لكي لا يحدث خلل يؤثر على التوازن البيئي.
3. يجب المحافظة على الأصناف المختلفة من الكائنات الحية.
4. إصدار البحوث العلمية والدراسة المستفيضة في أمر البيئة المختلفة لحل مشاكلها.
5. العمل على إيجاد طاقة بديلة.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ١ . القرآن الكريم.
- ٢ . محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق محمد زهير بن ناصر - دار طوق النجاة ط١ - ج١ - ١٤٢٢هـ ص ١٤٩
- ٣ . قاموس القرآن الكريم، معجم الحيوان، عبد الحافظ حلمي محمد، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: الكويت (ط١) (ص ٣٨٩)، ١٩٩٩م

ثانياً : المراجع :

- ١ . التربية البيئية عن البيئة العالمية، برنامج التعليم البيئي، جامعة بيرزيت، مركز علوم صحة
- ٢ . البيئة والمهنة .
- ٣ . البيئة المائية الأستاذ الدكتور، رياض حامد الدباغ الجامعة المستنصرية والأستاذ الدكتور حسين على السعدي جامعة بغداد - الطبعة العربية ٢١- ٢٠١١م .
- ٤ . البيئية مشكلات وحلول عادل الشيخ حسين الطبعة العربية - ٢٠٠٩م .
- ٥ . المدخل إلى العلوم البيئية سامح الغرايبة، ويحي الفرحان
- ٦ . مشاهير الفكر الإحيائي، مطبعة الناصرية - العراق - ١٩٦٩م .
- ٧ . مساهمة العرب في علوم الحياة ، بغداد وزارة الثقافة - ١٩٦٩م .
- ٨ . ابن الجزري القيرواني وجهوده في الطب والصيدلة ، جامعة بغداد - ١٩٨٩م
- ٩ . التنوع الحيوي في القرآن الكريم، نظمي خليل أبو العطا موسى (٢٠١١م).
- ١٠ . الموسوعة الحيوانية (سلوك الحيوان من خلال علم النفس)، عمان الأردن ١٩٩٧م
- ١١ . ألفاظ علوم الحياة في القرآن الكريم، عمان - الأردن ١٩٩٧م
- ١٢ . برمائيات العالم العربي (موسوعة حيوانات وطيور العالم العربي).

١٣. المسلمون علماء وحكماء، د. حسن الشرقاوي مؤسسة مختار للنشر والطباعة

القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٤. المسلمون والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل مؤسسة المطبوعات الحديثة الطبعة

الأولى ١٩٦٠م.

التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب
"الكتاب الجامعي المؤصل أنموذجاً"

د. محمد حمزة محمد الشريف*

* أستاذ مساعد، رئيس قسم العلاقات الثقافية والبرامج، عمادة البحث العلمي، جامعة القرآن الكريم
وتأصيل العلوم.

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة؛ التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي، على أسس تأصيلية، لتحقيق جملة أهداف منها؛ التعرف على التأصيل وضرورته في الكتاب الجامعي. وإبراز أسس التخطيط للارتقاء بالكتاب الجامعي المؤصل إنتاجاً ونشراً. وقد انتهجت الدراسة المنهج الوصفي، الذي من خلاله تم تحديد مجموعة معايير ومعايير يدور حولها التخطيط لإنتاج ونشر كتاب جامعي عالي الجودة، وتوصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج أهمها؛ للكتاب الجامعي أهمية بالغة في العملية التعليمية في ظل الزيادة المضطردة لأعداد الطلاب بالجامعات لذا وجب التخطيط لإنتاجه، يحقق الكتاب الجامعي القائم على أسس التأصيل الغاية السامية من عملية التعليم والتعلم، ويسهم الكتاب الجامعي القائم على التخطيط وعلى أسس التأصيل في بناء المعرفة الصحيحة على هدى الوحي، ويلبي متطلبات المناهج والمقررات الدراسية. وقد أوصت الدراسة بضرورة اعتماد التخطيط في كل مراحل إنتاج ونشر الكتاب الجامعي وفقاً لأسس التأصيل التي حددها علماء الأمة.

Abstract

The study dealt with; planning for the production and publishing of University Book, on the origin of essentials, to achieve, different purposes; identify the rooting and necessity in the University Book. And to highlight the essentials of planning to upgrade the University Book productive and published. The study has followed a descriptive method, through which were identified standards and many axes revolves around planning for the production and publishing of high-quality book collectors. The study found a number of the results the most important; the book University of paramount importance in the educational process in light of continuous increase in the number of students

in universities, as it achieves the academic book based on the foundations of rooting end-Semitism of the teaching and learning process, and contribute to the academic book based on planning and on the basis of rooting in the construction of knowledge the correct guidance of the revelation, and meets the curriculum and curriculum requirements. The study recommended that the adoption of planning at all stages of production and dissemination of University Book according to rooting the foundations that have been agreed upon.

المقدمة

إن نشر وإنتاج الكتاب الجامعي (صناعة متكاملة) تقوم على إستراتيجيات إدارية وتسويقية وبشرية ومالية ومعلوماتية وتقنية تتكامل معها الأطر العلمية والبحثية، فالكتاب الجامعي يجب أن يكون على درجة عالية من الجودة، لأن الضعف فيه؛ له انعكاسات خطيرة وسالبة في مسار تطوير التعليم الجامعي.

والحديث عن إنتاج ونشر (الكتاب الجامعي على أسس تأصيلية) يعود بنا إلى تناول مصطلح (التأصيل) الذي - يرى بعض الباحثين أنه - يواجه عدداً من الإشكالات في المفهوم وفلسفة التطبيق، كما يرون أن المصطلح يعاني كثيراً من ضعف أو رداءة بعض النتائج العلمي أو الفكري الذي صدر باسم (التأصيل). مما حدا بالبعض إلى استخدام مصطلح (التكامل المعرفي) كبديل ملائم، نظراً لحمولته الإيجابية وغناء دلالاته.^(١) إلا أننا نرى أن التأصيل قد رسخ وتحدد مفهومه واتضحت معالمه في جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، التي تناولت بالبحث والتنقيب في كثير مما كتب عن مفهوم التأصيل والتكامل المعرفي، ومن ثم فقد رجّحت في تحديد مفهوم تأصيل العلوم أنّ التعريف المختار هو: بناء العلوم والمعارف على أساس المنهج الإسلامي.^(٢)

(١) عبد الله البريدي في حلقة نقاشية حول "صناعة الكتاب الجامعي: الأهمية والمقومات" جامعة الجزيرة، السودان؛ بتاريخ ٢٩/١١/٢٠١٠م.

(٢) (أشار إلى أن مصطلح (التأصيل) يعاني العديد من الإشكاليات المفاهيمية والفلسفية والتطبيقية، ومن أهمها: أن المصطلح غلب عليه الشحن العاطفي أكثر من الفعل الفلسفي خاصة في بداية تشكله، كما أن المصطلح يعاني كثيراً من ضعف أو رداءة بعض النتائج العلمي أو الفكري الذي صدر باسم (التأصيل) ومن ذلك ما أسماه (التأصيل العكسي: من الإبداع الغربي إلى النص المقدس)، وبناءً على ذلك يذهب إلى استخدام مصطلح (التكامل المعرفي) كبديل ملائم، نظراً لحمولته الإيجابية وغناء دلالاته).

(٣) محمود مهدي الشريف، "تجربة جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم"، ورقة قدمت للمؤتمر العلمي العالمي الثاني، نوفمبر ٢٠١٤م، قاعة الصداقة، الخرطوم، ص ٥.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة لتتناول "التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب وفقاً لأسس التأصيل".

مشكلة الدراسة:

مشكلة الدراسة تتمثل في معرفة ما إذا كان للكتاب الجامعي ضرورة ملحة في التعليم العالي، ومن ثمّ تلمس مواصفات الكتاب الجامعي الجيد، وما يكتنفه من صعوبات في نشره وإنتاجه، وتحديد تلك الصعوبات خاصة في صناعة الكتاب الجامعي وفق الأسس التأصيلية، وما الذي يمكن أن يضيفه التخطيط لنشره وإنتاجه.

تساؤلات الدراسة:

نسعى من خلال الإجابة عن عددٍ من التساؤلات للوصول إلى نتائج تحقق أهداف هذه الدراسة، ومن أهم هذه التساؤلات:

١. هل الكتاب الجامعي ضرورة للطالب الجامعي؟
٢. هل يمكن إنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل؟
٣. ما الذي يمكن أن يضيفه التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي؟
٤. ما هي المشكلات التي يمكن أن تواجه خطط إنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل؟
٥. كيف يمكن أن نخطط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل؟

أهداف الدراسة:

من الآيات التي وضعت قاعدة مهمة للتخطيط الناجح، قوله تعالى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: ٤٨)، أي سبيلاً وسنةً وطريقاً سهلاً واضحاً إلى المقاصد الإسلامية^(١)، ومن هذا التوجيه الإلهي، فإن الدراسة تسعى إلى التعريف بأسس التخطيط لنشر وإنتاج الكتاب الجامعي وفقاً لأسس التأصيل، عبر الآتي:

١. توضيح مفهوم النشر والتأليف.

(١) (الصابوني: ٥٢٤) راجع،

٢. التعريف بالتأصيل المعرفي وضرورته في إنتاج الكتاب الجامعي.

٣. إبراز أسس التخطيط للارتقاء بالكتاب الجامعي.

٤. تحقيق غايات التأصيل في نشر وإنتاج الكتاب الجامعي

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة - (التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب "الكتاب الجامعي المؤصل أنموذجاً") - خطوات إنتاج و نشر الكتاب الجامعي المؤصل في جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، من خلال رؤية الباحث في منهجية تأسيس العلوم التي تضطلع بها الجامعة، علما تكون بمثابة رؤية مستقبلية لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل.

مصطلحات الدراسة:

المصطلحات التي تقوم عليها الدراسة هي: (التخطيط - إنتاج - نشر الكتاب الجامعي المؤصل)، وقد تم شرح وبيان المفاهيم - لغةً واصطلاحاً - في ثنايا البحث.

الدراسات السابقة:

هنالك عدداً من الدراسات التي تناولت موضوع نشر وإنتاج الكتاب الجامعي، أو مواصفات الكتاب الجامعي، أو مفهوم الكتاب الجامعي، داخل وخارج السودان، غير أنني لم أطلع على دراسة حول إنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل. ومن الدراسات التي دارت حول موضوع نشر وإنتاج ومواصفات الكتاب الجامعي الدراسات التالية:

١. الدراسة الأولى: ورقة بحثية، محمد أحمد أبارو، ورشة الكتاب الجامعي، عمادة البحث العلمي، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، الاثنين، ٧ سبتمبر ٢٠١٥م.
٢. الدراسة الثانية دراسة عبد الله سعيد، بعنوان "جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره"، وهي دراسة قدمت إلى الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، وزارة التعليم العالي في جامعة حلب، بتاريخ: ٣٠ - ٣١ مايو ٢٠٠٧م، وقد عنيت

بجودة الكتاب الجامعي وطرحت عدداً من التوصيات التي تدعم آفاق تطوير الكتاب الجامعي.

٣. الدراسة الثالثة: أطروحة دكتوراه (غير منشورة) بعنوان: "حركة نشر الكتب في محافظة الإسكندرية" إعداد الدكتور/ رضا سعيد مقبل، بكلية الآداب في جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية، عام ٢٠٠٥م، وقد اهتمت بحركة نشر الكتاب بصورة عامة في محافظة الإسكندرية.

٤. الدراسة الرابعة: أطروحة دكتوراه قدمتها الدكتورة/ أمال طه محمد إبراهيم، بعنوان "الكتاب الجامعي : دراسة في مشكلات نشره وتسويقه في جامعة القاهرة" وهي أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قدمتها بكلية الآداب بجامعة بني سويف، عام ٢٠٠٤م، تناولت فيها الباحثة مشكلات نشر وتسويق الكتاب الجامعي بجامعة القاهرة، وقد خرجت بتوصيات لمعالجة تلك المشكلات وقدمت رؤى مهمة في كيفية تسويق الكتاب الجامعي بجامعة القاهرة.

وتأتي هذه الدراسة متناولةً التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي، كدراسة تعنى بأسس إنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

منهج وهيكل الدراسة:

ولتحقيق أهداف الدراسة اتبع الباحث المنهج الوصفي، لأنه من أهم المناهج المستعملة في البحث العلمي، يلجأ إليه الباحث عندما تتوفر لديه معرفة مسبقة ببحوث استطلاعية أو وصفية سابقة عن أبعاد أو جوانب الظاهرة المراد دراستها، بغية التوصل إلى معرفة دقيقة وتفصيلية عن عناصر الظاهرة موضوع البحث تفيد في تحقيق فهم أفضل لها أو في وضع سياسات أو إجراءات مستقبلية خاصة بها"

ويعرّف المنهج الوصفي "بأنه أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معينة، وذلك من

أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"^(١).

ومن خلال المنهج الوصفي تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث كما يلي:
المبحث الأول: مفهوم النشر والتأليف وأهمية الكتاب الجامعي: ويتناول مفهوم الكتاب الجامعي وأهدافه، وأهميته، والتحديات التي تواجه الكتاب الجامعي القائم على أساس التأصيل.

المبحث الثاني: مفهوم التخطيط لنشر الكتاب الجامعي: وفيه استعراض مفهوم التخطيط والتخطيط لنشر الكتاب الجامعي، ومفهوم النشر.

المبحث الثالث: التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي: وهنا تناولنا كيفية التخطيط لنشر الكتاب الجامعي، ومعايير ومراحل تخطيط إنتاج الكتاب الجامعي.
الخاتمة: وفيها استعراض لأهم النتائج والتوصيات.

(١) عبد الرحمن علس، وذوقان عبيدات، وكايد عبد الحق، البحث العلمي؛ مفهومه، أدواته وأساليبه، دار الفكر، ١٩٨٢، ص١٧٦.

المبحث الأول

مفهوم وأهمية الكتاب الجامعي

المطلب الأول

مفهوم النشر والتأليف

أولاً: مفهوم النشر:

المفهوم اللغوي للنشر: هو الإذاعة أو الإشاعة: أي جعل الشيء معروفاً بين الناس^(١).

أما المفهوم الاصطلاحي للنشر: فتشير إليه دائرة المعارف البريطانية بأنه (النشاط الذي يتضمن اختيار وتجهيز وتسويق المواد المراد نشرها)^(٢).

ويعرف النشر عموماً بأنه: ذلك النشاط الذي يتضمن اختيار وتجهيز وتسويق المواد المطبوعة^(٣) وعلى الرغم من إيجاز هذا التعريف إلا أنه يشير إلى العناصر الأساسية في عملية النشر وهي: التأليف، التصنيع، التسويق.

كذلك يجب أن نضع في الاعتبار أن مفهوم النشر يتسع ليستوعب كل الأوعية الثقافية سواء المطبوعات كالكتب، والدوريات... الخ أو المصغرات من الميكروفيلم والميكروفيش... الخ، أو المسموعات والمرئيات من الأسطوانات والأشرطة الصوتية والتسجيلات المرئية... وغيرها، أو المحسبات والمليزرات من الأشرطة والأقراص الممغنطة والملفات الإلكترونية المتاحة عن بعد، والأقراص المدمجة والوسائط المتعددة... الخ^(٤).

(١) انظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت. ٩٢١/٢.

(٢) دائرة المعارف البريطانية،: <http://www.britannica.com/topic/publishing>.

(٣) مفتاح محمد دياب. معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والتوثيق والمعلومات: إنجليزي - عربي. - القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م. - ص ٢٣٤

(٤) رضا سعيد مقبل، حركة نشر الكتب في محافظة الإسكندرية: أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة المنوفية، مصر العربية، ٢٠٠٥م، ص ١٩٦.

وبذلك يمكن تعريف نشر الكتاب الجامعي؛ بأنه العملية التي يتم بمقتضاها توصيل الرسائل الفكرية (المضمون العلمي) أو (المنهج المقرر) التي يعدها مؤلف أو مجموعة مؤلفين أو مؤسسة ما للقراء (طلاب، أساتذة، وغيرهم).

وفي هذا التعريف يجب أن نشير إلى ضرورة تكامل الحلقات الثلاث الأساس في عملية النشر وهي: التأليف، التصنيع، التسويق، وهي العناصر التي تترايط معاً لتكسب النشر معناه وطبيعته، وهي حلقات متميزة بذاتها، ولا يمكن لأي حلقة من هذه الحلقات بمفردها أن تسمى نشرًا. أي أن النشر مجموعة من العمليات تبدأ بالحصول على المادة العلمية من المؤلف وتنتهي بإتاحة الكتاب للمستفيدين.

ثانياً: مفهوم التأليف لغةً:

ألفت الشيء وألفت فلاناً إذا أنست به، وألفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفاً إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب. وألفت الشيء أي وصلته^(١).

والتأليف لغة تفعيل من ألفت الشيء إذا انضم إليه دائماً وغالباً^(٢). وفي مفردات القرآن للأصفياني: (المؤلف ما جمع من أجزاء مختلفة ورتب ترتيباً قدم ما فيه ما حقه أن يتقدم وآخر فيه ما حقه أن يؤخر)^(٣).

وفي الاصطلاح تأليف الكتاب:

يعرف تأليف الكتاب بأنه: "ضم بعضه إلى بعض حروفاً وكلمات وأحكاماً، ونحو ذلك من الأجزاء"^(٤)، ويطلق على الكتاب مؤلفاً لأنه يجمع ويضم معلومات تتعلق بعلم معين.

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (د ت)، ٩/٩.

(٢) نجم الدين أبو الربيع سليمان بن سعيد الطوسي، مختصر شرح الروضة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، (٩٢/١).

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق وبيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ص: (٨١).

(٤) مختصر شرح الروضة، للطوسي، مرجع سابق، (٩٢/١).

ثالثاً: مفهوم الكتاب الجامعي وأهدافه:

الكتاب الجامعي هو المادة العلمية التي تجسد بنود المحتوى، بما يضمه من معارف ومفاهيم ومهارات واتجاهات وأنشطة.^(١)

ويقصد بالكتاب الجامعي الكتاب الدراسي Textbook الذي يهدف إلى تغطية مقرر دراسي معين في التعليم الجامعي، ويراعي في محتواه وطريقة العرض مستوى الدارسين والمدى الزمني المخصص لتدريس المقرر (٢)، ولما كان الهدف من هذه الكتب هدف تعليمي في الأساس فإنه يشتمل على الحقائق والمعلومات الأساسية التي ينبغي أن يلم بها كل من يهتم بالمجال.

فالكتاب المنهجي لا يعني مجرد تحرير مباحث لتكون بمثابة "كتاب مقرر" الغرض منه التلقين، أو في أحسن الحالات بغرض التقييد به في عملية التعليم والتعلم. بل يجب أن يعبر الكتاب المنهجي عن مادة مرجعية لعملية التعلم تتيح للطالب أساس معرفي يوجه اختياراته التربوية والتعليمية.

وفي هذه الدراسة يُقصد بـ"الكتاب الجامعي": الكتاب المؤلف أو المترجم ومبنياً على أساس تأصيلي، والمعتمد لتغطية كامل مفردات مقرر تدريسي واحد أو أكثر أو جزء منه .

أهداف الكتاب الجامعي:

الغرض من إنتاج ونشر الكتاب الجامعي تحقيق أهداف كثيرة من أهمها ما يلي:
نقل المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم.
سد النقص في العناصر التعليمية الأخرى.

(١) عبد الله سعيد، جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، دراسة مقدمة إلى الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، وزارة التعليم العالي في جامعة حلب، ٣٠-٣١ أيار ٢٠٠٧م.

(٢) حشمت قاسم، مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات، ط٢، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٩ .

إثراء موارد التعليم والتعلم.

مواجهة الأعداد الكبيرة للطلاب في الجامعات (١).

ينسجم مع نظام الدراسة والامتحانات المستخدم .

إذاً تسعى الجامعات إلى إنفاذ رسالتها وتحقيق مقاصدها من خلال الكتاب الجامعي، عبر نقل المعرفة والقيم وإكساب المهارات بإثراء الكتاب الجامعي بمادة علمية منتقاة، ووفق رؤية تأصيلية تجمع العلم بالإيمان. وبذلك تستكمل حلقة العملية التعليمية (أستاذ + قاعة درس أو معمل + وسائل تعليمية متنوعة + كتاب جامعي).

المطلب الثاني: أهمية الكتاب الجامعي والتحديات التي تواجهه:

أولاً: أهمية الكتاب الجامعي:

في ظل التوسع في منظومة التعليم العالي في البلاد والزيادة المضطردة في عدد الجامعات، والأعداد الكبيرة المخطط قبولها كل عام من الطلاب في مختلف التخصصات الجامعية؛ أصبح الكتاب الجامعي ضرورة لازمة وحتمية، لأنه يمكن أن يمثل دور الوسيط بين المعلم والطالب؛ كبديل للتفاعل والتواصل المباشر الذي كان سمة في ظروف القبول المحدود والأعداد المحدودة لطلاب الجامعات، "ولأنه لا توجد دولة في العالم يتم التدريس فيها بدون مرجع علمي أساسي Textbook الذي يعتمد عليه الطالب في استيفاء المبادئ الأساسية للمادة العلمية في مرحلة التكوين الأساس الجامعي، ولا يوجد مانع من أن يكون هذا المرجع وأسلوب التدريس يسمحان للطالب بالرجوع إلي مراجع أخرى ورقية أو إلكترونية لكي يتمكن من تنمية مهاراته وأن يتعلم ذاتياً" (٢).

(١) أمال طه محمد إبراهيم . الكتاب الجامعي : دراسة في مشكلات نشره وتسويقه في جامعة القاهرة - بني سويف، ٢٠٠٤م.

(أطروحة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بني سويف)، ص ١٠٦-١٠٩.

(٢) حسن جميعي، جريدة الأهرام المصرية، الأحد ٤ من شعبان ١٤٣٠ هـ - ٢٦ يوليو ٢٠٠٩م، السنة ١٣٣، العدد ٤٤٧٩٢.

- وللكتاب الجامعي أهمية بالغة، لأنه يلبي المتطلبات والاحتياجات التالية^(١):
- ١- يُمثّل إطاراً مرجعياً يحدد للعملية التعليمية - إلى حدٍ كبير - مسارها ويمكن الأستاذ من وضع خطة لتدريس المحتوى.
 - ٢- يُمكن للكتاب الجامعي الجيّد أن يعكس الخطة التفصيلية للمقرر فيُقدّم معظم إن لم يكن كل المحتوى الذي ينبغي تدريسه.
 - ٣- يوفرّ للأستاذ مادة علمية جاهزة مصحوبة بمهام تعليمية قد لا يجد وقتاً لإعدادها، بما يوفرّ له وقتاً للبحث وإعداد مهام أخرى.
 - ٤- يُعدّ الكتاب الجامعي من أرخص المواد التعليمية التي يمكن أن يستعين بها الطلاب، حيث لا يستطيع البعض منهم شراء كثير من المواد التعليمية الأخرى، فضلاً عن استقلاليتها فقد لا يحتاج لمعينات أخرى (مثل الكمبيوتر أو الأيبياد... وغيرها) .
 - ٥- يُزوّد الكتاب الجامعي الجيد أستاذ المادة بالصحيح من المعلومات والجديد منها في عرضٍ جيّدٍ يساعد حديثي الخبرة من الأساتذة على جودة التدريس.
 - ٦- يستطيع الطالب أن يعتمد على الكتاب الجامعي الجيد حتى في حالة غياب الأستاذ، وكذلك في حالة عجز المكتبات الجامعية من أن توفرّ له المطلوب من المصادر والمراجع.

يقول ابن عاشور في كتابه "التعليم العربي الإسلامي": «إذا كنا نرتقب من إصلاح التعليم إصلاح المعلمين وطريق اختيارهم، فإن التأليف - وهو المعلم الأول للتلميذ والمذكر والمرشد للمدرس - أجدر بأن يُعطى لفتة من الإصلاح؛ ولو وازن الناس بين إصلاح التأليف وإصلاح المعلم لرأوا أن إصلاح التأليف يصل بنا إلى غرضنا،

(١) انظر: سوسن شاكّر مجيد، الحوار المتمدن، العدد: ٣٦٨٧، ٣/٤/٢٠١٢م:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=301771>

وإن بقي المعلم على حاله فإنه مهما بلغ به الجمود لا يمكن أن يحول بين الإفهام وبين ما في التأليف...^(١).

فهو هنا يتحدث عن أهمية الكتاب للتلاميذ، وهذا الفهم ينسحب أيضاً على أهمية الكتاب الجامعي، حيث يُعتبر الكتاب الجامعي ركن أساس في التعليم الجامعي، إذ أنه يمثل الركيزة التي تكمل باقي الركائز للحصول على المنتج العلمي المتمثل بالتحصيل الدراسي للطالب الجامعي.

ومن هذا المعنى فيمكننا تمثيل البنية التعليمية بكونها بناء يقوم على ثلاث ركائز وهي؛ الأستاذ الجامعي والطالب والكتاب. وعندما نتحدث عن الكتاب نعتبره أحد أهم مصادر المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها من قبل الطالب الجامعي ولا نلغي بذلك مصادر المعلومات الأخرى، كالمراجع والصحف والمجلات العلمية والأبحاث المنشورة ووسائل الاتصال والإنترنت... وغير ذلك من مصادر حديثة ومتطورة، لكن حتى الآن لا يمكن - في رأينا - الاستغناء عن الكتاب الجامعي بما يحتويه من معلومات تتناول مختلف أنواع العلوم، وذلك لعدة عوامل وأسباب، أهمها:^(٢)

١. أن الكتاب الجامعي يغطي المقرر الذي يدرسه الطالب حيث أنه محبوب ومتسلسل وفق المنهاج الدراسي المقرر وضمن محاضرات محددة يمكن للمدرس تغطيتها أثناء العام الدراسي.
٢. إنه وحسب القوانين والأنظمة يلزم الأستاذ الجامعي باعتماد مضمونه وخاصة فيما يتعلق بالامتحانات والأسئلة.
٣. يعتبر الكتاب الجامعي من حيث المبدأ كتاباً علمياً متخصصاً يغطي بشكل مدروس فقرات المقرر الدراسي وهو مدقق علمياً ولغوياً. ومن خلال ذلك نفترض

(١) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح يقرب - التعليم العربي الإسلامي "دراسة تاريخية إصلاحية"، دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٣٦ - ١٤٠.

(٢) انظر: صفحة جامعة دمشق، مديرية الكتب والمطبوعات، على الرابط التالي:

عدم وقوع الدارس أو القارئ بأية مغالطات أو أخطاء علمية أو لغوية أو غير ذلك فيما يتعلق بالمضامين التي يتناولها الكتاب.

٤. إن الكتاب الجامعي في متناول جميع الطلاب والباحثين والمهتمين على مختلف مستوياتهم العلمية كونه منتج جامعي محلي وموثوق وثمنه مقبول.

٥. يمكن للطالب في أية كلية أو معهد أو لأي شخص مهتم من خارج الجامعة أن يؤسس مكتبة خاصة تحوي وتضم مختلف أنواع المراجع والكتب الجامعية حيث تعتبر هذه الكتب من أفضل المنشورات من حيث القيمة العلمية والفنية والتخصصية، ومن حيث جودة الكتاب (إنتاجه وإخراجه ونوع الورق والطباعة).

٦. تعتبر الكتب الجامعية ذات ميزة هامة من ناحية تأصيل كافة العلوم حتى العلوم التطبيقية والهندسية والطبية. (وهذا أمر مطلوب في عالمنا العربي والإسلامي).

ثانياً: التحديات التي تواجه إنتاج وتطوير الكتاب الجامعي^(١):

نشأت مجموعة من التحديات التعليمية المتنوعة في بداية هذا القرن، فازدادت الحاجة إلى تطوير الكتاب الجامعي في ظل المنافسة القوية من المواد التعليمية الأخرى، ومن هذه التحديات ما يلي:

١. الوسائط الحديثة المتعددة والتطور التقني المرتبط بهذه الوسائط، فقد أدى إلى زيادة الحاجة إلى الكتاب الجامعي، وإلى السعي الدائم والدؤوب من الجامعات في دفع العملية التعليمية إلى الأمام من خلال إنتاج وتطوير الكتاب الجامعي.

٢. الفقر الذي تعاني منه مكتبات الجامعات لهذا النوع من الكتاب يفرض العناية به وحشد جميع الإمكانيات البشرية والمادية لتطويره.

(١) عبد الله سعيد، جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، مرجع سابق.

٣. استشراف للمستقبل؛ والذي يتطلب من المسؤولين عن تطوير الكتاب الجامعي بذل الجهود المضيئة في متابعة كل جديد في ميدان العلوم في سبيل توظيفها للارتقاء بالكتاب الجامعي.

٤. ولعل أبرز التحديات طريقة تقديم الكتاب الجامعي إلى الطلاب بصورة جذابة، لمنافسة الحاسوب التعليمي الذي أتاح للمتعلمين نوعاً من التفاعل الديناميكي ذي الاتجاهين، وقدم المادة العلمية بصورة جذابة، وأقرب للواقعية.

المطلب الثالث: الكتاب الجامعي القائم على أساس التأصيل:

مفهوم "تأصيل العلوم":

• لغة: الأصل أسفل الشيء والذي يعتمد عليه سواء كان مادياً أو معنوياً.^(١)
وأصل الشيء: قتله علماً فعرف أصله^(٢). وأساس الحائط: أصله. واستأصل الشيء: ثبت أصله وهوي ثم كثر، حتى قيل أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول، والجمع "أصول". وأصل "النسب" بالضم "أصالة" شرف، فهو "أصيل" مثل كريم. وأصلته تأصيلاً: جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه^(٣).

• اصطلاحاً: (إرجاع المعارف إلى أصلها؛ الوحي).^(٤)

يمكن أن نفهم مما يشار إليه بلفظ "تأصيل العلوم" أو ما يعني مفهوم "تأصيل العلوم" بما عرفه أحد الباحثين بأنه: "إعادة صياغة المعرفة على أساس من

(١) 1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، د.ت، (١٦/١١) - القاموس المحيط الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نجيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (ص ١٢٤٢).

(٢) لسان العرب، المرجع السابق، (١٦/١١)

(٣) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د. ت، ١٦/١.

(٤) معاوية أحمد سيد أحمد، العلواني، انظر: التأصيل؛ المفاهيم والأسس في جامعة المستقبل، مركز دراسات المستقبل:

علاقة الإسلام بها، أي: إعادة تجديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها، وإعادة تقويم النتائج وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وخدمة قضية الإسلام^(١).

فالتأصيل إذاً هو العودة بالشيء إلى أصوله وأساسه التي يُبنى عليها^(٢). والتأصيل للكتاب الجامعي، يعني: العودة بمنهج الكتاب الجامعي ومحتواه إلى أسسه وقواعده في التعليم والتعلم وفقاً لتوجيه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهو البحث عن أصوله الشرعية التي يستند إليها، "أسس توجيه الإسلام للتعليم والتعلم".

دوافع تأصيل الكتاب الجامعي:

إن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: {أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)}^(٣)، فالقراءة هي الطريق إلى الإيمان بالله تعالى، لذلك لا بد من توافر مواصفات محددة لما نقرأ من كتب، والكتاب الجامعي أيضاً وسيلة للعلم والإيمان، فهناك إذاً دوافع كثيرة لتأصيله، من أهمها:

١. بناء العلوم والمعرفة على أساس حكمة خلافة الإنسان لله في الأرض.
٢. المحافظة على تربية أبناء المسلمين تربية إسلامية.

(١) انظر: إسماعيل الفاروقي، إسلامية المعرفة المبادئ العامة -خطة العلم- الإنجازات "ترجمة: عبد الحميد أبو سليمان". واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٦، ص ٥٤.

(٢) ياسر عثمان الحاج، الدعاية رؤية إسلامية، موقع شبكة مشكاة الإسلامية: <http://www.almeshkat.net>

(٣) سورة العلق، الآية: ١.

(٤) انظر: الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، (١/ ٢٢٣)، واليسابوري، أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، (ص: ٩).

٣. تنقية ما علق بمناهج العلوم من تلوث^(*).

وهنا يجب أن نحدد رؤية واضحة لتستوعب بناء مادة الكتاب والمقرر الدراسي بما يلبي الاحتياجات العلمية المطلوبة للتخصص وفق التأصيل للعلوم وبناء المعرفة. وبما أن "إسهام المسلمين (العلمي) - في وقتنا الحاضر - في جملته وتفصيله لا يزال أمراً غير واضح المعالم؛ ولم يتجسد بعد في نتائج ملموسة بالرغم من أن كثيراً من العلماء والباحثين في هذا المجال كان "همهم الأول وضع الخطوط العريضة لمشروع إسلامية المعرفة، إلا أنهم في أحيان كثيرة لم يدخلوا إلى صلب مسألة المنهجية، إذا انحصر الاهتمام في التوصل إلى بعض المبادئ المتصلة بنظرية تأصيل المعرفة"^(١).

إلا أن الرأي السائد فيما بعد هو "ينبغي إعادة تحديد العلاقة بين العقل والوحي... إذ لم يعد الاكتفاء بمجرد تقرير أن كل من العقل والوحي يعتبران من مصادر المعرفة، فلا بد من أن نتقدم خطوة أخرى لنحدد - وبشكل ملموس - كيف يمكن الربط بين أحدهما والآخر"^(٢)، فينبغي أن يقوم الربط على مجموعة من المبادئ والمعايير الواضحة الأبعاد والتي تقوم على أصول صارمة.

فقد نقوم اليوم ببذل جهد مبدئي لاستيضاح حقيقة الرؤية الإسلامية للتأصيل كما نتصورها اليوم في ضوء فهمنا للنصوص وفي ضوء معرفتنا المستمدة من الجهود البحثية الواقعية الراهنة، ولكننا نكاد لا ننتهي من هذا العمل إلا لنقوم بربطه بغيره من الأعمال الجزئية المتصلة به، ثم لنقوم في ضوء ذلك بإجراء بحوث جديدة يتمخض عنها لا محالة أطر تصويرية أكثر دقة وأكثر اقتراباً من فهم الحقيقة وهكذا، فلزم

(*) تعني بالتلوث (النظريات الهدامة والأفكار المنحرفة المدسوسة في مناهج التعليم من فكر غريب وطرائق حياة وخبرات دخيلة، جعلها تحالف التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة في كثير من منطلقاتها، ومفاهيمها وحقائقها وتطبيقاتها).

(١) انظر: د. إبراهيم عبد الرحمن رجب، منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة المسلم المعاصر، الأربعاء، ٠٣ تموز/يوليو ١٩٩٦م، العدد ٨٠، لبنان. على الموقع:

http://almuslimalmuaser.org/index.php?option=com_k2&view=item&id=449:man_hag-el-tawgeh

2. منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٥٧.

أن نبدأ هنا بالتتويه إلى الطبيعة المتحركة (الدينامية) التراكمية لجهود التوجيه الإسلامي للعلوم، والمنبثقة عن الطبيعة المتحركة للبحث العلمي بصفة عامة^(١). وفي هذا الصدد قدمت جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم جهود واضحة ومقدرة من خلال مركز تأصيل العلوم الذي كان الهدف الأساس من إنشائه هو وضع أسس وقواعد المناهج على أساس يرتكز على تأصيل كل العلوم، فكان نتاج ذلك الجهد مؤتمراً علمياً عالمياً^(٢)، قُدِّمَتْ فيه أكثر من أربعين دراسة تناولت موجهات تأصيل العلوم، وطرحت توصيات مهمة في كيفية بناء المناهج المؤصلة. وعلى هذا الأساس نرى أن التأصيل للكتاب الجامعي ينبغي أن يتناول أسس العلوم المراد توجيهها ومنطلقاتها وتحليلاتها وتطبيقاتها وبنائها.

(١) منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٢) عُقد المؤتمر في الفترة من ٢٠-٢٢ محرم ١٤٣٧ هـ الموافق له ٣-٥/نوفمبر ٢٠١٥ م، انظر البحوث ونتائجها من موقع الجامعة:

المبحث الثاني

مفهوم التخطيط لنشر الكتاب الجامعي

المطلب الأول: مفهوم التخطيط والتخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي:
أولاً: مفهوم التخطيط:

تعني كلمة "التخطيط" لغة "التسطير" أو "التهديب". نقول: خطت عليه ذنوبه أي: سطرت عليه ذنوبه. و"خط القلم" تعني "كتب القلم" و"خط الشيء" تعني "كتبه بقلم أو غيره"^(١).

و"الخط" يعني "الطريق" ويقال: ألزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيئاً. "خطط" الخَطُّ الطَّرِيقَةَ المُسْتَطِيلَةَ فِي الشَّيْءِ. (٢)

وهذا المعنى اللغوي يعبر باختصار وعمومية عن معنى التخطيط إذ يمكن التعبير عن المعنى الاصطلاحي للتخطيط بأنه: إعداد خبرات وسياسات ونظم وأدوات وإجراءات محددة لتحقيق أهداف معينة بأفضل ما يمكن، أو أنه مجموعة من التدابير المحددة التي تتخذ لإنفاذ هدف معين.^(٣)

ومما سبق، يمكن أن نستنتج أن "عملية التخطيط تعني تحرير وتهديب طريق العمل، بما يمكن أن نسميه "هندسة التنفيذ لبلوغ هدف محدد".

ثانياً: مفهوم التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي:

لا يخرج مفهوم التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي عن مفهوم التخطيط بوجه عام، إلا أنه يتعلق بنشر وإنتاج الكتاب الجامعي سواء من جانب التأليف أو غيره

(١) محمود أحمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب (٧/٢٨٧).

(٣) أحمد حسين اللقاني، المناهج بين النظرية والتطبيق "ط٢". القاهرة: عالم الكتب ١٩٨٢م، ص ١٨.

من عمليات الإنتاج. ويمكن أن يُعتبر أيضاً أنه "مقترحات لتطوير عمليات إنتاج الكتاب وبلوغ أهداف النشر".

ويمكن النظر إليه أيضاً بأنه: وصف إجرائي لأفضل الفعاليات والوسائل والأدوات والمواد والأنشطة التي سوف تستخدم لتحقيق أهداف إنتاج ونشر الكتاب الجامعي وكيفية توظيفها وإعدادها. ومن ثم فإن التخطيط يعطي فرصة للتفكير في أفضل الطرق والأساليب التي يمكن توظيفها للمساعدة في تحقيق الأهداف المحددة، مستثمراً في ذلك مختلف الإمكانيات المتاحة^(١).

المبحث الثالث

التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي

المطلب الأول: التخطيط لنشر الكتاب الجامعي:

التخطيط لنشر الكتاب الجامعي يتضمن الآتي:

١. مراحل التخطيط للكتاب الجامعي:

- يرى جوران أن التخطيط للجودة يمر بعدة مراحل - نرى أنه يمكن تطويعها لتتطبق على التخطيط لنشر الكتاب الجامعي - وهي^(٢):
- أ. تحديد المستفيدين (الطلاب والأساتذة، والمهتمين بالكتاب الجامعي).
 - ب. تحديد الاحتياجات اللازمة للنشر (التأليف، التصنيع، التسويق).
 - ج. تطوير مواصفات الكتاب الجامعي لكي تستجيب لحاجات المستفيدين.
 - د. تطوير العمليات التي من شأنها تحقيق تلك المواصفات أو المعايير المطلوبة.

(١) محمود أحمد شوق، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) جوزيف م. جوران، تخطيط جودة المنتجات والخدمات، دليل جوران إلى تصميم الجودة، إصدار وترجمة الشركة العربية للإعلام

العلمي (الشعاع)، القاهرة، مجلة (حلاصات) السنة الأولى - العدد الثامن عشر (سبتمبر ١٩٩٣م).

هـ. نقل نتائج التخطيط الموضوع إلى أصحاب العلاقة.
و. الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والمادية المتاحة في إنتاج ونشر الكتاب الجامعي.
وانطلاقاً من تلك الرؤية فإنّ التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي المؤصل عملية مهمة وضرورية لتحقيق أهداف النشر.

٢. ضمان جودة الكتاب الجامعي :

يقصد بضمان جودة الكتاب الجامعي، جميع الاتجاهات والأهداف والآليات والإجراءات والأفعال التي من خلال وجودها أو استخدامها أن تضمن الموامة مع المعايير الأكاديمية المناسبة^(١) ولضمان جودة الكتاب الجامعي لا بد من توافر عددٍ من المواصفات والشروط والأسس التي يجب على مؤلفي الكتاب الجامعي أخذها بعين الاعتبار، ويمكن تلخيص أهم المواصفات التي تؤمن الإطار الضامن لجودة الكتاب الجامعي على النحو التالي:

- أ. تحديد أهداف واضحة قابلة للملاحظة والقياس .
- ب. جودة البناء ودقة أسلوب تنظيم المحتوى، واستخدام الرسوم والأشكال التوضيحية المناسبة.
- ج. التوافق بين المضمون والمحتوى والمنهج، بما يحفز المتعلم على التفكير المنطقي.
- د. التدرج في عرض المادة تدرجاً منطقياً متكاملأ ومتربطاً.
- هـ. تناسب المحتوى مع عدد الساعات المحددة له، ويتم التحقق من ذلك تجريبياً.
- و. مراعاة مستوى المتعلم في لغته وأسلوبه وطريقة العرض وكفايته العلمية.
- ز. أن يوجه المتعلم إلى النشاطات المتنوعة ذات الصلة، وإلى مصادر المعرفة الأخرى المتوافرة، وأن يربط بين الأمور النظرية والتطبيقية.

(١) جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، مرجع سابق.

ح. أن يربط بين المتعلم وقضايا المجتمع المحلي المحيط به، ويسعى إلى استغلال مصادر المعرفة والتعلم المتوافرة في البيئة المحلية.

ط. أن يكون محفزاً للتعلم الذاتي لدى المتعلم ويزيد قدرته على البحث والاستقصاء، وينمي مهارات الطالب على التعلم التعاوني ويعزز روح العمل الجماعي.

٣. ضمان أسس تأصيل الكتاب الجامعي :

يجب أن يتضمن التخطيط لإنتاج ونشر الكتاب الجامعي وفقاً للأسس التأصيل؛ المكونات أو الأركان الثلاثة الآتية على الأقل^(١):

أ. تحديد أبعاد التصور الإسلامي الشامل للإنسان والمجتمع والوجود، استخلاصاً من المناهج الرئيسية للمنهج الإسلامي التي تتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة، مع الاستفادة من اجتهادات علماء المسلمين من السلف المعاصرين، وتحديد متضمنات هذا التصور المتصلة بالمجال العام الذي يغطيه الكتاب الجامعي.

ب. حصر نتائج "البحوث العلمية المحققة" في نطاق العلوم الحديثة، ومسح "نظريتها" وتحليلها وإخضاعها للتحميم والنقد في ضوء مقتضيات ذلك التصور الإسلامي، سواء من حيث الموضوع أو المنهج قبل أن تضمن في الكتاب الجامعي.

ج. إنتاج كتاب جامعي علمي متكامل يضم ما صح من نتائج العلوم الحديثة وما صمد للتحميم والنقد من نظريتها، ويربط بينها وبين ما توصل إليه علماء المسلمين من حقائق وتعميمات برياط تفسيرية مستمد من التصور والمجتمع والوجود.

(١) انظر: منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق.

المطلب الثاني: معايير تخطيط إنتاج الكتاب الجامعي:

كما أشرنا سابقاً فإن الكتاب الجامعي هو المادة العلمية التي تجسد بنود المحتوى، بما يضمنه من معارف ومفاهيم ومهارات واتجاهات وأنشطة. والمؤلف أو المترجم ومبنيهاً على أساس تأصيلي، أو المادة العلمية التي يطورها أساتذة الجامعة في المساقات التي يقومون بتدريسها للطلاب في التخصصات العلمية المختلفة، ويجب أن يعبر عن مادة مرجعية لعملية التعلم تتيح للطلاب أساس معرفي يوجه اختياراته التربوية والتعليمية.

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد عناصر تخطيط إنتاج الكتاب الجامعي بأن تقوم على محورين رئيسيين (المعايير العامة والمعايير الخاصة):

المحور الأول: المعايير العامة:

ويتناول فلسفة بناء البرنامج ومكوناته بناءً على عقيدة الأمة وثقافتها،

وذلك عبر ركيزتين هما:

١. فلسفة بناء محتويات الكتاب ومكوناته^(١):

يجب أن تقوم فلسفة بناء محتويات الكتاب بأن تشمل محتويات البرنامج وأهداف المقرر على ٧٠٪ على الأقل من المحتوى العلمي اللازم للمقرر ليزود الطالب بالمفاهيم والمعلومات والمهارات الأساسية اللازمة، وأن يحقق التكامل المعرفي بين المقررات الجامعية المختلفة في ضوء رؤية شمولية للبرنامج، وأن يحقق التكامل الرأسي بين أجزاء السلسلة إذا كان عدداً في سلسلة لمقرر محدد. وأن تغطي ٣٠٪ الاستدلالات والشواهد والتجارب السابقة من التراث الإسلامي.

٢. مراعاة عقيدة وقيم وثقافة الأمة:

كذلك يجب أن تتسق المادة العلمية مع عقيدة المجتمع وحاجاته ومشكلاته (تأصيل المادة)، وتراعي ثقافته وقيمه العربية الإسلامية،

(١) انظر: منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق.

والجوانب الأخلاقية، ويحترم ثقافة الآخرين ويعبر عن تقديرها، ويراعى القيم الجامعية عند الاقتباس أو الاستشهاد.

المحور الثاني: المعايير الخاصة^(١):

١. المادة العلمية:

ونعني بها المحتوى؛ والذي يجب أن يتضمن معلومات صحيحة علمياً، ومواكبة للجدید في ميدان التخصص، ومنسجمة مع طبيعة المادة العلمية ومنهجية تدريسها. ويمكن تنظيم المحتوى كما يلي:

أ. الالتزام في مادة الكتاب بمنهجية التأليف ومنطقية عرض المادة العلمية وترتيب الفصول.

ب. التدرُّج في عرض المادة العلمية (من البسيط للمعقد، من الكل للجزء، أو من الجزء للكل، من المحسوسات للمجردات، من المؤلف لغير المؤلف... إلخ).

ج. ينوع في أساليب عرض المادة العلمية (رسوم، خرائط، جداول، سرد، قصص...) بما يساعد على مواجهة الفروق الفردية بين الطلاب.

٢. خصائص الطالب الجامعي^(٢):

يُراعى عند التخطيط لإنتاج الكتاب أن يناسب مستوى الطلاب في الصف الجامعي (اهتماماتهم، خلفياتهم المعرفية، مستوياتهم العقلية... إلخ)، كما يجب أن يعمل على تحقيق الغايات التالية:

أ. الإسهام في تنمية حاجات الطالب العلمية والاجتماعية والنفسية والثقافية، وتنمية المهارات العقلية العليا للطالب.

ب. مساعدة الطالب على اكتشاف قدراته وصلها.

ج. تطوير الخبرات السابقة للطلاب وتهيئتهم للجدید منها .

(١) انظر: سوسن شاكر مجيد، الحوار المتمدن، مرجع سابق.

(٢) جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، مرجع سابق، ص ٥٧٠.

٣. لغة الكتاب:

كذلك يجب أن يُراعى عند التخطيط لإنتاج الكتاب الجامعي أن ترتقي لغته بمستوى الطلاب في اللغة، مع مراعاة الرصيد اللغوي لهم، مع سهولة المفردة وبساطة التراكيب اللغوية، وسلامة صياغة الجمل وتناسق طولها، وأن تتناسب فقرات الكتاب الجامعي مع الأفكار التي تشتمل عليها، وهناك محددات مهمة لا بد من التقيّد بها، وهي:

- أ. اعتماد اللغة العربية الفصيحة الصحيحة.
- ب. يقتصر على استخدام المصطلحات الصحيحة.
- ج. يستخدم المصطلحات الأجنبية بدقة وفي حدود الحاجة إليها.

٤. شكل الكتاب وإخراجه (الإخراج الفني) ^(١):

يعتبر الشكل الفني وإخراج الكتاب من المعايير المهمة عند التخطيط لإنتاج الكتاب الجامعي، ويتضمن الشكل الفني العناصر التالية:

أ. حجم الكتاب:

الكتاب الجامعي يمتاز بكونه جامعاً للمادة العلمية، لذا يجب أن يكون شاملاً ولا يتأثر بمستوى الطلاب ولا الزمن المخصص للمقرر، فلا يحصر الطالب في إطار محدود، وأن يستوفي المادة العلمية التي يشتمل عليها المقرر.

ب. الطباعة:

أن تتميز الطباعة بالوضوح ووحدة شكل الحروف المستخدمة في الكتابة، ووضوح فقرات الكتاب والفواصل بينها، وخلو الكتاب من أخطاء الطباعة.

ج. نوع الورق:

(١) جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، مرجع سابق، ص ٥٨.

لإنتاج الكتاب يجب اختيار ورق عالي الجودة من حيث اللون والوزن والمقاييس، في الصفحات الداخلية والغلاف؛ الذي يجب أن يتسم إخراجها بالجاذبية.

د. تبويب الكتاب:

لضمان جودة إخراج الكتاب لا بد أن يشتمل على مقدمة توضح هدفه وخطته وبعض توجيهات استخدامه، وأن يحتوي على مسرد في آخر الكتاب المصطلحات الجديدة، وأن ينتهي كل فصل بخلاصة للمفاهيم والمعلومات الجديدة، كذلك يجب أن تناسب عناوين الفصول محتواها، وأن يتم إعداد فهرس تفصيلي دقيق (للموضوعات، الجداول، الرسوم، والأشكال .. الخ).

هناك بعض العناصر الإخراجية المهمة يجب مراعاتها، أهمها:

- كتابة العناوين الرئيسية بخط مميز يوضح الفرق بين العنوان الرئيسي والفرعي.
- عرض المعادلات والمعالجات الإحصائية بشكل دقيق وبسيط يسهل إدراكه.
- استخدام الجداول والأشكال البيانية استخداماً مناسباً يؤدي الغرض المطلوب.
- أن يصدر في شكل لائق مناسب للجامعة موظفاً أحدث تقنيات الطباعة والإخراج.

المطلب الثالث: مراحل تخطيط إنتاج الكتاب الجامعي^(١):

إن الغرض من التخطيط لنشر الكتاب الجامعي هو العمل على تطوير الكتاب بصورة علمية وتربوية تتفق والاتجاهات العلمية الحديثة، من خلال تحديد مواصفاته

(١) جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، مرجع سابق، ص ٢٩.

ومميزاته التربوية الجيدة، وتضع استراتيجيات متعددة تتناول تقديم محتوى الكتاب وصياغته وربطه بعملية التدريس والتعلم، وذلك من خلال المراحل التالية:

١. إعداد وثيقة المنهج الدراسي:

Curriculum Concept: مفهوم المنهج

وردت كلمة "منهج" كثيراً في الدراسات الإنسانية بعامّة، وفي المجال التربويّ على وجه الخصوص، ويختلف معنى هذه الكلمة بحسب السياق الذي ترد فيه، وأجمع كثير من الباحثين أنّ اليونان هم أوّل من استخدم هذه الكلمة، فهي تعني بأصل وضعها الإغريقيّ: " الطريقة التي يتّخذها الفرد، أو النهج "Course" الذي يجريه ليسرع به إلى تحقيق هدف معيّن... " (١).

وفي اللغة العربيّة نجد أنّ كلمة المنهج مأخوذة من الفعل نهج يهّج نهجاً، ورد في المعجم الوجيز "مادّة نهج" نهج الطريق - نهجاً: وضّح واستبان، ونهج الطريق: بيّنه، وسلكه، ويقال: نهج نهج فلان: سلك مسلكه، وانتهج الطريق: استبانه وسلكه، واستتهج سبيل فلان: سلك مسلكه، والمنهاج: الطريق الواضح والخطة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما، الجمع (مناهج)، والمنهج: المنهاج، الجمع "مناهج" (٢).

وقد تطوّر مفهوم المنهج في قواميس اللغة الأجنبية بشكل مستمرّ، فقد كانت كلمة منهج Curriculum تعني المنهج الخاصّ بالجامعة، وبهذا المعنى وردت هذه الكلمة لأوّل مرّة في قاموس (وبستر) طبعة عام ١٨٥٦م، وفي عام ١٩٦٦م وردت كلمة Curriculum في قاموس (بانكروفت) بمعنى " سلسلة منظّمة من الدروس أعدت للدراسة " (٣).

(١) حسين سليمان قورة: الأصول التربوية في بناء المناهج، ط ٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص ٢٣٧.

(٢) مجمع اللغة العربيّة: المعجم الوجيز، ١٩٨٩م، ص ٦٣٦.

(3) Bancroft and Co (1966): Bancroft English Dictionary , First published , London, S . W . 1 . p 92.

Dictionary of Education أما في الطبعة الثالثة من قاموس التربية لـ Good عام ١٩٧٣م، فقد وردت لكلمة المنهج Curriculum ثلاث تعريفات هي: ^(١)

١. "مجموعة من المقررات ، أو المواد الدراسية التي تلزم للتخرج، أو الحصول على درجة علمية في ميدان رئيس من ميادين الدراسة، مثل منهج المواد الاجتماعية، أو منهج الرياضيات".
٢. "خطة عامة شاملة للمواد التي ينبغي أن يدرسها التلميذ في المدرسة؛ ليحصل على درجة علمية (شهادة) تؤهله للعمل بمهنة أو حرفة".
٣. "مجموعة من المقررات والخبرات التي يكتسبها التلميذ في المدرسة أو الكلية".

وبذلك أصبح المنهج يعني الخبرات التي تقدمها المدرسة لطلابها للوصول إلى الأهداف التربوية، ونظراً لاختلاف الأهداف التربوية على مرّ العصور تبعاً لاختلاف الفلسفات السائدة، فقد تغيرت دلالة المنهج وتطوّرت وفق تغيير هذه الأهداف وتطوّرها ، غير أننا يمكن أن نميّز نوعين من معاني المنهج ، الأول ويدلّ على المنهج بمفهومه التقليديّ ، و الثاني ، ويدلّ على المنهج بمفهومه الحديث .

فالمنهج في اللغة بمعنى الطريق الواضح وهو مصطلح أصله لاتيني ويعني سباقاً يتم في مضمارٍ ما، ثم تطور مفهوم المنهج ليشمل مقررات الدراسة إلى أن استقر ليعني "محتوى المواد الدراسية أو الخطط الخاصة بها، إذاً يعني الطريقة التي ينهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين"^(٢).

إذاً؛ أولى مراحل التخطيط إعداد وثيقة المنهج الدراسي وفقاً للرؤية التأصيلية التي يجب أن تُبنى عليها.

(١) إبراهيم بسبوني عميرة (١٩٩١) : المنهج وعناصره ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٢٩ .

(٢) رشدي أحمد طعيمة وآخرون، المنهج المدرسي المعاصر، الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن،

٢. تفصيل مفردات المنهج المراد تأليفها:

وهي مرحلة إعداد مفردات المنهج والخطوات التي تمر بها من إعداد المسودات وتطويرها إلى الوضع النهائي، فيتناول مرحلة توليد الأفكار ومصادر المعلومات وتحديد الأهداف الخاصة للمفردات بالنظر إلى خصائص الفئة المستهدفة وكيفية تجميعها وتنظيمها، ومرحلة المراجعة النهائية الشاملة وإعدادها للطباعة .

٣. تشكيل لجان التأليف:

التأليف هو أول حلقة في حلقات النشر، حيث تمثل الجانب الفكري، والركيزة الأساس التي تعتمد عليها باقي الحلقات فبدون التأليف لا توجد الحلقات التالية؛ والمقصود بالمؤلف أنه هو "صانع الأفكار التي ستنشر على الملأ عن طريق الكتاب"^(١).

فإنه يمكن القول أن المؤلف هو الشخص الذي يبتكر الرسالة الفكرية ويعبر عنها بأسلوبه ويقوم بعرضها ونشرها على الناس. وحيث يمكن أن يكون شخص واحد هو المسئول عن المحتوى الفكري للكتاب، أو قد يكون التأليف مشترك (جماعي)؛ حيث يشترك في تأليف العمل شخصان أو أكثر وهو يمثل ظاهرة عالمية مألوفة في الإنتاج الفكري^(٢).

فها هنا يتوجب تشكيل لجنة لتضطلع بمهمة وضع هيكل للكتاب الجامعي بعد إقرار خطة المفردات.

٤. وضع هيكل لبنية الكتاب الجامعي:

يمكن تلخيص أهم عناصر بنية الكتاب الجامعي على النحو التالي^(٣):

- (١) حركة نشر الكتب في محافظة الإسكندرية: مرجع سابق، ص (١٩٥-١٩٨).
- (٢) حركة نشر الكتب في محافظة الإسكندرية: المرجع السابق، ص (١٩٦).
- (٣) جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، مرجع سابق.

- أ. تحديد الأهداف بصورة واضحة، وتكون قابلة للقياس والملاحظة .
- ب. أن تحتوي المقدمة على الأهداف، وطريقة بنائه وأسلوب تنظيم محتواه.
- ج. تحديد العناوين الرئيسية والفرعية لكل موضوع، وأن يحتوي على الرسوم والأشكال التوضيحية المناسبة.
- د. أن يتلاءم مضمونه مع محتوى المنهاج، بحيث يحقق مضمونه الأهداف التي وضع من أجلها .
- هـ. أن يكون أسلوبه في عرض المادة متدرجاً ومنطقياً ومتكاملاً ومتربطاً.
- و. أن يتناسب محتواه مع عدد الساعات المحددة له، على أن يتناسب مع مستوى المتعلم العلمي أو العمري في لغته و أسلوبه وطريقة العرض وهويته العلمية.
- ز. أن يكون فيه ما يحفز المتعلم على التفكير بمختلف أنواعه، كأن يتضمن أسئلة مفتوحة في نهاية كل فصل، تستدعي التفكير والعصف الذهني.
- ح. أن يوجه المتعلم إلى مصادر المعرفة الأخرى المتوافرة، وإلى النشاطات المتنوعة ذات الصلة .
- ط. أن يربط بين الأمور النظرية و التطبيقية، وأن يُوجّه إلى استغلال مصادر المعرفة والتعلم المتوافرة في البيئة المحلية، وأن يربط بين المتعلم وقضايا المجتمع المحلي المحيط به .
- ي. أن يساعد المتعلم على حسن فهم ما يقدمه له المحاضر ، وينمي أسلوب التعلم الذاتي لدى المتعلم ، ويزيد قدرته على البحث والاستقصاء .
- ك. أن يساعد الطالب على التعلم التعاوني، ويعزز روح العمل الجماعي والتشاركي.

٥. تسليم مخطوط الكتاب للتحضير اللغوي وللرسم والطباعة والإخراج:

بعد أن تكتمل حلقات تحديد محتوى أو خبرات المنهج ووضع الخطة وتفصيل خطة المنهج للفصل الدراسي المراد تأليفها وتشكيل لجان التأليف يتم وضع هيكل لبنية الكتاب الجامعي، ومن ثمّ يسلم مخطوط الكتاب الجامعي للتحضير اللغوي والطباعة، وإدراج الرسوم التوضيحية والصور - إن وجدت..

يتسم إخراج بوضوح الطباعة، وعلى ورق مناسب، وأن يصمم غلاف الكتاب الخارجي بما يلائم محتوى المادة، وأن يتوافر فيه عناصر الجاذبية والتشويق. كما يجب تدوين أسماء المؤلفين والمترجمين والمدققين على صفحات الغلاف.

٦. مراجعة الكتاب مع المخطوط واعتماده من لجنة التأليف:

بعد طباعة نسخة الكتاب الجامعي واستلامها من قبل وحدة التجهيز الطباعي يتم إرسالها إلى لجنة التأليف لمراجعتها وتحديد الأخطاء المراد تصويبها وذلك على التجربة الأولى، ثم إعادتها إلى الطباعة مرة ثانية للتصحيح وإجراء التعديلات المطلوبة، ثم تعاد النسخة المنقحة للجنة التأليف مرة أخرى لعمل التدقيق النهائي للكتاب من قبل اللجنة.

وبعد مراجعة المادة العلمية والتدقيق اللغوي للمادة ومراجعة الرسوم والجداول، والتأكد من تسلسل الفصول والمباحث والوحدات، ومطابقتها مع المخطوط الأصل، ترسل النسخة النهائية المصححة معتمدة من لجنة التأليف إلى مطابع الجامعة لطباعة الكمية المطلوبة والمحددة ثم ترسل إلى أعضاء اللجنة لاعتمادها بصورتها النهائية لإعطاء الإذن النهائي بتوريدها من المطابع والمخازن واعتمادها للتوزيع.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نلخصها فيما يلي:
أولاً: النتائج:

١. الكتاب الجامعي ركن أساس في التعليم الجامعي، إذ أنه يمثل الركيزة التي تكمل باقي الركائز للحصول على المنتج العلمي المتمثل بالتحصيل الدراسي للطلاب الجامعي.
٢. الكتاب الجامعي ضرورة لا غنى عنها، لمواجهة ظاهرة الأعداد الكبيرة للطلاب في الجامعات، مع تردي أوضاع المكتبات الجامعية وعدم وفائها بمتطلبات العملية التعليمية كاملة.
٣. يمتاز الكتاب الجامعي بأنه يغطي المقرر الذي يدرسه الطالب حيث أنه محبوب ومتسلسل وفق المنهاج الدراسي المقرر وضمن محاضرات محددة يمكن للمدرس تغطيتها أثناء العام الدراسي، كما يلزم الأستاذ باعتماد مضمونه وخاصة فيما يتعلق بالامتحانات والأسئلة.
٤. الكتاب الجامعي من حيث المبدأ كتاباً علمياً متخصصاً يغطي بشكل مدروس فقرات المقرر الدراسي وهو مدقق علمياً ولغوياً ويخلو من أي مغالطات أو أخطاء علمية أو لغوية أو غير ذلك فيما يتعلق بالأبحاث التي يتناولها الكتاب، وهو في متناول جميع الطلاب والباحثين والمهتمين على مختلف مستوياتهم العلمية كونه منتج جامعي محلي وموثوق وثمنه مقبول.

ثانياً: التوصيات:

١. لا بد من ترسيخ الإيمان بمقومات التراث الإسلامي الغني، والعمل على صناعة الكتاب الجامعي في ضوء متطلبات تأصيل العلوم النابعة من ذلك التراث .

٢. العناية بالكتاب الجامعي والتأكيد على أهميته في إكساب الطلاب لمهارات التفكير الإبداعي .
٣. اعتماد التخطيط في كل مراحل إنتاج ونشر الكتاب الجامعي وفقاً لأسس التأصيل التي حددها علماء الأمة.
٤. التأكيد على التخطيط لإنتاج الكتاب الجامعي عالي الجودة - في مختلف التخصصات - وفق منظور تأصيلي، وتوفير مقومات نجاحه معرفياً وتقنياً وتسويقياً .
٥. التدقيق في تأليف مادة الكتاب الجامعي، مع صرامة التدقيق اللغوي، ودقة المصطلحات العلمية، وجودة الطباعة والإخراج وتضمنين قوائم بالرموز والمقادير المستخدمة فيه، وفقاً للمعايير والمواصفات الدولية المتبعة في هذا الخصوص.
٦. تلافي خطورة الكتاب الجامعي التي تكمن في اعتماد الطالب عليه لأن يُختصر ويُختزل وفقاً لمنهج الامتحان، مما يهدد العملية التعليمية ويجعلها تتحول من عملية بحثية إلى عملية تلقين وحفظ؛ لذا وجب على الجهات المعنية أن تضع من الضوابط والمعايير التي تكفل دعم الكتاب الجامعي وجودته بتوجيه الطالب للبحث العلمي الموسع .
٧. دعوة مؤلفي الكتاب الجامعي في الأقسام العلمية المتماثلة في جميع الجامعات إلى تأليف المرجع العلمي الاختصاصي ، بالاعتماد على كتبهم الجامعية التي ألفوها سابقاً للمقرر ذاته، بعد تعديلها وتحديثها وضبط مصطلحاتها العلمية وتوحيدها وإغنائها وتوسيعها لتشمل مقابلاتها باللغات الأجنبية الحية والعمل في مرحلة لاحقة على إصدار معاجم موحدة عن المصطلحات الاختصاصية، وذلك بالتنسيق بين المقابلات العربية للدلالات الاصطلاحية .
٨. تشكيل لجنة عليا للتأليف، تتمثل فيها جميع الاختصاصات والفروع والأقسام العلمية في الجامعات، من أعضاء هيئة التدريس الذين درّسوا كل مقرر أكثر

من عشر سنوات، تكون في مقدمة مهامها تأليف وتطوير وتحديث مادة الكتاب الجامعي.

٩. تشكيل لجان تدقيق علمي وتنقيح للمادة العلمية للكتاب الجامعي، على أن تتألف كل لجنة من ذوي الخبرة من أعضاء هيئة التدريس، يقومون بتقديم تقارير التدقيق بصورة دورية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية:

١. إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة للنشر، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت. ١٩٢١/٢.
٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١/، (د.ت).
٣. أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
٤. أحمد حسين اللقاني، المناهج بين النظرية والتطبيق "ط٢". القاهرة: عالم الكتب ١٩٨٢م.
٥. إسماعيل الفاروقي، إسلامية المعرفة المبادئ العامة - خطة العلم- الإنجازات "ترجمة: عبد الحميد أبو سليمان". واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٦م.
٦. أمال طه محمد إبراهيم. الكتاب الجامعي: دراسة في مشكلات نشره وتسويقه في جامعة القاهرة - بنى سويف، ٢٠٠٤م. (أطروحة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بنى سويف).
٧. جوزيف م. جوران، تخطيط جودة المنتجات والخدمات، دليل جوران إلى تصميم الجودة، إصدار وترجمة الشركة العربية للإعلام العلمي (الشعاع)، القاهرة، مجلة (خلاصات) السنة الأولى - العدد الثامن عشر (سبتمبر ١٩٩٣م).
٨. حشمت قاسم، مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات، ط٢، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٩. عبد الله البريدي في حلقة نقاشية حول "صناعة الكتاب الجامعي: الأهمية والمقومات" جامعة الجزيرة، السودان؛ بتاريخ ٢٩/١١/٢٠١٠م.
١٠. عبد الله سعيد، جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطويره، دراسة مقدمة إلى الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات، وزارة التعليم العالي في جامعة حلب، ٣٠ - ٢١ أيار ٢٠٠٧م.
١١. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٢. محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب - التعليم العربي الإسلامي "دراسة تاريخية إصلاحية"، دار سحنون للنشر والتوزيع ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
١٣. محمود أحمد شوق، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجهات الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٤. محمود مهدي الشريف، "تجربة جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم"، ورقة قدمت للمؤتمر العلمي العالمي الثاني، نوفمبر ٢٠١٤م، قاعة الصداقة، الخرطوم.
- ثالثاً: مواقع الانترنت:
١٥. الصابوني: راجع الموقع أدناه: <http://www.sst5.com/readArticle.aspx>
١٦. جامعة دمشق، مديرية الكتب والمطبوعات، على الرابط أدناه: <http://www.damasuniv.edu.sy/ce/publications/>
١٧. دائرة المعارف البريطانية: <http://www.britannica.com/topic/publishing>
١٨. التأصيل؛ المفاهيم والأسس في جامعة المستقبل - د. معاوية أحمد سيد أحمد، مركز دراسات المستقبل: <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php>

١٩. منهج التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية، مجلة المسلم المعاصر، د. إبراهيم عبد

الرحمن رجب، العدد ٨٠، على الموقع: <http://almuslimalmuaser.org/index.php>

٢٠. ياسر عثمان الحاج، الدعاية رؤية إسلامية، موقع شبكة مشكاة الإسلامية:

<http://www.almeshkat.net/>

**Problems and Difficulties that Encounter English Students of
Al Quds Open University in the Translation Process from
English to Arabic and their solutions**

Dr. Ahmed Maher Mahmoud Al-Nakhalah*

* -assistant professor- Al Quds Open University. Palestine

Abstract

Difficulties and Problems that Face English Students of Al Quds

Open University in Translation process from English to

Arabic and the solutions for that

The study aims at exploring the difficulties that face the students of Al Quds Open University in translation process from English to Arabic. The researcher attempted to find suitable solutions for such difficulties and problems. The researcher followed an experimental descriptive method in the study. He also designed a test in order to explore the difficulties and problems that face such students. The test composed of seven questions and 58 items. Such study was applied on English students of Al Quds Open University in Gaza Region during the summer course of the academic year 2009/2010 . The researcher chose and selected a random sample of students . The researcher followed a suitable statistical methods for such study. The results showed that the students to some extent face some difficulties in translation process. At the end of the study ,the researcher adopted a group recommendations and suggestion.

مستخلص الدراسة:

الصعوبات والمشاكل التي تواجه طلاب اللغة الإنجليزية في جامعة القدس المفتوحة أثناء عملية الترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وإيجاد الحلول المناسبة لها تهدف هذه الدراسة إلى كشف والتعرف على الصعوبات والمشاكل التي يواجهها طلاب اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وإيجاد الحلول المناسبة لها. لقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التجريبي في دراسته. قام الباحث بتصميم اختبار أسئلة وعلى لصعوبات والمشكلات التي تواجه طلاب اللغة الإنجليزية. أحتوى الامتحان على سبعة أسئلة وعلى 58 بنداً. تم تطبيق الدراسة على طلاب اللغة الإنجليزية في منطقة غزة التعليمية في

الفصل الصيفي للعام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م. لقد قام الباحث باختيار عينة عشوائية. هذا وقام الباحث باتباع الطرق الإحصائية ما يواجهون للوصول إلى النتائج المناسبة. لقد أظهرت النتائج أن الطلاب إلى حدٍ ما يواجهون مشاكل في عملية الترجمة . وفي نهاية البحث قام الباحث باتخاذ وتبني التوصيات والاقتراحات المناسبة لتحقيق الهدف المرجو من الدراسة.

Introduction

Every translation activity has one or more specific purposes and whichever they may be; the main aim of translation is to serve as a cross-cultural bilingual communication vehicle among peoples. In the past few decades, this activity has developed because of rising international trade, increased migration, globalization, the recognition of linguistic minorities, and the expansion of the mass media and technology. For this reason, the translator plays an important role as a bilingual or multi-lingual cross-cultural transmitter of culture and truths by attempting to interpret concepts and speech in a variety of texts as faithfully and accurately as possible. (Hajaj, 1997).

Most translation theorists agree that translation is understood as a transfer process from a foreign language—or a second language—to the mother tongue. However, market requirements are increasingly demanding that translators transfer texts to a target language that is not their mother tongue, but a foreign language. This is what Newmark calls "service translation." (Newmark 1995).

There are some particular problems in the translation process: problems of ambiguity, problems that originate from structural

and lexical differences between languages and multiword units like idioms and collocations. Another problem would be the grammar because there are several constructions of grammar poorly understood, in the sense that it isn't clear how they should be represented, or what rules should be used to describe them. (Newmark 1995).

The words that are really hard to translate are frequently the small, common words, whose precise meaning depends heavily on context. Besides, some words are untranslatable when one wishes to remain in the same grammatical category. The question of whether particular words are untranslatable is frequently debated. For example, it isn't easily to translate a poetry because you need to analyze the words and meaning and after the flow and rhythm (or rhyme). Poetry's most translations are bad. This is principally because the translator knows the foreign language too well and his or her native language too poorly. Some English poetry translations are robotic, do a great disservice to the originals.

English-Arabic translation difficulties also result from differences in word order between the syntax of the two languages. (Hajaj, 1997).

The Problem of Study:

The researcher discusses the difficulties and problems that encounter English students of Al Quds Open University in the translation process from English to Arabic and their solutions .

The Questions of the Study:

The study will answer the main questions: 1)What are the difficulties and problems that encounter the students of English at

Al Quds Open University in the translation process from English to Arabic? 2)What are the suitable solutions?

The following sub-questions arise from the main questions:-

- 1- What is the most difficult kind of translation?
- 2- Are there any statistical significant differences at ($\alpha \leq 0.05$) in the level of application of translation process from English to Arabic activity skills in Gaza Region based on gender variable ?
- 3- What are the suitable solutions for translation difficulties?

The Objective of the Research

The main objectives of the research the difficulties and problems that encounter the students of Al Quds Open University in the translation process from English to Arabic and their solutions are:-

- Improving and developing students by using the skills, techniques and procedures of translation that may enrich and assist the student's ability of translation.
- Adopting suitable translation strategies for different kinds of translation such as cultural translation, proverbs, legal translation.
- To enable students to learn a range of linguistic and translation skills, including how to deal with the cultural dimension of translation, account for the differences between the English and Arabic languages and to handle translated texts in specialized areas (e.g. law, business, public administration and/or media).

- To bring students to a level of practical proficiency that will enable them to be linguistically and analytically equipped to complete extended translation assignments and deal with linguistically and culturally-related problems in translation, increasing their confidence as practicing language professionals.

The importance of the study:

The researcher noticed during his career and teaching the course of translation at Al Quds Open University that the students face some difficulties and problems in the translation process from English to Arabic .The importance of such study lies in the following points:

- 1-The research formulates a list of useful techniques and procedures for translation to overcome such problems.
- 2-The study will upgrade the level of translation process from English to Arabic by adopting suitable techniques and procedures for accurate translation.
- 3-The research shall draw the attention of the concerned parties to the importance of providing suitable procedures and requirements to improve translation process from English language to Arabic language.
- 4-The study will draw the attention of persons in charge and the officials to the importance of student's role in achieving and carrying out effective procedures and techniques translation from English to Arabic for the purposes to create and produce accurate and perfect translation.

Limitations of the Study:

The study has three limitations:-

1. **Limitation of time:** The study was carried out and applied in the summer course of the academic year 2009/2010.
2. **Limitation of place:** The study was applied and carried out in Al Quds Open University in Gaza City Region.
3. **Subject Limitation:** The study will deal with and discuss the difficulties and problems that face the students of Al Quds Open University in the translation process from English to Arabic and their solutions in Al Quds Open University in Gaza City Region

Definition of Terms:

- **Translation:** It is an activity comprising the interpretation of the meaning of a text in one language – the source- to the other language the - target. (Hajaj, 1997).
- **Translation Difficulties:** (individual) are difficulties that individual translators could have when dealing with the translation process. (Shaheen, 1990).
- **Translation Problems:**
(general) are linguistic phenomena known to be problematic in translation independent from the individual translator for example ambiguous words. (Hajaj, 1997)
- **Translation strategies :** plans to solve problems that occur when reaching a particular translation goal –Open University.(Shaheen, 1990).

The Method of Study:

The researcher followed the analytical descriptive method in this study.

- A. **The population of study:** is from English students who study English Language at Al Quds Open University in the Region of Gaza for the academic year 2009/2010
- B. **Sample of Study:** The researcher chose a random sample from the population of study composed of (48) students who study English Language.
- C. **The instrument of Study:** The researcher designed an exam composed of seven questions and 58 items. Each question represents and deals with a kind of translation to show the level of difficulty of each kind.

(1)Table No.

Shows the number of questions, items and the kind of translation of each question.

No. of items	Questions
8	Q1- literal, metaphorical, descriptive translation, Naturalization and Arabization.
9	Q2- stative, non-stative, compound, definite, indefinite, dual, gender noun.
5	Q3-Tenses

No. of items	Questions
12	Q4-Modals.
10	Q5-Adjectives and Adverbs
7	Q6-Clauses
7	Q7-Proverbs, block language and newspaper headlines
58 items	Seven questions

The Validity of the exam

1-Agreement of referees

The exam was introduced for a group of specialized linguistics university tutors and lecturers at Gaza Governorate. They provided their recommendations and suggestions about the validity of the items of the exam .The researcher amended and modified such exam upon the suggestions and recommendations of the referees.

2-The Stability and Reliability of exam Internal Consistency

The stability of the exam was estimated by using Person method. The coefficient correlation of each item is (0.01) and (0.05) (as shown in table 2). The exam is proved to be reliable. The researcher use two methods: 1/ Alpha Cronbach coefficient is (0.916) 2/ split-half coefficient is (0.738) before amendment and (0.849) after the amendment. The amendment

calculated according to Spearman-Beown coefficient. Such thing indicates that the exam can be applied in the study. This indicates that the exam is highly enjoyed with high stability and liability which may give the researcher confidence to apply the exam on the subjects of study.

Table (2)

Table 2 show the Stability and Reliability of exam Internal Consistency

Correlations	Total	First	Second	Third	Fourth	Fifth	Sixth	Seventh
Question	1							
First	0.700	1.000						
Second	0.804	0.526	1.000					
Third	0.189	0.105	0.065	1				
Fourth	0.909	0.706	0.645	0.177	1			
Fifth	0.843	0.522	0.592	-0.039	0.767	1		
Sixth	0.862	0.490	0.614	0.233	0.745	0.609	1	
Seventh	0.674	0.127	0.646	0.101	0.402	0.516	0.657	1

"R" table value at (18) D F. at (0.01) Sig. Level equals 0.561

"R" table value at (18) D F. at (0.05) Sig. Level equals 0.444

Statistical Method Used in the Study

The researcher discharged and analyzed the test by using (SPSS) program .The following statistical methods used in the study:

1. Repetitions, mathematical calculations and percentages.
2. Pearson coefficient used to show the stability of the test.
3. Spearman-Brown equal split-half coefficient, unequal Jetman split-half coefficient and Alpha Cronbach coefficient.
4. T Test.

Previous Studies

Many researches dealt and studied difficulties and problems that face the translators and the students in the translation process from the source language to the target language (English to Arabic) and their solutions.

1-Isabel Negro Alousque -2009

Much of the lexis of a language has a cultural referent and is thus specific to a speech community. The meaning of culturally marked words is often difficult to grasp without some cultural knowledge and poses translation problems, particularly when the words are associated with cultural domains (Nida, 2001). In the present paper Cultural Domains: Translation problems we focus on the French cultural domain of cooking. After outlining the elements of the domain, we analyze the difficulties in translating the lexical units from the

domain and the range of translation procedures which try to account for their meaning.

2-HE Hui Apr. 2007

The Problems in Trademark Translation and Their Solutions paper probes two main problematic aspects in trademark translation: the problems in the aspect of the culture and the problems in the aspect of the language. Based on the main translating rule of “equivalence principle”, it attempts to focus on the solutions to tackle the problems.

3-Ahmed Al-Nakhlah-2007

The study aims to explore the difficulties that face Palestinian students of English at Al-Quds Open University in Gaza Strip while translating tenses from English to Arabic .The study includes the following tenses :- 1) simple present , present continuous, present perfect and present perfect continuous 2) simple past , past continuous ,past perfect and past perfect continuous . 3) Simple future (will, going to, present continuous & simple present), future continuous, future perfect and future perfect continuous.

The study was carried out on a random sample composed of 185 students (male & female) of Al-Quds Open University at Gaza Strip in the first term of the academic year 2006/2007.

The researcher designed one test .The test was introduced to a group of referees to determine their validity and stability. They all ratified the test. The researcher followed the analytical and statistical techniques, measures and procedures including the result of the study.

After correcting and checking the three tests , the researcher found that the most difficult tenses are as follows :-

1) past perfect continuous. 2) future perfect continuous. 3) future perfect. 4) present perfect continuous. 5) future continuous. 6) simple future (present continuous). 7) past perfect. 8)present perfect. 9) simple future (going to). 10) future simple (in simple present form). 11) simple past. 12 present continuous. 13) simple present. 14) past continuous. 15) simple future(will) .

4-Michal Boleslav Měchura-2005

Czech-English translation difficulties arising from differences in word order deals with Czech-English translation difficulties that result from differences in word order between the syntax of the two languages. A functional framework is used to interpret the implications of the syntactical differences. Both English and Czech have a tendency to present given information at the beginning of a clause and new information at the end, but the flexibility of Czech word order makes it

Possible to observe this principle more consistently than English syntax makes possible. Additionally, Czech, unlike English, does not observe the end-weight principle and therefore long stretches of circumstantial information do not prefer to be placed at the end of a clause. Both these differences result in significant mismatches in word order between Czech clauses and their English translation equivalents. For reasons of length and simplicity, this work deals only with declarative clauses.

5-Renad Abbadi -2004

Translation Problems faced by Professionals translating from English into Arabic: A corpus based study proposes to explore

translation problems in English-Arabic translations empirically and add find tangible evidence on the areas that pose real problems for professional translators. Further, not many studies have attempted to account for the translation difficulties encountered by English-Arabic translation practitioners by empirically investigating real life translations produced by professional translators. The same is true to some extent about studies of translator strategies. This study hopes to contribute to the study of translation difficulties and strategies by providing empirical evidence on translators' lexical and grammatical difficulties and errors and proposing ways of dealing with them. The study will explore a corpus of English-Arabic political translations done by professional translators in Jordan and therefore is expected to provide evidence on a selection of scholarly proposed taxonomies of translation problems, where applicable.

6-Rami Al-Hamdallah -1996

Problems and Approaches to Translation with Special Reference to Arabic addresses the issue of translation in terms of the following: Translation and interpretation, translation and EFL, the skills of the professional translators, the difficulties of translation from and into Arabic, translation and Arabization and translators and the job market. Suggestions are offered for the teaching of translation. The paper presents the reader with practical examples of translation problems facing Arabic-speaking translator trainees at the college level. The role of using translation in EFL classrooms is discussed and the merits of this approach in EFL teaching are explained.

Comments

In comparison with the studies carried out on difficulties and problems that face the translators and the students in the translation process from the source language to the target language (English to Arabic) and their solutions , these studies deal only with one topic and one kind such as with sentences , word order , tenses ,trademarks ...etc. , but such study deals with different types of translations such as literal , metaphorical translation, sentences, dual , gender ,modals, adjectives, adverbs ,clauses , proverbs ... etc. The study will show the most difficult kind of translation and the percentage of difficulty for each kind. Consequently, the researcher designed a test with different types of topics and translations to show the difficulties of each kind of the translation that face and encounter the students and the translators during translation process .

Theoretical Framework

Definition of Translation

Translation is any transfer of any text from one language code to another language code .It is believed that a text is not only a paper, a poem, or a story, but it can be a single exchange of greetings or single sentences inserted in a clear nonverbal context .Full mastery of L2 is not necessary in order to use a bilingual dictionary and translate a single word in a known context on the contrary, this procedure is useful for understanding a text and is a tool for mastery L2. (Hajaj, 1997)

Translation is often regarded as a project for transferring meaning from one language to another .Translation is a form of

interlingual communication that involves a Source language and a Target language.

Translators are concerned to capture and convey meaning in interlingual communication. Meaning is a complex notion. Meaning is divided into denotation and connotation. So some translation experts often talk about translation as a project for transferring messages from one language to another. (Shaheen1990).

Translation is an art which requires appropriate knowledge of both source and target language. As far as translation from English to Arabic is concerned, there is a need for systematic study of the difference between the two languages as well as of the two societies, due to the fact that there are certain terms, metaphors etc., that are culture bound. Translation of such semantics requires real understanding of the culture of the societies concerned. There are many differences between Arab and European societies, and there are also cultural and historical .In addition to that, there are also lexical and grammatical differences between the respective languages .Because of these differences, it might sometimes be difficult to relay an exact equivalent of certain collocations, idioms or metaphors. Therefore, one has to provide a semi-equivalent to clarify the meaning to the reader. (Hajaj, 1997)

Theories of translation

1-Nida's theory, 1979

Nida classifies theories of translation into three main categories:-

1. Philological (pre-linguistic): Evolved before WW1 and before the development of modern linguistics.
2. Sociolinguistic theories of translating: They emerged with the growing interest in communication. They relate linguistic structure to their function in communication.
3. Linguistic theories of translating: It is based on a comparison of linguistic structure of SL and TL rather than a comparison of literary genres and stylistic features.

2-Chau's classification of theories of translation

The Grammatical theory of translation: This approach of translating and translation teaching is based on translation theories, which regard translating as a solely linguistic operation. Its distinctive feature is its association of translating with grammatical transfer. Language is viewed as grammar, and translating is no longer than substituting the grammar and vocabulary of one language for the grammar and vocabulary of another .This theory focuses on grammar leaving meaning out of account.

Contrastive grammar is the only method adopted here.

There are two methods of translation based on this theory:-

1. The traditional grammar method.
2. The formal linguistic method. (Shaheen1990)

Problems face translators from English to Arabic

It is a difficult task to teach Arab students to produce adequate English because:-

1. The complex contrast between Arabic and English with regard to logic in the popular sense.
2. The over use of the connector (WA) و
3. The absence of paper punctuation as far as written Arabic is concerned.

Problematic areas

1. Connectivity: Connectors have a major role in binding semantic units and sentences together.
2. Punctuation:-Because the English punctuation differs from that of Arabic, Kharma (1985) states that all classical Arabic writings are devoid of punctuation.
3. Paragraph organization .
4. Argumentation in Arabic and English. (Alan Duff-1989-Translations).

Making information explicit because the linguistic structure of the receptor language requires this, differences in linguistic structure may be either: 1) In the grammatical structure or, 2) In the lexical structure.

A. Differences in Grammatical Form: - As we have noticed, the form of each language is different. Some languages have distinctions between grammatical categories sentence patterns occur in some languages. Certain kinds of sentence patterns occur in some languages but not in others. These areas of "miss-match" have implications for translation.

1. Differences in pronoun categories: Modern English has one pronoun "you" which both singular and plural references. But many languages have different forms for singular and plural.

2. Differences in transitivity patterns.
3. Differences in active and passive constructions.
4. Differences in pattern of "short cuts" (ellipsis).

B. Differences in lexical form. (Katharine Branwell-1974)

Problems with the source text:

- Text difficult to read or illegible text.
- Spelled incorrectly or printed incorrectly.
- Unfinished text.
- Badly written text.

Language problems:

- Idiom terms and neologisms.
- Unsolved acronyms and abbreviations.
- Proper name of people, organizations, and places.
- Slang difficult to understand.
- Respect to punctuation conventions.

Translation problems

Translation problems can be divided into linguistic problems and cultural problems: the linguistic problems include grammatical differences, lexical ambiguity and meaning ambiguity; the cultural problems refer to different situational features. This classification coincides with that of El Zeini (1994) when she identified six main problems in translating from Arabic to English and vice versa; these are lexicon, morphology, syntax, textual differences, rhetorical differences, and pragmatic factors. Another level of difficulty in translation work is what As-Sayyd (1995) found when she conducted a study to compare and assess some problems in translating the fair names of Allah in the Qur'an. She pointed out that some of the major problems of

translation are over-translation, under-translation, and untranslatability .

Culture constitutes another major problem that faces translators. A bad model of translated pieces of literature may give misconceptions about the original. That is why Fionty (2001) thought that poorly translated texts distort the original in its tone and cultural references, while Zidan (1994) wondered about the possible role of the target culture content as a motivating variable in enhancing or hindering the attainment of linguistic, communicative and, more importantly, cultural objectives of EFL (English as a Foreign Language (education. Hassan (1997) emphasized this notion when he pointed out the importance of paying attention to the translation of irony in the source language context. He clarified that this will not only transfer the features of the language translated but also its cultural characteristics.

Strategies of Translation

Krings (1986:18) defines translation strategy as "translator's potentially conscious plans for solving concrete translation problems in the framework of a concrete translation task," and Seguinot (1989) believes that there are at least three global strategies employed by the translators: (i) translating without interruption for as long as possible; (ii) correcting surface errors immediately; (iii) leaving the monitoring for qualitative or stylistic errors in the text to the revision stage. Moreover, Loescher (1991:8) defines translation strategy as "a potentially conscious procedure for solving a problem faced in translating a text, or any segment of it." As it is stated in this definition, the notion of consciousness is significant in distinguishing strategies which are used by the learners or

translators. In this regard, Cohen (1998:4) asserts that "the element of consciousness is what distinguishes strategies from these processes that are not strategic."

Furthermore, Bell (1998:188) differentiates between global (those dealing with whole texts) and local (those dealing with text segments) strategies and confirms that this distinction results from various kinds of translation problems. Venuti (1998:240) indicates that translation strategies "involve the basic tasks of choosing the foreign text to be translated and developing a method to translate it."

He employs the concepts of domesticating and foreignizing to refer to translation strategies. Jaaskelainen (1999:71) considers strategy as, "a series of competencies, a set of steps or processes that favor the acquisition, storage, and/or utilization of information." He maintains that strategies are "heuristic and flexible in nature, and their adoption implies a decision influenced by amendments in the translator's objectives."

Taking into account the process and product of translation, Jaaskelainen (2005) divides strategies into two major categories: some strategies relate to what happens to texts, while other strategies relate to what happens in the process. Product-related strategies, as Jaaskelainen (2005:15) writes, involves the basic tasks of choosing the SL text and developing a method to translate it. However, she maintains that process-related strategies "are a set of (loosely formulated) rules or principles which a translator uses to reach the goals determined by the translating situation" (p.16). Moreover, Jaaskelainen (2005:16) divides this into two types, namely global strategies and local strategies: "global strategies refer to general principles

and modes of action and local strategies refer to specific activities in relation to the translator's problem-solving and decision-making."

The translator's work

These problems, and others, direct our attention to the work and the character of translators, how they attack a text so as to translate, and the processes they follow to arrive at the final product of a well-translated text in the target language . Enani (1994:5) defines the translator as "a writer who formulates ideas in words addressed to readers. The only difference between him and the original writer is that these ideas are the latter's". Another difference is that the work of the translator is even more difficult than that of the artist. The artist is supposed to produce directly his/her ideas and emotions in his/her own language however intricate and complicated his/her thoughts are. The translator's responsibility is much greater, for s/he has to relive the experiences of a different person. Chabban (١٩٨٤) believes that, however accurately the translator may delve into the inner depths of the writer's mind, some formidable linguistic and other difficulties may still prevent the two texts from being fully equivalent. Therefore we do not only perceive the differences between a certain text and its translation, but also between different translations of the same text.

On the procedural level, El Shafey (1985:95) states: "A translator first analyzes the message 'breaking it down into its simplest and structurally clearest elements, transfers it at this level into the target language in the form which is most appropriate for the intended audience. A translator instinctively concludes that it is best to transfer the "kernel level" in one

language to the corresponding "kernel level" in the "receptor language."

General Translation Problems

1. Pragmatic translation problems: Pragmatic translation problems are those arising from the particular transfer situation with its specific contrast of source language vs. target language recipients, source language medium.
2. Cultural translation problems: It is a result of the differences in the culture specific (verbal) habits, expectations, norms, and conventions verbal and other behaviours.
3. Linguistic translation problems: The structural differences between two languages in texts sentence, structure and supra-segmental features give rise to certain translation problems.
4. Text-specific translation problems: Any problems arising and not classified as the previous one is classified Text-specific translation problem. (Alan Duff-1989-Translations)

Factors influencing the quality of translation

The quality of translation depends on a number of factors, some of which, as Phillips (1960:290) says, may be beyond the researcher's control. In those cases where the researcher and the translator are the same person the quality of translation is influenced by factors such as: the autobiography of the researcher-translator; the researcher's knowledge of the language and the culture of the people under study (Vulliamy, 1990:166); and the researcher's fluency in the language of the write-up. When the researcher and the translator are not the same person, the quality of translation is influenced mainly by three factors: the competence, the autobiography and what Temple (1997:610) calls 'the material circumstances' of the translator, that is the position the translator holds in relation to the researcher.

Conclusion

Difficulties and Problems arising from translation process fell into four categories:-

1. Cultural difficulties: Include the proper or improper usage of certain word, phrases based on the culture of a given society as well as the specifics of the society itself such as the education system, health care system, societal or religious taboos ...etc.
2. Conceptual /Semantic difficulties: Are those that arise in conveying the meaning of statement in a foreign language.
3. Idiomatic difficulties: Correspond to use of certain phrases ,or the means of conveying ideas that are unique to a particular region, country or society.
4. Grammatical difficulties: Include difficulties linked for and based on for instance to the grammar of a given language .

Analyzing the Results:-

First: Answering the first question:

The first question is: **What are the most difficult kinds of translation that face English students at Al Quds Open University?**

The researcher used means standard deviation, percentage and rank. Table (1) shows such things:

Table (3) (N=48)

Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	Easiness %	difficulty %	Rank
A1	20	28	28	0.583	0.498	58.33	41.67	3
A2	2	46	46	0.958	0.202	95.83	4.17	8
A3	22	26	26	0.542	0.504	54.17	45.83	2
A4	12	36	36	0.750	0.438	75.00	25	4
A5	10	38	38	0.792	0.410	79.17	20.83	5
A6	4	44	44	0.917	0.279	91.67	8.33	7
A7	8	40	40	0.833	0.377	83.33	16.67	6
A8	40	8	8	0.167	0.377	16.67	83.33	1

This table shows the difficulties in question No. one. On studying the first question it is noticed that item 8 in question 1 (question 1 item 8- A cool day.) is the most difficult one, whereas item 7 in question 1 (7-The American Senate.) is the easiest one.

Table (4) (N=48)(Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	easiness %	difficulty %	Rank
B1	14	34	34	0.708	0.459	70.83	29.17	3
B2	12	36	36	0.750	0.438	75.00	25	5
B3	6	42	42	0.875	0.334	87.50	12.5	6
B4	18	30	30	0.625	0.489	62.50	37.5	2
B5	4	44	44	0.917	0.279	91.67	8.33	7
B6	4	44	44	0.917	0.279	91.67	8.33	8
B7	0	48	48	1.000	0.000	100.00	0	9
B8	14	34	34	0.708	0.459	70.83	29.17	4
B9	28	20	20	0.417	0.498	41.67	58.33	1

Table 4 shows the difficulties in question 2. Upon considering the items of such questions it is founded that item 9(9-The public supports the present Government measures.) is the most difficult one whereas item 7(7-The hero and heroine got married at the end of the film.) is the easiest one.

Table (5) (N=48) Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	easiness %	difficulty %	Rank
C1	0	48	48	1.000	0.000	100.00	0	3
C2	0	48	48	1.000	0.000	100.00	0	3
C3	0	48	48	1.000	0.000	100.00	0	3
C4	10	38	38	0.792	0.410	79.17	20.83	2
C5	40	8	8	0.167	0.377	16.67	83.33	1

Table 5 shows the difficulties in question 3 .Upon viewing the items of such questions it is founded that item 5 (-5-The police had been looking for the criminal for three months before they arrested him.) is the most difficult one whereas items 1, 2, and 3(1-The earth revolves around the sun. 2-Mona visits Europe every five years 3-I bought a new house last week) are the easiest ones..

Table (6) (N=48) Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	easiness %	difficulty %	rank
D1	4	44	44	0.917	0.279	91.67	8.33	11
D2	12	36	36	0.750	0.438	75.00	25	5
D3	20	28	28	0.583	0.498	58.33	41.67	3
D4	12	36	36	0.750	0.438	75.00	25	6
D5	16	32	32	0.667	0.476	66.67	33.33	4
D6	22	26	26	0.542	0.504	54.17	45.83	2
D7	8	40	40	0.833	0.377	83.33	16.67	7
D8	6	42	42	0.875	0.334	87.50	12.5	9
D9	8	40	40	0.833	0.377	83.33	16.67	8
D10	28	20	20	0.417	0.498	41.67	58.33	1
D11	2	46	46	0.958	0.202	95.83	4.17	12
D12	6	42	42	0.875	0.334	87.50	12.5	10

Table 6 shows the difficulties in question 4 .Upon studying the items of such question it is founded that item 10 (10-Ali was able to reach the top of the mountains yesterday.) is the most difficult one whereas item 11 (11-Paper was invented by Chinese.) is the easiest one.

Table (7) (N=48) (Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	Easiness %	difficulty %	rank
E1	19	29	29	0.60	0.49	60.42	39.58	2
E2	16	32	32	0.67	0.48	66.67	33.33	4
E3	17	31	31	0.65	0.48	64.58	35.42	3
E4	4	44	44	0.92	0.28	91.67	8.33	10
E5	10	38	38	0.79	0.41	79.17	20.83	7
E6	20	28	28	0.58	0.50	58.33	41.67	1
E7	14	34	34	0.71	0.46	70.83	29.17	5
E8	8	40	40	0.83	0.38	83.33	16.67	9
E9	9	39	39	0.81	0.39	81.25	18.75	8
E10	14	34	34	0.71	0.46	70.83	29.17	6

Table 7 shows the difficulties in question 5 .Upon regarding the items of such question it is founded that item 6 (6-His friendly behavior impressed everybody.) is the most difficult one whereas item 4 (4-The old man need a great deal of care.) is the easiest one.

Table 8) (N=48)Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	Easiness %	difficulty %	rank
F1	16	32	32	0.67	0.48	66.67	33.33	4
F2	12	36	36	0.75	0.44	75.00	25	5
F3	20	28	28	0.58	0.50	58.33	41.67	3
F4	24	24	24	0.500	0.505	50.00	50	2
F5	4	44	44	0.917	0.279	91.67	8.33	7
F6	44	4	4	0.083	0.279	8.33	91.67	1
F7	10	38	38	0.792	0.410	79.17	20.83	6

Table 8 shows the difficulties in question 6 .Upon regarding the items of such question it is founded that item 6 (6-Has the boat left already?) is the most difficult one whereas item 5 (5-The older boy was tall, but the younger was short.) is the easiest one. **Table 9) (N=48)(Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level**

	0	1	Sum	Mean	Std. Deviation	%easiness	difficult y%	Rank
G1	26	22	22	0.458	0.504	45.83	54.17	3
G2	10	38	38	0.792	0.410	79.17	20.83	7
G3	14	34	34	0.708	0.459	70.83	29.17	5
G4	42	6	6	0.125	0.334	12.50	87.5	1
G5	40	8	8	0.167	0.377	16.67	83.33	2
G6	12	36	36	0.750	0.438	75.00	25	6
G7	20	28	28	0.583	0.498	58.33	41.67	4

Table 9 shows the difficulties in question 6 .Upon regarding the items of such question it is founded that item 4 (4-May flowers bloom late .) is the most difficult one whereas item 2 (2-After rain comes fair weather.) is the easiest one.

Table 10) (N=48) (Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	Sum	Mean	Std. Deviation	easiness %	difficulty %	rank
First	266	5.542	1.701	69.27	30.73	3
Second	332	6.917	1.456	76.85	23.15	6
Third	190	3.958	0.617	79.17	20.83	7
Fourth	432	9.000	2.510	75.00	25	5
Fifth	349	7.271	2.276	72.71	27.29	4
Sixth	206	4.292	1.856	61.31	38.69	2
Seventh	172	3.583	1.889	51.19	48.81	1
Total	1947	40.562	9.390	84.51	15.49	

Table 10 shows the percentage of difficulty of each question in the test. Upon studying table 10 (questions of the test) , it is

founded that question seven is the most difficult one (48.81%) whereas question three is the easiest one (20.83%).

Conclusion of the results of question one:-

Upon analyzing and considering the above mentioned tables, it is founded that the most difficult question in the test is question “seven” which deals with proverbs, block language and newspaper headline, i.e. the students face difficulties in translating the above mentioned items in question “seven”. Whereas it is founded that the students do not face difficulties in question “three” which deals with tenses.

Students also face difficulties in translating 1) descriptive translation 2) collective nouns 3) past perfect progressive 4) modal of ability 5) adjectives which similar to the adverb such as “friendly” 6) clauses of present perfect and 7) block language and newspaper headlines.

Second: Answering the Second question: Are there any statistical significant differences at (≤ 0.05) in the level of application of translation process from English to Arabic activity skills in Gaza City Region based on gender variable?

The researcher used T. test. Table (11) shows such thing.

Table (11) Level, No., mean, std. Deviation, T. value, sig. value, and sig. Level

	Gender	N	Mean no difficulties	Std. Deviation	t	Sig. (2-tailed)	
First	male	16	6.000	1.265	1.331	0.190	not sig.
	female	32	5.313	1.857			
Second	male	16	7.875	1.204	3.614	0.001	Sig. at 0.01
	female	32	6.438	1.343			
Third	male	16	4.000	0.516	0.327	0.745	not sig.
	female	32	3.938	0.669			
Fourth	male	16	9.875	1.893	1.745	0.088	not sig.
	female	32	8.563	2.687			
Fifth	male	16	8.188	1.276	2.038	0.047	Sig. at 0.05
	female	32	6.813	2.533			
Sixth	male	16	4.625	1.258	0.878	0.385	not sig.
	female	32	4.125	2.091			
seventh	male	16	3.500	1.713	-	0.832	not sig.
	female	32	3.625	1.996	0.214		
Total	male	16	44.063	4.389	1.874	0.067	not sig.
	female	32	38.813	10.718			

""T" table value at (0.05) Sig. Level equals 2.02

""T" table value at (0.01) Sig. Level equals 2.70

Table (11) shows the calculated value of "T" test is less than the table value of "T" test in questions one, three ,four, six, seven, i.e. there is no statistical significant differences in such questions based on and referred to the variation of gender. Whereas the above mentioned table shows that the calculated "T" value is more than the "T" table value in questions two and five, such thing indicates that there is a statistical significant differences in these two questions referred to and based on the

gender variation (male/ female). The differences were in favour of and for the benefit for females.

Third: Answering the third question: What are the suitable solutions for translation difficulties?

Techniques for dealing with translation-related problems

Upon considering and studying some theories of some scholars the researcher adopts some techniques so as to find suitable solutions and to eliminate such difficulties. Here are some important techniques for eliminating translation-related problems including back translation, consultation and collaboration with other people during the translation process and pre-testing or piloting (for example, interviews) whenever it is possible.

Back translation, one of the most common techniques used in cross-cultural research, involves looking for equivalents through a) the translation of items from the source language to the target language, b) independent translation of these back into the source language, and c) 'the comparison of the two versions of items in the source language until ambiguities or discrepancies in meaning are clarified or removed' (Ercikan, 1998:545; Warwick and Osherson, 1973:30). Although it can be helpful, as Deutscher (1968:321) points out, in identifying semantic errors in translations, some researchers (Phillips, 1960; Sechrest et al., 1972; Broadfoot and Osborn, 1993) argue that back translation is far from the ideal solution and can create new problems. For example, 'it can ... instill a false sense of security in the investigator by demonstrating a spurious lexical equivalence' (Deutscher, 1968:322). Back translation can also be a very time-

← consuming procedure, and might require more than one person (or a dictionary) involved in order to achieve good results.

Consultation with other people, on the other hand, involves discussions about the use and meaning of words identified as problematic with people who are bilingual (Whyte and Braun, 1968; Brislin et al., 1973) or having a number of people sitting around a table jointly making decisions about the best terms to use (Brislin et al., 1973:46). Collaboration with other people can also take the form of researchers from all countries involved in a study, jointly producing the research design and instrument.

Whether interviews or questionnaires or any kind of test are to be used, another way of eliminating translation-related problems is to pre-test or pilot the research instrument in the local culture. When pretesting a research instrument, Warwick and Osherson (1973:33) see it as particularly important to ask respondents not only for their answer but also for their interpretation of the item's meaning. Once a questionnaire or assessment instrument has been constructed, another way of identifying problems is the application of statistical methods (Hambleton, 1993; Ercikan, 1998).

For many researchers, combining some or all of the above-mentioned techniques is seen as the best and most efficient way to deal with translation-related problems. When using multiple methods, as Brislin et al. (1973:51) argue, the weakness of one method could be offset by the strengths of the other.

More over the researcher suggests that the student and the translator should acquaint with the followings of both source and target languages :

1. The culture .

2. Conceptual /Semantic .
3. Idioms.
4. Grammar.

Recommendations

The researcher recommends the following:

1. Simplifying of translation process for the students.
2. Teaching and introducing all translation difficulties and problems in details .
3. Paying the attention for cultural, conceptual/semantic, idiomatic and grammatical difficulties.
4. Boosting and encouraging translating of different kinds of subjects such as tenses and proverbs from English to Arabic.
5. Adopting and composing courses for translating of different kinds of translation such as tenses law, proverbs, newspapers ..etc. for the students of the University, because as the researcher believes that variety and diversity are very important and they are considered a basic issue for the students of the University. Such course will introduce wide range of experience for the students.
6. Encouraging and boosting the students to write essays and paragraphs and discussing the committed errors in the essays and paragraphs with students to let the students be acquainted with their errors immediately after use. Such thing will improve the writing of the students and translation.
7. Teaching the students the principles of translating from English to Arabic.
8. Teaching the use all kinds of techniques of translation.
9. Students must write English composition according to English

mentality and culture in order to avoid the interference of mother tongue i.e. Arabic Language .

10. Teaching English language in comparison with Arabic language for the students of English Department at the university level .
11. Giving more attention for English style and Arabic style.
12. Teaching all aspects of each kind of translation such as tenses, vocabulary, sentences ... etc..
13. Teaching how to deal with the context to understand the sentence or the context so as to carry out the translation accurately.
14. Encouraging the students to consult with other people.

Suggestions For Further Researches

The researcher suggests the following-:

1. The researcher suggests carrying out researches on comparative studies between English/Arabic and Arabic /English translation regarding difficulties, problems and solutions.
2. Adopting research on the function and aims of translation
3. Carrying out researches about the interference of Arabic language in translating from English to Arabic.
4. Carrying out researches about improving the translation from English to Arabic .

References

1. Alan Duff (1989)-The translator's Handbook" Translation"
2. Hajaj, Ali H.S. (1997) Translation I, (Course of Al-Quds Open University).
3. Hajaj, Ali H.S. (1995) - Writing 1 – (Course of Al-Quds Open University).
4. Katharin Branwell (1974)-Introduction to Semantics and Translation, Summer Institute of Linguistics.
5. Krings, H.P. (1986). Translation problems and translation strategies of advanced German learners of French. In J. House, & S. Blum-Kulka (Eds.), *Interlingual and intercultural communication* (pp. 263-75). Tübingen: Gunter Narr.
6. Loescher, W. (1991). *Translation performance, translation process and translation strategies*. Tübingen: Gunter Narr.
7. Mohammad Shaheen, (1990)-Theories of Translation and Their Application of the Teaching of English/Arabic, Dar Al-Thaqafa Library.
8. Trask, R.L. (1995)-A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics – Published by Routledge.
9. Al-Nakhalah Ahmed (2006), Tenses Difficulties That Face Students of English in Palestinian Universities While translating from English to Arabic- A Case Study of Al-Quds Open University.
10. Bell, R. T. (1998). Psychological/cognitive approaches. In M. Baker (Ed), *Routledge encyclopedia of translation studies*. London & New York: Routledge.
11. Translation Course-Al-Quds Open University-1996
12. Translation I Course - Al-Quds Open University-1997
13. The principles of classification of cohesion and coherence shifts of ... Hu, Helen Chau. 1999. Cohesion and Coherence in

- Translation Theory and Pedagogy. ...
- 14.As-sayyad, S., M., (1995). "The problem of English Translation Equivalence of the fair names of Allah in the Glorious Qur'an": A Contextual Study." MA thesis, Faculty of Education, Ain Shams University.
 - 15.Chabban, I., G., (1984). "An Analysis of the techniques of translation based on some literary material translated from English into Arabic", Ph.D. thesis, Faculty of Al Alsun, Ain Shams University.
 - 16.Cohen, A.D. (1984). On taking tests: what the students report. *Language testing*, 11 (1). 70-81.
 - 17.16-El Shafey, F., A., M., (1985). "Compounding in English and Arabic, Implications for Translation Methodology" M.A Thesis, Faculty of Arts, Cairo University.
 - 18.Hassan, A., H., (1997). "Verbal Irony in Arabic and English: A Discourse Approach". MA thesis, Faculty of Education, Ain Shams University .
 - 19.Zidan, A., T. (1994). "An Exploratory Study of the Acceptability of Target Culture content in EFL Instruction: A Cross-cultural Perspective". Global Age: Issues in English Language Education, Proceedings of the 13th National Symposium of English Language Teaching, CDELT, Ain Shams University, Cairo
 - 20.Newmark, Peter. 1995. Manual de Traducción. Prentice Hall International (UK) Ltd. Ediciones Cátedra, S.A.
 - 21.Newmark, Peter. 1995. A Textbook of Translation. Library of Congress. Cataloging-in-Publication Data.
 - 22.Nida, E. y Taber Ch. 1974. The Theory and Practice of Translating. Brill, Leiden.
 - 23.Temple, B. (1997) Watch your tongue: issues in translation and cross-cultural research. *Sociology*, 31(3), 607-618.
 - 24.Vulliamy, G. (1990) Research Outcomes: PostScript. In G.

- Vulliamy, K. Lewin and D. Stephens, Doing Educational Research in Developing Countries. London: The Falmer Press.
25. Venuti, L. (1998). Strategies of translation. In M. Baker (Ed.), *Encyclopedia of translation studies* (pp. 240-244). London and New York: Routledge.
26. Phillips, H. P. (1960) Problems of translation and meaning in field work. In R. N.
27. Brislin, R. W., Lonner, W. and Thorndike, R. M. (1973) Cross-Cultural Research Methods. New York: John Wiley & Sons
28. Broadfoot, P. and Osborn, M. (1993) Perceptions of Teaching: Primary School Teachers in England and France. London: Cassell
29. Deutscher, I. (1968) Asking Questions Cross-Culturally: Some Problems of Linguistic Comparability. In H. S. Becker, B. Geer, D. Riesman and R. S. Weiss (eds)
30. Ercikan, K. (1998) Translation Effects in International Assessments. *International Journal of Educational Research*, 29, 543-553
31. Hambleton, R. K. (1993) Translating Achievement Tests for Use in Cross-National Studies. ERIC Report, ED 358128
32. Jaaskelainen, R., (2005). Translation studies: what are they? Retrieved November 11, 2006 from <http://www.hum.expertise.workshop>.
33. Phillips, H. P. (1960) Problems of translation and meaning in field work. In R. N.
34. Sechrest, L., Fay, T. L. and Zaidi, S. M. H. (1972) Problems of Translation in
35. Cross-cultural research. *Journal of Cross-Cultural Psychology*, 3(1), 41-56
36. Seguinot, C. (1989). *The translation process*. Toronto: H.G.

- Publications.
37. Warwick, D. P. and Osherson, S. (1973) Comparative Analysis in the Social Sciences. In D. P. Warwick and S. Osherson (eds) Comparative Research Methods: An Overview. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall
38. Whyte, W. F. and Braun, R. R. (1968) On Language and Culture. In H. S. Becker, B. Geer, D. Riesman and R. Weiss, (eds) Institutions and the Person. Papers presented to Everett C. Hughes. Chicago: Aldine Publishing Company

٣٩. - عنانى، محمد (١٩٩٤). فن الترجمة. ط ٢ . القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان.

٤٠. فينوتى. لورانس. (٢٠٠١). " الترجمة و طرق تدريس الأدب " ترجمة أحمد رامز قطرية . " مجلة التعريب. العدد الرابع:

Available online: <http://www.acatap.htmlplanet.com/arabization-j/accessories/jour-5.html> (Nov 6, 2001).

